



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
بُورِيقِ الْقِزْبَاوِيِّ

المجلد التاسع والثمانون





حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

دار الشَّامِيتِ

للطباعة والنشر والتوزيع





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
يُوسُفَ الْقُرْضَاوِيِّ



الْجُورُ الْخَادِي عَشْر

خُطَبُ الْجَمْعَةِ

١٣ خطب الشيخ القرضاوي ١٧٦

١٤ خطب الشيخ القرضاوي ١٧٧





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
يُوسُفَ الْقُرْضَاوِيِّ

غير مرخصة للطباعة

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٧٦

خطب الشيخ القرضاوي

١٣

إعداد

المكتب العلمي للشيخ

بجانية

## من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ - ٣].



## من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:  
«المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن  
الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك،  
واستعن بالله ولا تعجز». رواه مسلم وأحمد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن  
مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه  
ضيئته، ويحوطه من ورائه». رواه أبو داود والبخاري  
في الأدب المفرد.









## التربية الجسميّة للإنسان المسلم

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

**الإسلام يهدف إلى إيجاد المسلم الصّالح المصلح:**

نتحدّث اليوم عن التربية، وأهمّيّة التربية في الحياة الإسلاميّة، وفي منهج الإسلام؛ فالإسلام يريد إنساناً قوياً في كلّ ناحية من النّواحي: في إيمانه، في أخلاقه، في فكره، في بدنه، في كلّ أمر من أمور حياته.

الإسلام يريد الإنسان الصّالح المصلح، الكامل في نفسه المُكَمَّل لغيره، الذي يعيش بالحقّ ويعيش للحقّ، ويُجَنِّد نفسه للحقّ، الإنسان الذي ذكره الله تعالى في سورة العصر حينما قال: ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

هذا الإنسان لا يأتي اعتباراً، ولا يأتي جُزافاً، وإنّما يأتي نتيجة تربية طويلة المدى، عميقة الجذور، نتيجة توجيه واعٍ راشد مستنير، تتعاون عليه كلّ الجهات المؤثّرة: البيت والمدرسة، والجامعة والجامع، والإذاعة

والتلفاز والصَّحافة، والبيئة الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة، كُلُّها يجب أن تتعاون في تكوين هذا الإنسان المنشود، ولا يجوز أن تبني جهة وتهدم أخرى. متى يبلغُ البنيانُ يومًا تَمَامَهُ إذا كنتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ<sup>(١)</sup>؟ تحدَّثنا عن التربية الإيمانيَّة، التربية الربَّانيَّة، التربية الرُّوحيَّة، التي تغرس في النَّفس مخافة الله تعالى ومراقبته، وتُزَكِّي بالشعائر والعبادات.

وتحدَّثنا عن التربية الخُلقيَّة التي تغرس في النَّفس مكارم الأخلاق، تغرس فيها الفضائل، وتنزع منها الرذائل.

### الإسلام يهدف إلى تكوين الجسم القوي:

وستحدَّث اليوم عن لون آخر من ألوان التربية يدخل ضمن التربية الإسلاميَّة الواسعة؛ التربية الإسلاميَّة ليست مُجرَّد التربية الدِّينيَّة؛ التربية الدِّينيَّة نوع من بضعة عشر نوعًا من أنواع التربية.

التربية الجِسْمِيَّة نوع من التربية، تربية الجسم، والإسلام كما يسعى إلى تكوين الرُّوح، إلى تكوين القلب النقي، والإرادة القويَّة، والخُلُق المستقيم، يسعى إلى تكوين الجسم القوي، «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله تعالى من المؤمنِ الضعيف»<sup>(٢)</sup>.

لا بدَّ من جسم قوي قادر على الحركة، قادر على القيام بأعباءه الدِّينيَّة والدنيويَّة.

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.



الإسلام فرض فروضًا، وألزم بواجبات، بعضها شعائري عبادي، وبعضها اجتماعي، وبعضها اقتصادي.

هذه الأعباء لا يستطيع أن يؤدّيها المريض والضعيف كما ينبغي، وكما ينشد الإسلام؛ إنّها تحتاج إلى جسم قوي.

هل يستطيع الإنسان أن يتحرّك إلى صلاة الفجر إذا كان ضعيف الجسم؟

هل يستطيع الإنسان أن يذهب إلى الحجّ ويطوف ويسعى إلّا إذا كان قادرًا؟

هل يستطيع الإنسان المسلم أن يقوم بأعباء الجهاد ويشارك في الدفاع عن دينه وأمّته وحُرّماته إذا لم يكن قوي الجسم؟

الجسم القوي إذن وسيلة لا بدّ منها، وقد قال العقلاء قديمًا: العقل السليم في الجسم السليم، إنّ الإنسان لا يستطيع أن يفكّر تفكيرًا سليمًا إذا كان يشكو ويعاني من الأمراض.

### نواحي التربية الجسّميّة:

ولهذا فإنّ التربية الإسلاميّة تُعنى بهذا الجسم، تُعنى به من نواحٍ أربع: من النّاحية الصّحيّة أوّلاً؛ من ناحية النّظافة والسّلامة من الأمراض، ثمّ من ناحية القوة والمرونة والقدرة على الحركة ثانيًا، ثمّ من ناحية الخشونة والاحتمال ثالثًا، ثمّ من ناحية الجمال والزينة رابعًا.

هذه النّواحي يريد الإسلام أن تتوفّر في جسم الإنسان المسلم.

## النَّاحِيَةُ الصَّحِيَّةُ:

ينبغي أن يحرص المسلم على أن يكون صحيح الجسم، وينبغي أن يحرص الأب على أن يكون ابنه صحيح الجسم، وأن تحرص الأم كذلك، وأن تحرص المدرسة كذلك، وأن تحرص الدولة كذلك على صحّة أبنائها، وقاية وعلاجًا، والوقاية أولاً، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج.

ومن هنا حرص الإسلام على النّظافة، على الطّهارة التي هي أوّل باب يدرسه المسلم في فقه الإسلام، باب الطّهارة، النّظافة من الأحداث والأخبار، ومن هنا كان الغُسل، وكان الوضوء، وكان تطهير الثوب والبدن والمكان شرطاً لصحّة الصّلاة، فلا يقبل الله صلاة بغير طهارة، و«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

إذا كانت هناك أديان أخرى تعتبر النّظافة ممّا يبعد الإنسان عن الله، فإن الإسلام يعتبر الطّهارة شرط الإيمان، ويعتبرها شرطاً للعبادة.

كان الرهبان في أوروبا في العصور الوسطى يتعبّدون لله بالقذارة، كلّما تركوا أجسامهم بلا اغتسال ولا استحمام زعموا أنّهم أقرب إلى الله، وقد قال أحدهم يوماً: رحم الله القديس فلاناً؛ لقد عاش خمسين سنة ولم يقترب إثم غُسل الرّجلين.

وقال أحدهم: وا أسفاه؛ لقد كان من قبلنا يعيشون أعمارهم لا يبلّ أطرافه بالماء، ولكنّا - للأسف - أصبحنا في زمن يدخل فيه النّاس الحمامات<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في الطّهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة أبي الحسن الندوي ص ١٨٧، نشر إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، ط ٢، ١٩٨٦م.

وإنما دخلوا الحمّامات حينما أدخلها المسلمون إلى الأندلس، فشاعت في بعض بلاد أوروبا<sup>(١)</sup>.

أين هذا من الإسلام الذي يقول: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»<sup>(٢)</sup>، ويقول: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»<sup>(٣)</sup>؛ للأسباب الطبيعية التي تفرض على الإنسان أن يغتسل من جنابة أو احتلام أو حيض أو غير ذلك، والأسباب التي تجعله يتوضأ لكل صلاة إذا أحدث، وأسباب الأحداث الطبيعية تتكرّر كثيرًا، ويكفي أنّه كلما نام يجب عليه أن يتوضأ للصلاة.

الإسلام يحرص على النّظافة، نظافة البدن كلّها، ونظافة أجزاء مُعيّنة من البدن، نظافة الأسنان؛ كما قال النبي ﷺ: «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»<sup>(٤)</sup>.

ونظافة الشعر: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»<sup>(٥)</sup>.

نظافة الأطراف، نظافة البدن كلّها.

(١) ذكر ذلك المقري التلمساني في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥٤٠/١)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، وأكثر من هذا ما ذكره الخطيب في تاريخه: أن حمامات بغداد بلغت ستين ألف حمام (٤٣٩/١)، تحقيق د. بشار عواد، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦)، كلاهما في الجمعة، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٨٩٦، ٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٢٤٢٠٣)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والنسائي (٥)، وابن حبان (١٠٦٧)، كلاهما في الطهارة، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٥١٧)، عن عائشة.

(٥) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٣٤/٨)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٣٦٨/١٠)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

ثمَّ نظافة البيت، ونظافة الطريق، «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ»<sup>(١)</sup>، نظيف يحبُّ النِّظافة، كريم يحبُّ الكرم، جواد يحبُّ الجود، فنظفوا أنفسكم ولا تشبَّهوا باليهود»<sup>(٢)</sup>.

كان اليهود مثالا للقدارة في تلك الآونة، فقال: لا تشبَّهوا بهم، نظفوا أنفسكم، الساحات والأبهاء، وهذه الأشياء.

وأمر بنظافة الشوارع، «وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

لا يجوز للإنسان أن يُلقي الأذى في الطريق.

ولعن النَّبي ﷺ من يبول في الطريق، أو يبول في الماء، أو يبول في الظلِّ، هذه الأشياء سمَّاها النَّبي ﷺ: الملاعن الثلاث<sup>(٤)</sup>، التي تجلب لعنة الله ولعنة النَّاس على مَنْ فعلها، وهي - أيضًا - مصادر للأمراض.

جاء الإسلام فحثَّ على النِّظافة، نظافة البدن، ونظافة البيت، ونظافة الطريق؛ ليكون المسلم نظيفاً في ظاهره وباطنه.

هكذا علَّمنا النَّبي ﷺ، وهكذا انتشر بين النَّاس تلك الحكمة التي لم تُعرف عند أي أمة من الأمم الدِّينية، وهي أَنَّ «النِّظافة من الإيمان».

(١) قال ملا علي القاري: «يحب الطيب»: بكسر الطاء أي طيب الحال والقال أو الريح الطيب بمعنى أَنَّهُ يحب استعماله من عباده ويرضى عنهم بهذا الفعل. انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٨٤٦/٧) دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) رواه الترمذي في الأدب (٢٧٩٩)، وقال: هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يضعف. والبخاري (١١١٤)، وضعفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (١١٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم (١٦٧/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٩٧/١)، جميعهم في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢١)، عن معاذ بن جبل.



## الوقاية خير من العلاج:

النَّظَافَةُ وقاية، لا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه للمرض بحال من الأحوال، وقد قرَّر النَّبِيُّ ﷺ سُنَّةَ اللَّهِ في العدوى، وقال: «فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ»<sup>(١)</sup>.

وجاءه مجذوم يبايعه، فبايعه بالكلام وقال: «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَرَّرَ الْحَجْرَ الصَّحِيَّ، العزل في عمليَّة الوباء، فقال: «إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزٌ سُلِّطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - أَوْ: عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ - فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا»<sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ الْوَبَاءِ قَدْ يَكُونُ حَامِلًا لِلْعَدْوَى فَيَسَبِّبُ ضَرَرًا لِلْآخَرِينَ، وَفِي الْإِسْلَامِ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضَارَرَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أحمد (٩٧٢٢)، وقال مخرَّجوه: صحيح. والبخاري تعليقاً (٥٧٠٧) مجزوماً به، والبيهقي في النكاح (١٣٥/٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٧٨٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في السَّلام (٢٢٣١)، وأحمد (١٩٤٦٨)، عن الشريد بن سويد.

(٣) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٣)، ومسلم في السَّلام (٢٢١٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٤) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرَّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس، والدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري، وقال النَّوَوِيُّ في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النَّبِيِّ ﷺ؛ فَأَسْقَطَ أَبُو سَعِيدٍ، وَلَهُ طَرَقٌ يَقْوِي بَعْضُهَا بَعْضًا. وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢): وصحَّحه إمامنا (أي: الشافعي) في حرملة. وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث (٢١٠/٢)، (٢١١): وقد استدللَّ الإمام أحمد بهذا الحديث. وقال أبو عمرو بن الصَّلَاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوِّي الحديث ويحسنه، وقد قبله جماهير أهل العلم، واحتجُّوا به، وقول أبي داود: إِنَّهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَدُورُ الْفَقْهُ عَلَيْهَا يَشْعُرُ بِكَوْنِهِ غَيْرَ ضَعِيفٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



## الوقاية من الأمراض

لا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه للمرض، ومن هنا يجب عليه أن يمتنع عن كل ما يضرُّ بالجسم، من تناول المسكرات والمخدرات وغيرها من تلك السموم التي يقتل النَّاس بها أنفسهم ويشترونها بأموالهم.

تصوُّروا أنَّ الإنسان يشتري ضرره بحرَّ ماله، يذهب يتناول المسكر، أو يتناول المُخدِّر، أو يتناول الدخان والسجائر، هذه الأشياء التي تضرُّ بالإنسان وتدمِّره تدميراً بطيئاً، ينتحر انتحاراً بطيئاً وهو لا يدري، يشتريها بماله ليحطِّم نفسه ويحطِّم صحَّته.

الإسلام طلب الوقاية بتحريم هذه الأشياء، إما بتحريم صريح، أو بإدخالها تحت القواعد العامة: أنَّه يحلُّ الطيبات ويحرِّم الخبائث؛ كلُّ ما فيه خبث أو ضرر فالإسلام يحرمه.

جاء الإسلام ليوفِّر للإنسان الصِّحَّة في بدنه بالوقاية، حتَّى إنَّ كلَّ شيء إن أكله الإنسان يعلم أنَّه يُضرُّ به ينبغي أن يمتنع عنه، ولذلك ينبغي أن يمثِّل للتوجيهات الصِّحِّيَّة والتعليمات الطِّبِّيَّة، التي تقول: إياك والطعام الفلاني، أو: الأطعمة الفلانيَّة فاسدة.

ينبغي أن يطيع ذلك، وهذه الطاعة واجبة ديناً وشرعاً؛ لأنَّه لا يجوز للإنسان أن يتصرَّف تصرفاً يضرُّ به نفسه، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء: ٢٩].

الجسم وديعة عندك، وأمانة لديك فلا ينبغي ولا يجوز أن تفرط فيها وأن تضيعها، احرص عليها.



لا يجوز للإنسان أن يسهر سهرًا طويلًا يضرُّ بجسمه، إنَّ النَّبي ﷺ قال لبعض أصحابه لمن أسرف في الطاعة والعبادة لله؛ في صيام النهار وقيام الليل؛ يأمره بالوقوف عند حدِّ الاعتدال: «فإنَّ لجسدك عليك حقًّا، وإنَّ لعينك عليك حقًّا، وإنَّ لزوجك عليك حقًّا، وإنَّ لزورك عليك حقًّا»<sup>(١)</sup>.

أول مرّة يسمع النَّاس عن دينٍ يقول للإنسان: لا تسرف في العبادة؛ إنَّه يدعو إلى التوازن والوسطية، يدعو إلى الاعتدال في كلِّ شيء، «إنَّ لبَدَنك عليك حقًّا».

أين هذا من الذين يسهرون إلى ما قبل الفجر، في أشياء لا معنى لها، إنَّهم يدمِّرون صحَّتهم وأنفسهم، وقد يدمِّرون بعد ذلك أخلاقهم وأسْرهم، والبركة في البكور كما قال النَّبي ﷺ: «اللهمَّ بارك لأمتي في بكورها»<sup>(٢)</sup>.

لو حرص النَّاس على تعاليم الإسلام لرأينا أُمَّة قويَّة في كلِّ شيء، رأينا الإنسان الذي ينام مبكرًا ويستيقظ مبكرًا، ويقوم لعمله بنشاط وقوَّة.

### صحة الأبدان مقدّمة على صحّة الأديان:

الإسلام راعى صحّة البدن، حتّى قال العلماء: إنَّ صحّة الأبدان مقدّمة على صحّة الأديان، أي: إذا كان أداؤك بالعبادة سيضُرُّ بك فإنَّ لك رخصة، إذا كان الوضوء أو الغسل بالماء يضرُّ ببدنك لك أن تدعه وتتيّم، كما فعل عمرو بن العاص رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصَّيام، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرَّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي في البيوع (١٢١٢)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٥)، عن صخر الغامدي.

(٣) رواه أحمد (١٧٨١٢)، وقال مخرَّجوه: صحيح. وأبو داود في الطَّهارة (٣٣٤)، وصحَّحه =

إذا كانت الصَّلَاة وأنت قائم تضرُّك فصلٌ قاعدًا، أو صلَّ مستلقيًا على ظهرك، أو مضطجعًا على جنبك، إذا كان الصَّوم يضرك فلك أن تفطر. في هذا محافظة على البدن.

ثم إنَّك إذا مرضت فعليك أن تتعالج، وأن تتداوى، شرع الإسلام لك التداوي، الَّذي حرَّمته بعض الأديان الأخرى، واعتبروا أنَّ المرض بقدر الله فلا ينبغي أن يُرفض القدر أو يُدفع.

وقد سأل الصَّحابة النَّبي ﷺ: يا رسولَ الله، أُرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقى بها، وتقى نتقيها، هل تردُّ من قدر الله شيئًا؟ قال: «هي من قَدَرِ الله»<sup>(١)</sup>.

انظروا إلى هذا الجواب النَّبوي، «هي من قدر الله»، أي: كما أنَّ الله قدَّر المرض قدَّر الشفاء بهذا الدواء، فهو كما قدَّر المسبَّبات قدَّر أسبابها، كما قدَّر النتائج قدَّر مقدِّماتها، فالمرض بقدر الله والدواء بقدر الله، هي من قدر الله.

هكذا علَّمنا الإسلام أن نتداوى؛ قالت الأعراب: يا رسولَ الله، ألا نتداوى؟ قال: «نعم، يا عبادَ الله تداوَوْا؛ فإنَّ الله لم يضع داءً إلَّا وضع له شفاءً - أو قال: دواءً - إلَّا داءً واحدًا».

= الألباني في صحيح أبي داود (٣٦١)، عن عمرو بن العاص أنَّه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل، قال: فاحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد... الحديث.

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزيمة.

قالوا: يا رسول الله، وما هو؟

قال: «الْهَرَم»<sup>(١)</sup>.

وهذا يُعطي كلَّ باحث وكلَّ طبيب أملاً بأنه ليس هناك مرضٌ مستعصٍ على العلاج، ولكن عِلْمَه من عِلْمِه، وجهله من جهله، فعلينا أن نبحث عن الأدوية للأمراض التي تبدو مستعصية، لا بدَّ أن لها دواء، وأنَّ لها علاجاً، هذه سُنَّة الله.

### الناحية الرياضية:

يجب أن نعمل على صحَّة البدن، البدن الصحيح النظيف.

ثمَّ من ناحية أخرى، لا بدَّ أن يكون هذا البدن قوياً على الحركة، مرناً متحرِّكاً، لا يكفي أن تسلم من الأمراض فقط، ولكن لا بدَّ أن تمرن بدنك، الإسلام يريد الجسم القوي المرن، ومن هنا شرع الصَّلَاة، الصَّلَاة (مشروع حركة)، رياضة مستمرة، مَنْ أداها كما ينبغي يشعر بمرونة في الجسم وحركته.

بعض النَّاس يقول: لا أستطيع أن أركع مستوي الظهر، كما هو الثابت من ذلك في الفقه، كان رسول الله ﷺ إذا ركع استوى، فلو ضُبَّ على ظهره الماء لاستقرَّ<sup>(٢)</sup>.

والقيام من الركوع والسجود يكون بنشاط، ويُسن في الجلوس بين السجدين الافتخاذاً والتورُّك.

(١) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي وصحَّحه

(٢٠٣٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، ثلاثهم في الطب، عن أسامة بن شريك.

(٢) رواه أبو يعلى (٢٤٤٧)، والطبراني (١٦٧/١٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠١/٣)، وقال

الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٣٧): رجاله موثقون. عن ابن عباس.

بعض الناس يقول: لا أستطيع.

ما هكذا شأن المسلم، لو رُبي من الصغر على هذه الحركات وعلى أداء السنن كما ينبغي لسهلت عليه.

الإسلام يريد الجسم القوي المتحرّك، النَّبي ﷺ كان من أقوى النَّاس جسمًا، لم يكن مترهلًا، لم يكن عاجزًا، بل كان يسبق أصحابه، كان يعدو، وكان يركب الفرس معروزي<sup>(١)</sup> ليس عليه سرج ولا شيء.

وجاءه رجل قويُّ مُصارع معروف اسمه رُكَّانة، قال: يا محمد، أدعوك للمصارعة، فإن غلبتني فأنت رسول الله، وإن غلبتك فلست رسول الله.

ودخل معه النَّبي ﷺ في مصارعة، فصرعه النَّبي ﷺ وغلبه، وكان رُكَّانة لا يُغلب من قبل، فشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله<sup>(٢)</sup>.

وكان الصَّحابة فيهم الأقوياء والمصارعون والعدَّائون، وقد ظهر ذلك في الحروب والغزوات، غزا النَّبي ﷺ سبعا وعشرين غزوة في عدة سنوات.

سبع وعشرون معركة حضرها النَّبي ﷺ، بعضها سافر إليها سفرًا طويلاً؛ مثل: غزوة تبوك، غزوة العُسرة في شدة الحر.

هذه كُلُّها تحتاج إلى جسمٍ قويٍّ.

لا بدَّ من جسمٍ قويٍّ، ومن هنا ينبغي للمسلم أن يتعلَّم بعض التدريبات الرياضية التي تساعد على الحركة والقوَّة، ما لا يتمُّ الواجب

(١) اعروزي الرجل الفرس: ركبها غريًا، لا سرج لها.

(٢) رواه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤)، وقال: غريب، وليس إسناده بالقائم. كلاهما في اللباس، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣٧٨)، عن محمد بن ركانة.

إلا به فهو واجب، عصرنا اخترع أشياء لقوّة الجسم ومرونته فلنستفد منها، ينبغي أن نستفيد منها، وأن يتربّى الشباب عليها.

### موقف الإسلام من كرة القدم:

فهم بعض الناس من حملتي على لعبة الكرة أنني أكره الرياضة أو ضد الرياضة!

لا، الذي أنكرته هو أن تصبح الكرة وثناً يعبدّه الناس، أمّا الرياضة في حدّ ذاتها فهذا شيء مطلوب.

وللأسف لعبة الكرة يلعبها فريقان وبقية الناس مُتفرّجون، هذه ليست رياضة للجميع، هي رياضة للفرجة، وينقسم الناس بين مؤيّد ومعارض، وهذا أمر وراءه ما وراءه.

إنّما أريد من الناس أن يشتغلوا بالرياضة فعلاً، أن يَرُوضوا أجسامهم وأن يُدَرِّبوها، وأن يُدَرِّبوا أبناءهم وأن يتيحوا لهم الفرصة ليكونوا أقوياء، والرياضة ليست هدفاً، إنّها وسيلة، ما قيمة الإنسان يدرب جسمه ويُقوّيه ويَرُوضه ولكنّه لا يؤدّي مُهمّة للمجتمع ولا خدمة للحياة؟

ما قيمة إنسان يتميّز بجمال الأجسام ويفوز في المسابقات بالجوائز ولا يخدم مجتمعه؟

أنا أريد أن يكون هذا الإنسان بقوّته قادراً على خدمة مجتمعه، وإذا دعا داعي الجهاد لبّي، وكان في أوائل الصفوف.

أمّا أن تصبح الرياضة غاية في ذاتها فهذا ليس بشيء، ولا قيمة له في الإسلام.

القوّة والقدرة على الحركة هي الناحية الثانية في ناحية التربة الجِسميّة كما يريدّها الإسلام.

### الخشونة وتحمل المشقّات:

يريد الإسلام كذلك من ناحية أخرى الخشونة، والقدرة على الاحتمال والصبر، الجسم الذي يتحمل الشظف، يصبر على الجوع، يصبر على العطش، يصبر على ملاقات الصعاب، هذا هو الذي يريده الإسلام.

لا يريد الإسلام الإنسان الطاعم الناعم الكاسي، كما قال الشاعر:  
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا      واقعد فإنك أنت الطّاعمُ الكاسي<sup>(١)</sup>

لا نريد هذا الإنسان الطاعم الناعم، إنّما نريد الإنسان القادر على التحمل، الذي يألف الخشونة ويتعوّدها ولا يضيق بها، فإذا طُلب يومًا للجهاد كان عند الظنّ به، لبّى النداء وأجاب الدعاء.

فرض الإسلام الصلوات ليتعوّد الإنسان القيام مبكرًا، وفرض الصوم في عام ليتعوّد الجوع والعطش، ومن حكمة الإسلام أن صيام الفريضة بالشهر القمري؛ ليصوم حينًا في الصيف، وحينًا في الشتاء، وحينًا في الخريف.

ومثل ذلك الحج، يحجّ الإنسان ويتحمل المشقّة.

الإسلام يريد المسلم الذي يتحمل المشقّة، وخصوصًا للرجال، لماذا حرّم الإسلام على الرجال التحلّي بالذهب ولبس الحرير؟ لماذا؟

(١) من شعر الحطيئة، في هجاء الزبرقان بن بدر، كما في طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (١١٦/١)، تحقيق محمود محمد شاكر، نشر دار المدني، جدة، وهو شاهد نحوي معروف، انظر: شرح المفصل لابن يعيش (٤٨٢/٣) نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

لأنه يريد أن يبقى الرجل رجلاً له خشونته وطبيعته الرجولية، وألاً يتشبهه بالأنثى، «لعن رسول الله ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

لا نريد ذلك الرجل الذي لا تكاد تفرق بينه وبين الأنثى، حتّى في لبسه، حتّى في زيّه.

أراد الإسلام أن يبقى للرجل معنى الخشونة، ومن هنا أمرنا الإسلام أن نعلّم أبناءنا الفروسية وركوب الخيل؛ فقال ﷺ: «من علم الرّمي ثم تركه، فليس منّا» أو «قد عصي»<sup>(٢)</sup>.

وكتب عمر إلى أهل الشام أن علّموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: تَمَعَّدُوا<sup>(٤)</sup> واخْشَوْشِنُوا، واقطعوا الرّكب<sup>(٥)</sup>، وثبوا على الخيل وثباً<sup>(٦)</sup>.

ينبغي أن يتعوّد الجسم احتمال المشقّات، وركوب الأهوال؛ فالحياة لا يُكَيِّفُهَا الإنسان كما يشتهي؛ الإنسان يلاقي في الحياة العسر واليسر،

(١) رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٥)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الإمامة (١٩١٩)، عن عقبة بن عامر.

(٣) رواه أبو يعقوب القراب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥).

(٤) يقال: هو من الغلظ، ومنه قيل للغلام إذا شب وغلظ: قد تمعدّد. وقيل في معناها: تشبهوا بعيش معدّد، وكانوا أهل تقشف وغلظ في المعاش.

(٥) الركب: ما يضع راكب البعير رجله فيه ويعتمد به عليه عند ركوبه، أرَادَ مِنْهُمْ أَلَّا يَعْتَادُوا الاعتماد على الركب؛ لأنّه قد يكون الأمر أعجل من ذلك.

(٦) تفسير القرطبي (٣٦/٤)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



والرخاء والشدة، والنعماء والبأساء، قد تصيبه أهوال في حياته، فإذا لم يكن جسمه مُتَعَوِّدًا أن ينام على الأرض دون فراش وثير، وأن ينام على الخشب، وأن ينام على (البُرْش)، وأن ينام حيث اتَّفَق، فمثل هذا لا يستطيع أن يتحمَّل، ولا يستطيع أن يصبر، الإنسان الذي قال فيه الشاعر:

قطراتُ الندى تجرحُ خديَّ      ولمسُ الحريرِ يُدمي بنانه<sup>(١)</sup>

هذا الإنسان لا يعرفه الإسلام ولا يريده، ولا يصلح للحياة الإسلامية، ولا للتكاليف الإسلامية.

### التجمل والتزيين:

ثمَّ هناك عنصر رابع في التربية الجِسمِيَّة، هذا العنصر هو: التجمل والزينة، ربما يظن النَّاسُ أنَّ الإسلام لا يريد الإنسان الذي يكون حسن المظهر حسن الثياب جميل الهمدام طيب الرائحة!

بالعكس؛ الإسلام يدعو بأن يظهر الإنسان أمام النَّاسِ مُتَجَمِّلًا مُتَزَيِّنًا، ولهذا لما قال النَّبِيُّ ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبَرٍ». قال رجل: إنَّ الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة.

قال: «إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، الكِبَرُ بَطْرُ الحقِّ وغمطُ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

الكِبَرُ: أن ترُدَّ الحقَّ استخفافًا به، أو تزدرى النَّاسَ وتحتقرهم.

أمَّا أن تتجمل فإنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، ولهذا جاء في القرآن:

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

(١) من شعر شهاب الدين الإغزاي، كما في نفح الأزهار في منتخبات الأشعار لشاكر بن مغامس البتلوني ص ٩، تحقيق إبراهيم اليازجي، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ط ٣، ١٨٨٦م.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.





وكان الحسن رضي الله عنه إذا ذهب إلى المسجد تجمل وتزين، ف قيل له:  
ما هذا الذي تفعله؟

فقال: أتزين لربي؛ أمّا قرأتكم قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ ءَادَمَ حُذُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾؟

هذه هي التربية الجسمية التي يريد الإسلام، يريد الإسلام أناساً  
في أجسامهم أقوياء أصحاء سالمين.

هذا هو الذي ينشده الإسلام، وما تسعى إليه التربية الإسلامية،  
وما ينبغي أن نحرص عليه في تربية أبنائنا وبناتنا منذ نعومة الأظفار.

ينبغي للمسلمين أن يحرصوا على هذه النواحي، لو حرصوا عليها  
ما رأينا أنفسنا - للأسف - في مؤخرة بلاد العالم، حيث النظافة  
والصحة والقوة.

ما رأينا أنفسنا في هذا الدرك؛ لأننا لم نفهم الإسلام.

أكثر البلاد تعرضاً للأمراض هي بلادنا؛ نتيجة هذا التخلف الذي  
ربما حسبه بعض الناس من الإسلام، وربما ظنوا أن هذا من طبيعة  
الإسلام، وأن أبناء العالم الثالث معظمهم مسلمون، أن ما هم فيه هو من  
طبيعة دينهم، ودينهم براء ممّا هم فيه، دينهم يدعوهم إلى التقدم في كل  
شيء، ومن ذلك التقدم في الناحية الصحية والجسمية.

\*\*\*



## التربية العقلية للإنسان المسلم

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### مُقَوِّمَاتُ الْمُسْلِمِ الصَّالِحِ:

حديثنا اليوم عن التربية الإسلامية، التربية التي يريد بها الإسلام للإنسان المسلم، بحيث تتكامل جوانب شخصيته، فيكون إنساناً صالحاً لنفسه، مُصلحاً لغيره، مهتدياً إلى الحق، محاولاً أن يهدي غيره إليه، كاملاً في نفسه، أو ناشداً للكمال، مجتهداً أن يكمل غيره كذلك.

هذا الإنسان المنشود لا بدّ أن تكون له مقوّمات الإنسان المسلم الصالح، من الناحية الربّانية الإيمانية - أو ما نسّميه: التربية الدّينية، من الناحية الأخلاقية، وقد بعث النبي ﷺ ليتّم مكارم الأخلاق<sup>(١)</sup>، وإنّما الأمم الأخلاق، وإنّما تقوم المجتمعات بالأخلاق والفضائل، والتربية

(١) إشارة إلى حديث: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ». رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرّجه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وقال: على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

الجِسميَّة، تربية الإنسان القوي، السليم البدن، الخالي من الأمراض، القادر على الحركة، الذي يستطيع أن يقوم بأعبائه الدنيَّة والدنيوية، الفرديَّة والأسرية والاجتماعيَّة، بجسم قوي خشن، قادر على التحمُّل، و«المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»<sup>(١)</sup>.

واليوم نتحدَّث عن جانب مُهمٍّ من جوانب التربية الإسلاميَّة، هو الجانب العقلي، التربية العقليَّة للإنسان المسلم.

الإسلام يريد إنساناً عاقلاً مفكراً، لا يريده آلة صماء، ولا بهيمة عجماء، تُقاد فتناً، يُسحب من أذنيه، لا يدري إلى أين يسير.

ليس هذا هو الإنسان الذي يريده الإسلام، الإسلام يريد إنساناً يُفكِّر برأسه، لا يفكِّر برأس غيره، يريد إنساناً عاقلاً.

الإنسان إنَّما تميَّز عن الحيوانات العجماوات بهذه اللطيفة الربَّانيَّة، به يخاطب، وبه يُثاب ويُعاقب، وعلى أساسه يكلف؛ فالعقل الذي هو أساس التكليف، وعلى أساسه قامت سوق الجنَّة والنَّار، الإسلام يريد هذا الإنسان العاقل المفكِّر.

إذا كانت هناك أديان تضيق بالعقل، ولا ترحِّب بالفكر، وتبني الإيمان على التسليم الأعمى، الذي لا يرى للعقل مجالاً، ولا للفكر متَّسعاً، شعارهم: اعتقد وأنت أعمى. أغمض عينيك ثمَّ اتَّبعني.

هكذا يقول الكاهن أو القسيس لأتباعه: أغمض عينيك ثمَّ اتَّبعني، لا تسأل ولا تناقش، الجهالة أمُّ التقوى، آمن ثمَّ اعلم بعد ذلك.

هذه هي شعاراتهم، وهذه منطلقاتهم، الإسلام يرفض ذلك تماماً.

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، عن أبي هريرة.

## مقومات العقيدة الإسلامية:

الإسلام يقيم العقائد على أساس من البصيرة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

يريد أن يكون الإيمان على بينة: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [هود: ١٧]، على نور: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، على يقين.

لا يريد أن يتسلم المسلم الإسلام ميراثاً من والديه، ومن بيئته الجغرافية، فإذا قيل له: لماذا أنت مسلم؟

قال: لأنني وجدت أبي وأمي مسلمين؛ لأنني وُلدت في أرض إسلامية.

لا، هذا هو إيمان المُقلِّد، الذي رفضه المُحقِّقون من علمائنا<sup>(١)</sup>، ولو كان التقليد كافياً لكفى أولئك المشركين واليهود والنصارى، الذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

يريد الإسلام للمسلم أن يبني إيمانه على البرهان والحجة، ولهذا خاطب الله أصحاب الأديان والعقائد من قبل بهذه العبارة القويّة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، هاتوا برهانكم على ما تعتقدون، على ما تقولون، أعندكم برهان؟

(١) قال الإمام ابن الجوزي: «إنَّ المُقلِّدَ على غير ثقة فيما قلَّد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل، وقيح بمن أُعطي شمعاً أن يُطْفِئها ويمشي في الظلمة!» انظر: تلبس إبليس ص ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾، كما قال فتية أهل الكهف:  
 ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ  
 بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥]، ببرهان واضح.

### إيمان المقلد لا يقبل:

التقليد ليس حُجَّة، ولهذا رفض الإسلام التقليد، وحمل القرآن حملته  
 القويّة على أولئك المقلّدين، الَّذِينَ يُفَكِّرُونَ بعقول غيرهم، وَالَّذِينَ سَلَّمُوا  
 زمام أمورهم للآباء حيّاً، وللسادة الكبراء أحياناً، فقالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا  
 وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ويوم القيامة يأتي هؤلاء المتبوعون  
 والأتباع، السادة الرؤوس والأذنان، يتبرأ بعضهم من بعض، ويحاول كلُّ  
 منهم أن يُلقي الوزر على الآخر، ولكن الله تعالى يحملهم جميعاً الأوزار، كلُّ  
 على قدر مسؤوليته، ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ  
 الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ \* وَقَالَ الَّذِينَ  
 اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ  
 عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

لا بدّ للمسلم أن يبني عقائده على الحجّة، على البرهان القويّ، ولو  
 كان هذا البرهان إجمالياً، ولو لم يستطع أن يعبر عنه تعبيراً منطقيّاً مرتّباً،  
 ولكن إذا سُئِلَ: لماذا آمنت بالله؟

يقول: كيف لا أؤمن بالله؟! مَنْ الَّذِي خلق هذا الكون؟ وَمَنْ الَّذِي  
 خلقني؟ وَمَنْ الَّذِي نظّم هذا الكون كلّهُ؟

هذا معناه أنّه يستدلُّ بالصنعة على الصانع، بالأثر على المؤثر،  
 بالكون على المكوّن، إنّهُ يستدلُّ بقانون فلسفي معروف هو: «قانون  
 العلّية، أو السببية»، أنّ لكلّ معلول علّة، ولكلّ مُسبّب سبباً.

وهذا ما عبّر عنه الأعرابي قديمًا حينما قال: البعرة تدلُّ على البعير،  
وأثر السير يدلُّ على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج،  
وبحار ذات أمواج، أفلا يدلُّ ذلك على العليِّ القدير<sup>(١)</sup>؟!

إذا سُئِلَ: لماذا آمنتَ بالإسلام؟ لماذا آمنتَ بمُحَمَّدٍ ﷺ؟

يقول: كيف لا أؤمن به، وقد جاءنا بهذا القرآن الذي أعجز العرب أن  
يأتوا بمثله؟! كيف لا أؤمن به، وقد نصره الله على أعدائه وكان أقلَّ عددًا  
وأضعفَ عددًا؟ كيف لا أؤمن به؟!

هذه هي الأدلة الإجمالية، إنَّه مُوقِنٌ في نفسه بأنَّ هناك أمورًا وأسبابًا  
تجعله يؤمن بأنَّ هذا القرآن من عند الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، وليس  
لأنَّ أباه مسلم، أو جدّه مسلم.

لا، الإسلام يُرْحَبُ بهذا التفكير العقلي.

### التربية على السؤال والمحاورة:

لهذا نريد من المسلم أن يتربَّى على هذا الأساس من صغره، منذ  
نعومة أظفاره، فلنُربِّه على أن يسأل، ويناقش، ويحاور.

بعض الآباء لا يقبلون من أبنائهم أن يسألوهم سؤالًا، يكمّمون  
أفواههم، ويُخرسون ألسنتهم، فلا يستطيع الولد الصغير أن يسأل أباه،  
وتعرفون أنَّ الأطفال يُكثرون الأسئلة، ويحبُّون أن يعرفوا؛ فالإنسان  
طُلعة بطبيعته، حبُّ المعرفة وحبُّ الاستطلاع دافع فطريٌّ أصيل في  
الإنسان، الإنسان يحبُّ أن يعرف، والطفل يسأل، فلا بدَّ أن تجيبه، بل

(١) ذكره الإيجي في المواقف في علم الكلام (١٥١/١)، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، نشر دار  
الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.



شجّعه على أن يسأل، وحاول أن تقنعه، وأن تخاطبه على قدر عقله، بسّط له المسائل، ولا تكذب عليه، ولا تُضللّه، ولا تُجبه إجابةً غير صحيحة، فسيكتشف ذلك من بعد، ويعرف أنّك كنتَ تكذب عليه، وتسقط من عينه، ولا يثق بك بعد ذلك، حاول أن تشجّع طفلك على أن يسأل ويحاور.

وكذلك الأستاذ في مدرسته، المُعلّم ينبغي أن يُرحّب بأسئلة تلاميذه، ولا يضيّق بهم.

بعض المُعلّمين لا يحبُّ لأحد أن يسأل، ويُخرس تلاميذه، ويعتبر الطالب الذي يسأل قليل الأدب، أو خارجًا عن النظام.

وهذه ليست بتربية.

التربية أن تُشجّعه على أن يتحدّى، على أن يُفضي إليك بما في نفسه، على أن يسأل ويحاور.

هذه هي التربية الصحيحة.

مُجرّد التلقين الذي انتشر في مدارسنا التعليميّة، وفي أنظمتنا التعليميّة كلّها أن الولد يَصُمّ الكتاب صمًّا، ويحفظ المقرّر حفظًا، دون أن يفهم فيه شيئًا.

هذه التربية - إذا جاز أن نسمّيها تربية - لا تُخرج إنسانًا يُفكّر، تُخرج آلات صمّاء، نريد المُتعلّم الذي يستطيع أن يُفكّر.

العالم في المسجد ينبغي أن يفتح صدره لمن يسأله فيما شاء من أسئلة، ولا يضيّق بها.



### النَّبِيُّ يُرَبِّي أَصْحَابَهُ عَلَى الْمَحَاوِرَةِ وَالسُّؤَالِ:

وقد سأل الصَّحَابَةُ النَّبِيَّ ﷺ، وَسَجَّلَ الْقُرْآنُ ذَلِكَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. إلى آخر هذه الأسئلة.

بل سألوه عن الله ﷻ: أَقْرَبُ رَبُّنَا فَنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدُ فَنَادِيهِ؟

وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] <sup>(١)</sup>.

وأحياناً يُبَيِّنُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ مَا اجْتَهِدَ فِيهِ لَيْسَ هُوَ الصَّوَابُ؛ نَعْرِفُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ أَنَّ الْحُبَّابَ بْنَ الْمُنْذِرِ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْمَنْزِلَ الَّذِي نَزَلْتَهُ بِوَحْيٍ أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْكَ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ إِنْ كَانَ وَحِيًّا، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ عَنْهُ وَلَا أَنْ نَتَأَخَّرَ.

قال: «بل هو الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ».

قال: فليس هذا بمنزلٍ يا رسولَ الله، امضِ بالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَنَعْسُكَرُ فِيهِ، ثُمَّ نَغُورُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْآبَارِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلُؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٨٠/٣)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.



فقال النَّبِيُّ ﷺ: «الرأي ما أشار به الحُبَاب، لقد أشرت بالرأي»، ثم أمر بإنفاذه<sup>(١)</sup>.

ولما بعث أبا هُرَيْرَةَ بنعليه، باعتبارهما علامة، يُبَشِّرُ النَّاسَ أَنَّ «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». وقابله عمر في الطريق ووجده ينادي في النَّاسِ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فأمسك به وجاء إلى النَّبِيِّ ﷺ وقال: أنت بعثت بهذا أبا هُرَيْرَةَ، يا رسولَ الله؟ قال: «نعم».

قال: فلا تفعل؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلَّاهُمْ يَعْمَلُونَ. قال رسول الله ﷺ: «فَخَلَّاهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نزل على رأي عمر أَنَّ هذه البشارة رَبِّمَا تُثَبِّطُ بعض النَّاسِ، ويفهمونها خطأ: أَنَّهُ يكفيه من الإسلام أَنْ يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنْ ضَيَّعَ الفرائضَ واقترب الموبقات، فقال: اسكت عن هذا - يا أبا هُرَيْرَةَ - وخلَّ النَّاسِ يَعْمَلُونَ.

هكذا نزل النَّبِيُّ ﷺ عن رأيه إلى رأي عمر، لم يرَ في ذلك حرجًا. بعض النَّاسِ لا يقبلون أَنْ يناقشهم أحد، ولا أَنْ يعترض عليهم أحد، مع أَنَّ الهدهد قال لسليمان: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، عرفتُ من الأخبار ما لم تعرفه.

ينبغي أَنْ نشجّع أبناءنا وتلاميذنا على السؤال، وعلى الحوار.

(١) سيرة ابن هشام (١/٦٢٠)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٣١).

## الأنبياء يحاورون ربهم:

لقد وجدنا من الأنبياء الكرام مَنْ يسأل ربّه ويحاوره ويراجعه، الخليل إبراهيم أبو الأنبياء ﷺ يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمْتُ تُوْمِنُ ۚ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۚ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. أريد أن أرى كيف يحيي الموتى، رؤية معاينة، فقال له الله: ﴿أُولِمْتُ تُوْمِنُ ۚ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۚ﴾. أريد أن أزداد اطمئنانًا، أن أنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين، ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۚ﴾.

لم ير في ذلك حرجًا، وأقرّه الله، وأحيا له الموتى أمامه، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾.

وموسى ﷺ يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَٰكِن أَنُظِّرْ إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ فَلَمَّا تجلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والنبي ﷺ راجع ربّه ليلة الإسراء، حينما فرض عليه الصلّاة خمسين، فظلاً يراجعه ويراجعه، حتّى جعلها الله تخفيفاً على هذه الأمة في العمل خمساً وفي الأجر خمسين<sup>(١)</sup>.

## سلّ عما يشغل تفكيرك:

بعض الصحابة قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، إنّنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلّم به - أي: بعض الأحيان تعثرهم وساوس

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلّاة (٣٤٩)، ومسلم في الإيمان (١٦٣)، عن أبي ذر.

وهواجس تتعلّق بالألوهية - فلأن نحترق حتّى نصير حمماً - أي: فحمّاً  
أسود - أهون من أن نتكلّم به. لا نستطيع أن نعبر عن هذا، يخجلون من  
الكلام في هذا الأمر.

ربّما لو قيل ذلك لأحد مشايخ الدين في عصرنا لقال: له كفرت، أيها  
الكافر الجاحد تشكّ في الله!

ولكن النّبي ﷺ قال لهم: «وقد وجدتموه؟».  
قالوا: نعم.

قال: «ذاك صريحُ الإيمان»<sup>(١)</sup>.

إنكم لم تأخذوا الأمر تقليدًا أعمى، وإنّما تفكّرون، وما دمتم غير  
مستريحين إلى هذه الوسائس، فمعنى ذلك أنّ اليقين هو الأصل، وأنّ  
الإيمان ثابت، وأنّ هذه عوارض طارئة لا تلبث أن تزول. «ذاك صريحُ  
الإيمان»، هكذا علّمهم النّبي ﷺ.

نحن في حاجة إلى أن نربّي أبناءنا وتلاميذنا وشبابنا ورجالنا تربية  
عقلية سليمة، إنّما نجح المستبدّون والطغاة في قيادة شعوبنا كالبهائم  
العجماوات وراءها؛ لأنّنا - للأسف - منذ الصغر لم نربّهم تربية مستقلة،  
ربّيناهم على أن يكونوا إمّعات، ذيولاً، يقول أحدهم: أنا مع النّاس، إن  
أحسنوا أحسنت، وإن أساءوا أسأت.

وليس هذا شأن الإنسان المؤمن، الإنسان المؤمن ليس إمّعة،  
«لا تكونوا إمّعة، تقولون: إنّ أحسن النّاس أحسنّا، وإنّ ظلموا ظلمنا، ولكنّ  
وطّنا أنفسكم، إنّ أحسن النّاس أن تُحسنوا، وإنّ أساءوا فلا تظلموا»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٣٢)، وأحمد (٩٦٩٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، عن حذيفة.

### خصائص العقلية العلمية:

إنَّ من أعظم ما جاء به القرآن الكريم هو: إنشاء العقلية العلمية، العقلية الواعية في مقابل العقلية العامية، الخرافية التي تصدق بكل شيء، وتقبل كل دعوى.

لا، الإسلام يُكوّن العقلية العلمية، ولهذه العقلية خصائص:

#### أولاً: لا تقبل دعوى بغير دليل:

لا تقبل شيئاً بغير دليل، في الأمور العقلية لا بدّ من برهان عقلي، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وفي الأمور الحسية لا بدّ من مشاهدة أو تجربة، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]، ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].

وفي الأمور النقلية لا بدّ من صحّة النقل وتوثيقه، ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، الاحتكام إلى العلم في كلّ الأمور، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

#### ثانياً: رفض الظنّ في موضع اليقين:

من ناحية ثانية: يرفض القرآن الظنّ في موضع اليقين، حينما نريد أن نوّسس العقائد، وأن نبني الحقائق، لا بدّ أن نبنيها على اليقين الذي لا يعتريه شكّ بحال، ولهذا عاب القرآن على المشركين اتّباعهم للظنون

في مواضع اليقين فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]، وقال عن النصارى في اعتقادهم صلب المسيح: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧]، الظنون مرفوضة في موضع اليقين.

### ثالثًا: تحكيم الحقائق لا الأهواء:

ثم بعد ذلك: الأهواء مرفوضة، لا يجوز أن تتَّبَعَ العواطف والاعتبارات الشخصية وأهواء النفوس في الأمور الموضوعية، أن يكون الإنسان موضوعيًا يحكم الحقائق الموضوعية وحدها، ومن هنا حذر القرآن من اتِّبَاعِ الأهواء، أهواء النفس أو أهواء الغير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، ويقول عن المشركين: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣].

### رابعًا: التحرُّر من التأثر بالعقل الجمعي:

حمل الإسلام على الجمود والتقليد للآباء والكبراء كما قلنا، ثم بعد ذلك دعا الإسلام الإنسان المسلم إلى أن يفكر في الحقائق الكبرى، يفكر بعيدًا عن تأثير العقل الجمعي، وحده، أو مع صاحب له، يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرٍ مُثْقَلٍ وَفِرَادَىٰ ثَمَرٍ مُثْقَلٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، مثني وفرادى، أنت مع صديق لك، أو أنت وحدك، بعيدًا عن تأثير الجماهير من حولك؛ فإن التفكير الجمعي هذا أحيانًا لا يصل إلى الصواب، تحكمه الأهواء والعواطف واعتبارات

كثيرة. ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، أي: مخلصين في طلب الحقيقة، ﴿مَثْنَى وَفُرْدَى ثُمَّ نَنْفَكُوا﴾، هذا ما دعا إليه القرآن المشركين وغيرهم، ﴿أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾.

ولهذا قال العقّاد: التفكير فريضة إسلاميّة؛ لأنّ الذي أمر بالصلاة والزكاة هو الذي أمرنا أن نفكر ونتدبّر ونتأمّل.

### مجالات التفكير المطلوب:

ومجال التفكير والنظر والتدبّر واسع، هناك التفكير والتأمّل في النفس، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، انظر في نفسك، كيف كنت جنينًا، حتّى صرت بشرًا عاقلًا، انظر إلى هذا الشيء الصغير وهو الحيوان المنوي، الذي اختلط ببويضة، فأصبحت كائنًا حيًا يتكاثر، إلى أن صرت هذا الإنسان الذي يمشي على الأرض، ويتناول كأنه يدك الأرض، أو يبلغ الجبال طولًا.

تأمّل في نفسك، وتأمّل في العالم من حولك، في أرضه وسماؤه، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، هذا العالم الواسع، من الذرة إلى المجرة هو مجال نظرك، ومسرح تفكيرك إن كنت من أولي الأبواب، أي: من أصحاب العقول.

لم يوجد كتاب ديني يؤهّ به أولي الأبواب، وأولي النُهي، أي: أصحاب العقول، إلّا القرآن الكريم، جاء يخاطب الناس، ويذكّرهم بهذه المعاني؛ فهو آيات لقوم يعقلون، ولقوم يتفكّرون، ولقوم يعلمون.



## الكون مسرح لتفكيرك.

التاريخ كله، وسنن الله في قيام الأمم وسقوطها مسرح لتفكيرك ونظرك، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

القرآن مسرح لتفكيرك، ﴿كُنْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

الشريعة الإسلامية بأحكامها وقواعدها مسرح لتفكيرك؛ فإن الله ﷻ ما شرع شيئاً إلا لحكمة، وإلا لمصلحة، ولهذا علل القرآن الأحكام في آيات كثيرة، وعلل النبي ﷺ الأوامر والنواهي في أحاديث شتى، قال ابن القيم: «والقرآن وسنة رسول الله مملوءان من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح وتعليل الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام، ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة»<sup>(١)</sup>.

انظر إلى القرآن حين يقول: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، لتقسيم الفيء على الفئات الضعيفة دون الفئات القادرة والغنية في المجتمع.

(١) مفتاح دار السعادة (٢٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

ويقول عن القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ويقول عن القتال في سبيل الله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

يعلل الأحكام.

وهناك أناس في عصرنا - للأسف - ينظرون للأحكام الإسلامية والنصوص الإسلامية نظرة ظاهرية جامدة، لا يربطون الأحكام بحكمها ولا بعلمها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*







## مقومات التربية الاجتماعية الدعوة إلى الله

### الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ما زال حديثنا موصولاً حول التربية الإسلامية، التربية الإسلامية بمعناها الواسع العميق، الذي يشمل جوانب الحياة كلّها.

تحدّثنا عن أنواع منها، وما زلنا مع التربية الاجتماعية، التي تعني: تربية الإنسان المسلم ليعيش في المجتمع عضواً نافعاً عاملاً، يُعطي أكثر ممّا يأخذ، ويضحّي أكثر ممّا يستفيد.

وهذه نظرة الإسلام إلى الإنسان في مجتمعه؛ فهو ينبوع يفيض بالخير لكلّ من حوله، وما حوله، يتدفّق بالبركة، يحبّه من حوله، يألف الناس ويألفونه، يحبّهم ويحبّونه.

وهذا هو الإنسان المسلم.

### ما استحقّ أن يولد من عاش لنفسه فقط:

تحدّثنا عن مقوّمات التربية الاجتماعية، عن عدد من هذه المقوّمات، وبقي منها: أنّ الإسلام يريد للإنسان في مجتمعه أن يكون هادياً داعياً ناصحاً

أمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، أي: إِنَّ الإنسان المسلم لا يعيش لنفسه، لا يحصر الهدى الذي هداه الله إليه في دائرته الخاصة، وَيَدْعُ النَّاسَ فِي ضلال وعمى، بل إِنَّه كما اهتدى يحاول أن يهدي، وكما استنار يريد أن ينير. إِنَّه كما لا يقبل أن يشبع والنَّاس من حوله جائعون، لا يقبل كذلك أن يكون مهتديًا والنَّاس من حوله ضالُّون، لا يقبل أن يعيش في نور والنَّاس في ظلمات يتخبَّطون.

لهذا يسعى المسلم أن يُشعَّ على مَنْ حوله، وأن يمدَّ النُّور الذي هداه الله إليه، إلى كلِّ النَّاس إن استطاع.

### أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ:

فبدأ بأقرب النَّاس إليه، يبدأ بأهله، وبزوجته، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

يبدأ بأبيه، وأمه، وأولاده، وبناته، بكلِّ مَنْ حوله، وبخاصَّة أولاده، ذريَّته، فهو مسؤول عنهم، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، يدعوهم، يعلمهم، ينصح لهم، يعظهم، يذكرهم، يرغبهم في الخير، ينفرهم من الشرِّ، يعوِّدهم على خصال الخير، وعلى طاعة الله منذ نعومة الأظفار، كما جاء في الحديث: «مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سَنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سَنِينَ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وقال مخرَّجه: إسناده حسن. وأبو داود في الصَّلَاة (٤٩٥)، وحسنه النَّوَوِي في رياض الصالحين (٣٠١)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٥٠٩): إسناده حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو.

حينما يُتَمُّ الغلام أو البنت سبع سنين من العمر، عليك أن تعلمه الصَّلَاة، وتأمره بالصَّلَاة، فإذا بلغ العاشرة فعليك أن تؤدِّبه إذا لم يستجب لأمرِك بالصَّلَاة؛ فالإسلام أعطاك فرصة ثلاث سنوات تأمر وتنهى، وترغب وتحبب، فإذا مضت هذه الثلاث ولم يبقَ إلَّا الشَّدة فلتشتدَّ، كما قيل:

قَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا      فليقسُ أحيانًا على مَنْ يَرْحَمُ<sup>(١)</sup>

يبدأ المسلم بالدعوة والنصيحة لأقرب النَّاس إليه، ثمَّ يمتدُّ إلى مَنْ وراء ذلك، إلى الأقارب، الجيران، المجتمع كلّه.

هذا هو شأن الإنسان المسلم، كلُّ مسلم داعية، يدعو إلى الخير، إلى الحقِّ، إلى المعروف، إلى الإسلام، بحسب استطاعته.

هناك مَنْ يدعو بتأليف كتاب، وهناك مَنْ يدعو بإلقاء محاضرة أو خُطبة، وهناك مَنْ يدعو بتدريس كتاب، وهناك مَنْ يدعو بالكلمة الطيبة، بالقدوة الحسنة، بالصُّحبة الصالحة، بالمعايشة الكريمة.

وكلُّ هذه من وسائل الدعوة إلى الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

### كلُّ مسلم مطالب بالدعوة:

كلُّ مسلم داعية بقدرٍ من الأقدار، كما قال تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فكلُّ مَنْ اتَّبَعَ رسول الله ﷺ، فهو داعية إلى الله، وداعية على بصيرة.

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٩٩/٢)، بلفظ مشابه، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

وكلُّ مسلم مخاطب بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

المسلم داعية إلى الخير، وليس هناك من خير أعظم من الإسلام، هو الخير كلُّ الخير، الإسلام بعقائده، بعباداته، بأخلاقه، بآدابه، بتشريعاته وأحكامه، الإسلام كلُّه خير، فادْعُ إلى الإسلام، إلى ما تعرف منه، حتَّى لو رأيتَ شيئاً قليلاً تعرف أنه خير فعلمه غيرك.

إذا رأيتَ مَنْ أخطأ فصوّب خطأه، إذا رأيتَه يصلي صلاة غير صحيحة فعلمه الصّلاة السليمة.. وهكذا.

### مُرّ بالمعروف وانه عن المنكر:

مُرّ بالمعروف وانه عن المنكر، فهذا ممّا فضّل الله به هذه الأمة وأعطاهها منزلة الخيرية على سائر الأمم، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذا سبب خيريّتها، أنّها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأنت فرد من هذه الأمة، فعليك أن تأمر وتنهى في دائرتك.

لقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُكْسِبُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢]، فكما أنّهم تائبون عابدون حامدون وراكعون ساجدون، هم كذلك أمرون بالمعروف ناهون عن المنكر، فهي فريضة من الفرائض.

وقد لعن من قبلنا من الأمم؛ لأنّهم فرّطوا في هذه الفريضة، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، ولماذا لعنوا على لسان هؤلاء الأنبياء العظام؟! يقول تعالى:

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ  
فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾، أي: لا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكر،  
يرى أحدهم المنكر فيسكت عليه، «يسدُّ أذنًا من طين، وأذنًا من عجين»،  
كما يقولون، والساكت عن الحقّ شيطان أخرس.

لا ينبغي للإنسان أن يسكت على باطلٍ أو منكر يراه، وإنّما عليه أن  
يأمر في حدود استطاعته، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وقد بيّن لنا النّبِيُّ ﷺ فيما يعتبر شرّاً لهذه الآية: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ  
النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يُلْقِي أَخَاهُ وَهُوَ عَلَى الْمُنْكَرِ،  
فَيَقُولُ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ. ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ الْغَدَا أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ  
وَشَرِيبَهُ وَجَلِيسَهُ».

يقول له كلمة باللسان، ولكنّه يؤاكله ويشاربه ويجالسه، ويصاحبه  
ويؤماسيه.

«فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوبَ بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان  
داود وعيسى ابن مريم».

ويقول النّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيُعَاجِلَنَّكُمْ اللَّهُ بِعِقَابٍ  
مِنْ عِنْدِهِ»<sup>(١)</sup>.

تأطرون أهل المنكر، أي: تحملونهم على الحقّ حملاً.

(١) رواه أحمد (٣٧١٣)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٦)، والترمذي  
في التفسير (٣٠٤٧)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٦)، عن ابن مسعود.

### عقوبة المنكر تصيب المجتمع بأسره:

وفي الحديث: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

المنكر كالحريق إذا لم يبادر الناس إلى إخماده وإطفائه بكل ما يستطيعون، فسرعان ما يتطاير شرره، ويتفاقم ضرره، ويتضاعف خطره، من هنا إلى هناك، حتى يلتهم الأخضر واليابس، ويلتهم الشخص الذي سكت عليه من قبل، وقال: ما لي وللمنكر، ما دمت لا أفعل المنكر فلا يهمني.

لا! إِنَّ المنكر حريق، إذا لم تطفئه سيصل لهبه إليك، ستصطلي بلظاه، سينتشر وينتشر.

ولهذا إذا سكت على فساد، على انحلال فاحذر؛ لأنَّ هذا المنكر إذا تُرك سيقوى عوده ويشتدُّ، وينتشر ويمتدُّ، حتى يصل إلى بيتك، وسيدخل على نسائك، على بناتك، على أبنائك، بل يدخل عليك أنت، تتأثر به وأنت لا تدري؛ فإنَّ السوء يُعدي، كما يُعدي الأجرُ السليم.

### المجتمع المسلم قائم على التناصح:

ولهذا ربَّى الإسلامُ المسلمَ على أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في حدود ما يستطيع، وجعل ذلك فريضة من فرائض الدين،

(١) رواه أحمد (١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي في الفتن (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

وعبر عنها بالأمر والنهي، والدعوة، كما عبر عنها بالنصيحة، كما في حديث تميم الداري، يقول النبي ﷺ: «الدِّينُ النصيحة».

لُبُّ الدِّينِ هو النصيحة.

قالوا: لمن يا رسول الله؟

قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(١)</sup>.

بذل النصيحة للخاصة والعامة، للحكام والمحكومين، للكبار والصغار، تنصح للجميع، وتخلص لهم النصيحة، تقول لهم النصيحة، ولا تخشى في الله لومة لائم، ومن لم يصبح ناصحاً لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فليس منهم؛ فالمؤمنون قوم نصحة بعضهم لبعض، والمنافقون قوم غشاة بعضهم لبعض.

وقد وصف الله تعالى مجتمع المؤمنين فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

ووصف المنافقين بقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

وهذا شرُّ ما يُصاب به مجتمع، كما حذر من ذلك النبي ﷺ فقال: «كيف بكم إذا فسق شبابكم وطغى نساؤكم؟».

قالوا: يا رسول الله، إنَّ ذلك لكائن؟

قال: «وشرُّ من ذلك سيكون؛ كيف بكم إذا رأيت المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم الداري.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا (٣٢)، وعبد الغني المقدسي (٥٦)، كلاهما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال العراقي في تخريج الإحياء ص ٧٨٤: إسناده ضعيف. عن أبي أمامة الباهلي.



### شُرُّ ما تصاب به الأمة انقلاب الموازين:

إذا فسدت الحاسّة الدّينيّة، الحاسّة الأخلاقيّة عَمِيَتْ عَيْنُ البصيرة، واختلّت الموازين، فأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، أصبحت التقاليد السيّئة والعادات المُستوردة تُعبّر عن الرقي والحضارة، وأصبحت التقاليد الإسلاميّة تُعبّر عن التخلف والرجعيّة، أصبح الإنسان الذي لا يقف عند حدود الله، ويُقلّد الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع، إنساناً متحضراً، إنساناً مُتمدّناً، والإنسان الذي يُؤدّي فرائض ربّه، ويلتزم أوامره ونواهيه، هذا الإنسان يُضحّي إنساناً رجعيّاً متخلفاً.

وشُرُّ من ذلك ممّا يمكن أن تصاب به الأمة: أن تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف، أن تأمر بما ينكره الله ورسوله والمؤمنون، بما ينكره الشرع، وأن تنهى عن المعروف الذي تعرفه الفطر السليمة والعقول الرشيدة، وهو ما جاء به الشرع الشريف.

وهذه صفة المنافقين، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

### المؤمن مرآة أخيه:

أمّا المؤمنون، فيقول الله تعالى عنهم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وكما جاء في الحديث: «المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيها عيباً أصلحه»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٨)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٦٧/٨)، وحسن إسناده الحافظ في بلوغ المرام (٣٠٩/١)، وحسن إسناده الألباني في الأدب المفرد (١٧٧)، عن أبي هريرة.



فكما يرى الإنسان عيبه في المرأة، يرى عيب نفسه عند أخيه، فيقول له: أنت أخطأت في كذا وكذا، وعليك أن تفعل كذا وكذا، وعلى المنصوح أن يتقبَّل النصيحة من أخيه إن كان مسلماً صالحاً، كما كان عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: أيُّها النَّاس، رحم الله امرأً أهْدَى إليَّ عيوبي <sup>(١)</sup>.

وكما قال أبو بكر رضي الله عنه: إن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني <sup>(٢)</sup>. ولما قال رجل لعمر رضي الله عنه: اتَّق الله يا عمر بن الخطاب، وأراد بعض جلساء عمر أن يؤذيه، وقالوا له: لقد أسأت إلى أمير المؤمنين. قال عمر: دعوه يقلها، لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها <sup>(٣)</sup>.

### التواصي بالحق شرط النجاة من الخسران:

لا بدَّ من دعوة وأمر ونهي ونصيحة، وهذا ما عبَّر عنه القرآن بتعبير آخر، هو التواصي بالحقّ والتواصي بالصبر، فلا ينجو الإنسان من خسران الدُّنيا والآخرة إلَّا إذا وصَّى بالحقّ، ووصَّى بالصبر، وقبل الوصية من غيره بالحقّ، وقبل الوصية من غيره بالصبر.

لا بدَّ من الأمرين معاً، يوصي غيره، ويسمع الوصية من غيره، فكما أن من حقّه أن ينصح، فمن واجبه - أيضاً - أن يسمع النصيحة، وليس هناك أحد أصغر من أن ينصح، ولا إنسان أكبر من أن يُنصح.

(١) إحياء علوم الدين (٦٤/٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٢١٠/٣)، نشر دار التراث، ط ٢، ١٣٨٧هـ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤١٥/٩)، وصحح إسناده، عن أنس. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٧٧٣/٢)، تحقيق فهد محمد شلتوت، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩هـ.

كلُّ إنسان ناصح ومنصوح له، موصٍ وموصى، وهذا معنى قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣].

والتواصي صيغة تدلُّ على تفاعل من الجانبين، وهذا شرط من شروط النجاة من الخسر؛ قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

لا يكفي أن تقول: أنا مؤمن أعمل الصالحات، أنا أصوم وأصلي وأؤدي الزكاة وأحج وأعتمر، فما لي وللناس؟ ما لي ولفساد الناس؟ ماذا عليّ إذا ضاع الإسلام أو بقي؟ ماذا عليّ إذا هجم اليهود على فلسطين، أو هجم الشيوعيون على أفغانستان، أو هُزم المسلمون ضدّ الصليبيين في الفلبين؟ ما لي ولهؤلاء؟! غير مرخصة للطباعة

لا بدّ أن يكون لكلّ مسلمٍ دور؛ فهو جزء من الأمة المسلمة، لا بدّ أن ينصح للمسلمين؛ أئمتهم وعامتهم، لا بدّ أن يكون لكلّ مسلم دور مع هذه الأمة، و«مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

### أَيْكُلُ الْمُسْلِمُ عَنِ الدَّعْوَةِ وَيَنْشِطُ الْآخَرُونَ؟

ليس بمؤمن من عاش في حدود نفسه فقط ناسياً هموم الأمة الإسلامية، ناسياً أعباءه باعتباره مسلماً يعيش في هذا المجتمع، وهذه الأمة الكبيرة، فأنت مسؤول إذا كان الإسلام مضيئاً فإنما ضيئه أهله، وأنت منهم.

إذا كانت الشريعة معطّلة، فإنما عطّلها المسلمون، وأنت منهم.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣)، والصغير (٩٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة.

إذا شاع المنكر والفساد في بلد، فإنّما شاع بسكوت أهل الخير، وأنت منهم.

إذا ضاعت الفرائض وعُطّلت الأحكام، فذلك بسبب تخاذل المسلمين، بسبب أن كلّ واحد يقول: نفسي نفسي، ما لي وللناس؟ ما لي وللإسلام؟ ما لي وللمسلمين؟ ما لي وللشريعة؟ ما لي وللخلافة؟ إلى آخر ذلك. وإذا قال كلّ إنسان: ما لي، فمن للإسلام؟

لقد وجدت اليهوديّة من ينصرها، ويدافع عنها، ويقيم لها دولة، تُحيي ما مات من آلاف السنين، وتُسمّى دولتها باسم ديني، اسم إسرائيل.

تقيم اليهوديّة دولة في قلب ديارنا العربيّة والإسلاميّة، وتغتصب مسجداً الأقصى، وتعبث في أرض المقدّسات والنبوّات، وتنتهك الحرّمات، وتسفك الدماء، وتُزهق الأرواح، هذه اليهوديّة وجدت من يعمل لها.

كما وجدت النّصرانيّة من يعمل لها، هناك جيوش جرّارة من المُبشّرين والمُبشّرات يغزون العالم بهذه العقيدة الباطلة، التي تؤلّه البشر، تجسّد الألوهية في بشر، هذه العقيدة وجدت هناك من ينشرها، وينصرها، حتّى في بلاد المسلمين، يعملون على تنصير المسلمين.

فقد وجدت النّصرانيّة من يرصد لها ألف مليون دولار لتنصير المسلمين في العالم.

بل وجد مذهب الشيوعيّة الباطل من ينشره، ويُشيّعه في النّاس، حتّى في قلب ديارنا الإسلاميّة، هناك من يدعو إلى الشيوعيّة ويقيم المبادئ الشيوعيّة، في قلب ديارنا العربيّة والإسلاميّة نفسها، هناك من يدخل السجون من أجل الشيوعيّة.

بل حتّى الوثنيّة، حتّى الذين يعبدون الأصنام، ويعبدون البقر، يعملون من أجل دينهم، ويذبحون المسلمين ويسفكون دماءهم من أجل هذه الوثنيّة الباطلة.

هل يمكن أن يبقى الإسلام وحده، دون أن يجد رجالاً يدافعون عنه، ويدعون إليه ويعيشون بهومهم؟! هذا لا ينبغي أبداً.

### التواصي بالصبر بعد التواصي بالحق:

الإسلام لا يقبل من المسلم أن يعيش في دائرته الخاصّة، فإذا كان المسلم يريد النّجاة من الخُسر، من خُسر الدُّنيا والآخرة، من الهلاك والبوار والضياع، فليكن ممّن يتواصون بالحقّ، ويتواصون بالصبر.

وإنّما كان التواصي بالصبر بعد التواصي بالحقّ؛ لأنّ طريق الحقّ طويل، طريق محفوف بالمخاطر، كما قال ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»<sup>(١)</sup>.

طريق مليء بالأشواك، مضرّج بالدماء، طريق النّبيين والمرسلين والمصلحين، إنّهُ طريق مُتعب، طريق كما قال فيه ابن القيّم: «طريق تعب فيه آدم، ونوح لأجله نوح، ورُمي في النّار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضعة سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيّد الحصور يحيى، وقاسى الضّرّ أيّوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى مُحمّد»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في صفة الجنّة (٢٨٢٢)، عن أنس بن مالك.

(٢) الفوائد ص ٤٢، نشر دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

ومن أجل هذا كان لا بدّ من الصبر، كما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنِي أَقْمِرُ الصَّكْلَةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، ما دُمت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ما دمت جنّدت نفسك للدعوة إلى الله والنصح للناس، فوطّن نفسك على احتمال المكاره منهم، ووطّن نفسك على الصبر، ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

### ما دخل الرفق في شيء إلا زانه:

المسلم - بحكم رسالته - داعية، آمر، ناهٍ، ناصح، موصٍ بالحق، ولكن عليه أن تكون دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يُجادل بالتي هي أحسن، أن يستخدم الرفق في علاقاته، وفي دعوته، أن لا يكون فظًا غليظ القلب، وقد قال الله تعالى لنبّيه، وهو المؤيّد المعصوم: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْنَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولهذا لا بدّ من الرفق، ف«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»<sup>(١)</sup>، و«ما دخل الرِّفْقُ في شيءٍ إلا زانه، ولا نزعَ من شيءٍ إلا شانه»<sup>(٢)</sup>.

استعمل الرفق، الحكمة، الكلمة الطيبة، جادل بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أخشن، انظروا إلى إبراهيم عليه السلام حين كان يدعو أباه وهو مشرك يعبد الأصنام، ﴿يَتَأْتِيَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَتَأْتِيَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا \* يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا \* يَتَأْتِيَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٥]، بهذا الأسلوب الحسن الجميل، دعا إبراهيم أباه إلى الله، بدأ ببناء الأبوة حتّى يرقّق قلبه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في الآداب (٢١٦٥)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٣٠٧)، عن عائشة.

كما رأينا في مؤمن آل فرعون، وهو يتحدث مع قومه، فرعون ومن معه: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]، قال لهم بلسان الجماعة (من ينصرنا)، لم يقل لهم: مَنْ ينصركم؛ لأنه يعدُّ نفسه واحداً منهم، هم قومه وليس غريباً عنهم، فلذلك ينسب نفسه إليهم، ويقول: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: ٣٠]، ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]، ﴿يَقَوْمِ أَتَبْعُونَ أَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨].

لم يفعل كهؤلاء الشباب الذين يعتبرون أنفسهم أعلى من قومهم، ويعتبرون قومهم ليسوا منهم، مع أنهم مسلمون مثلهم، وهذا مؤمن آل فرعون يناديهم (يا قوم)، مع أنهم كفار؛ ليجذبهم إليه، ويقربهم منه.

### مَنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ: فليكن أمره بمعروف:

دخل رجل على هارون الرشيد ليعظه ويأمره وينهاه فأغلظ عليه، وكان هارون رجلاً حكيماً، وعلى علم بكثير من الفقه، فقال له: يا هذا ارفق؛ فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شرُّ مني، وأمره بالرفق.

قال: مَنْ؟!

قال: إِنَّ اللَّهَ بعث موسى وهارون، وهما خير منك، إلى فرعون وهو شرُّ مني، وقال لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿ [طه: ٤٣، ٤٤] <sup>(١)</sup>.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠١/٧٣)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.





هذه وصية الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام، وقد عملا بها، فلمّا ذهب موسى إلى فرعون، ناداه بهذا النداء الرقيق: ﴿هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ أَن تَزُكِّيَ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَنَخْشِيَ﴾ [التّٰزعات: ١٨، ١٩]، قال له: ﴿هَلْ لَكَ﴾ أسلوب استفهام.

ينبغي للإنسان أن يتسلّل إلى قلب المدعّوين بالعبارات الحسنة، بالكلام الجميل، بالملاطفة، ولا يستفزّ النَّاس بالخشونة، فيجعلهم أعداء له، فمَن أمر بمعروفٍ ليكن أمره بمعروفٍ.

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هو ما نوصي به كلّ مسلم، وخصوصًا من نصّب نفسه لدعوة النَّاس وهدايتهم؛ حتّى تُؤتي الدعوة أكلها.

فإذا وقفنا مستعلين على النَّاس، ننظر إلى النَّاس من علوّ، نحن في القمّة وهم في القاع، نحن المهتدون وهم الضّالّون، فهذا شعور سيّئ؛ لأنّ المؤمن يشعر دائماً بأنّه مقصّر ومفترط، ولعلّ الله يتوب على هذا الإنسان الذي تستحقّره وأنت تدعوه، فيكون أفضل منك.

هذا ما ينبغي أن نرّبي عليه المؤمن، هذا ما ينبغي أن نُكوّن عليه الإنسان المسلم الصّالح، الإنسان النّاجي في سورة العصر.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### فضل التبكير إلى الجمعة:

ما زِلْتُ أَرَى كَثِيرًا مِنَ الْمَصْلِيِّينَ يَأْتُونَ مُتَأَخِّرِينَ، وَبِهَذَا يُضَيِّعُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَثُوبَةً عَظِيمَةً؛ فَقَدْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ تَبَيَّنُ أَنَّ النَّاسَ فِي قَدُومِهِمْ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَإِلَى مَسْجِدِ الْجُمُعَةِ دَرَجَاتٌ وَمَرَاتِبٌ، هُنَاكَ مَنْ يَفُوزُ بِأَجْرٍ مَنْ قَدَّمَ «بَدَنَةً»، أَي: قَرَّبَ نَاقَةً، ذَبَحَهَا لِلَّهِ وَجَلَّ؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ»<sup>(١)</sup>.

وَالسَّاعَةُ هُنَا لَيْسَتْ السَّاعَةُ الْفَلَكَيَّةُ، سِتِّينَ دَقِيقَةً، وَإِنَّمَا السَّاعَةُ: فَتْرَةٌ مِنَ الزَّمَنِ، إِذَا اعْتَبَرْنَا النَّاسَ أَفْوَاجًا، فَالْفُوجُ الْأَوَّلُ يُقَدِّمُ بَدَنَةً، وَالفُوجُ الثَّانِي يُقَدِّمُ بَقْرَةً.. وَهَكَذَا.

حَتَّى إِذَا صَعِدَ الْإِمَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ، طُوِيَتِ الصُّحُفُ، طُوِيَ السَّجْدُ، وَهَذَا كَمَنْ يَأْتِي مُتَأَخِّرًا لِلْعَمَلِ (لِلدَّوَامِ)، فَيَعْتَبَرُ مُتَأَخِّرًا، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ.

وَبِهَذَا يُحْرَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ ثَوَابِ التَّبَكِيرِ، وَلَا أَدْرِي لِمَاذَا يَتَأَخَّرُ النَّاسُ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي (٨٨١)، وَمُسْلِمٌ فِي الْجُمُعَةِ (٨٥٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.



حتَّى يصعد الخطيب على المنبر، حتَّى إِنَّ منهم مَنْ يدخل في الخطبة الثانية، بل في آخرها أيضًا؟

لماذا يَحْرَم الإنسان نفسه عن مثوبة التبكير، ومثوبة صلاة ركعتي تحية المسجد، وهي سُنة مؤكّدة، تؤدّي حتَّى لو كان الإمام يخطب؟

لماذا ينتظر الإنسان حتَّى نهاية الوقت ليذهب إلى الجمعة، مع أنّ حضوره مُبَكِّرًا فيه مثوبة عظيمة، وجلوسه في المسجد لون من الاعتكاف، فلا يزال الرجل يُعتبر مُصَلِّيًا ما بقي في المسجد ينتظر الصّلاة، كما قال ﷺ<sup>(١)</sup>.

أرجو أن نراجع أنفسنا في مثل هذه العادات التي تعوّدناها، ولا معنى لها، وأن نحرص على مثوبة الله تبارك وتعالى حيثما كنّا.

اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في الدّين والدُّنيا والآخرة.

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا ديانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، والموت راحة لنا من كلّ شرّ.

اللهمّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصّلاة ما لم يُحدث». رواه البخاري في الوضوء (١٧٦)، ومسلم في المساجد (٦٤٩)، عن أبي هريرة.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

\*\*\*



## مَقَوِّمَاتُ التَّربِيَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لِلْفَرْدِ الْمُسْلِمِ (الزَّوْج)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:  
فَقَدْ تَحَدَّثْنَا فِيمَا مَضَى عَنِ التَّربِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، التَّربِيَةِ كَمَا يَنْشُدُهَا  
الْإِسْلَامُ، التَّربِيَةَ لِلْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ فِي مَجْتَمَعٍ مُسْلِمٍ.  
تَحَدَّثْنَا عَنْ أَنْوَاعٍ مِنَ التَّربِيَةِ، وَمِنْهَا: التَّربِيَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ، تَرْبِيَةُ الْإِنْسَانِ  
الْمُسْلِمِ لِيَتَكَيَّفَ مَعَ مَجْتَمَعٍ مُسْلِمٍ.  
وَالْيَوْمَ نَتَحَدَّثُ عَنْ شَيْءٍ مُهِمٍّ يَتَعَلَّقُ بِالتَّربِيَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِالْإِنْسَانِ فِي  
الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، كَمَا يَرِيدُهُ لَهُ الْإِسْلَامُ، ذَلِكَ هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالزَّوْجِ.

### الزَّوْجُ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ:

يَرْبِّي الْإِسْلَامُ أَبْنَاءَهُ عَلَى عِدَّةٍ مِنْ مَبَادِيٍّ تَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْحَيَوِيِّ، أَوَّلُ  
هَذِهِ الْمَبَادِي: هَذِهِ الْمَبَادِي:

### الْمَبْدَأُ الْأَوَّلُ: الزَّوْجُ خَيْرٌ لَا بَدَّ مِنْهُ:

يَدَّعِي بَعْضُ الْغَرِيبِينَ أَنَّ الزَّوْجَ شَرٌّ لَا بَدَّ مِنْهُ، وَالْحَقُّ أَنَّ الزَّوْجَ  
لَيْسَ شَرًّا، بَلْ هُوَ خَيْرٌ، وَفِيهِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ لِدِينِ الْمَرْءِ وَلِدُنْيَاهِ.

## الزواج أساس بقاء النوع الإنساني:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَجَعَلَ فِي الْكَوْنِ سُنَنًا، وربط الحياة بشبكة من الأسباب والمسببات، فلولا الزواج ما بقي الإنسان، لولا الزواج ما بقيت هذه الحياة، ما استمرَّ هذا النوع الإنساني كما شاء الله له؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، بهذا التناسل يبقى هذا الكون.

إِنَّ اللَّهَ زَوَّدَ هَذَا الْإِنْسَانَ بِغَرَائِزٍ، بدوافع أصلية، لم يغرزها في الإنسان عبثًا، إِنَّمَا غَرَسَهَا فِيهِ لِحُكْمَةٍ، ومن ذلك هذه الغريزة التي يُسَمُّونها: «الغريزة الجنسيَّة».

والغريزة: سائق إلهي، وسائق فطري؛ ليبحث الإنسان عن شريكة له، وتبحث المرأة عن شريك لها، وبهذا تُصَرِّفُ هذه الطاقة الفطريَّة في الحلال.

هناك فلسفات وأديان ومذاهب قامت على مصادرة الغريزة، والنظر إليها على أنَّها رجس من عمل الشيطان، وأنَّها قذارة وانحطاط لا يليق بالإنسان.

ولكن الإسلام لم ينظر إليها هذه النظرة، إِنَّمَا نَظَرَ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا شَرٌّ إِذَا اسْتُخْدِمَتْ فِي غَيْرِ الْحَلَالِ، وَأَنَّهَا خَيْرٌ إِذَا اسْتُخْدِمَتْ فِي دَائِرَةِ الْحَلَالِ، ولهذا سَدَّ أَبْوَابَ الْحَرَامِ، وفتح أَبْوَابَ الْحَلَالِ؛ لِيُصَرِّفَ الْإِنْسَانُ طاقته عن طريق الزواج، «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مِنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةُ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»<sup>(١)</sup>.

(١) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النِّكَاحِ، عن ابن مسعود.

## الزواج تصريف مباح للغريزة:

في الزواج تحصين للإنسان من طغيان الغريزة، وهي غريزة عاتية طاغية، حتّى إنَّ يوسف الصديق عليه السلام قال: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

فلم يشرع للإنسان الرهبانيّة؛ ليتخلّص من غريزته، كما فعلت الرهبانيّة النّصرانيّة، فلا رهبانيّة في الإسلام، ولما سأل بعض الصّحابة النّبي صلى الله عليه وآله أن يأذن لهم في الاختصاء؛ من أجل أن يجبّوا شهوتهم، ويستأصلوها من جذورها، ويستريحوا من هذا العناء.

فلم يأذن لهم النّبي صلى الله عليه وآله؛ لأن في هذا مصادرة في الفطرة، وتغيّراً لخلق الله، وفي هذا يقول سعد بن أبي وقاص: ردّ رسول الله صلى الله عليه وآله على عثمان بن مظعون التبتّل، ولو أذن له لاختصينا<sup>(١)</sup>.

ولما أراد بعض الصّحابة أن يسيروا سيرة الرهبان، ولم يكفهم ما كان يفعل النّبي صلى الله عليه وآله من الصيام حيناً، والفطر حيناً، والقيام حيناً، والنوم حيناً، وتزوّج النّساء، وقال من قال منهم: أمّا أنا فإنّي أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّج أبداً.

قال لهم النّبي صلى الله عليه وآله مصحّحاً لهم المفاهيم، ومبيّناً لهم الحقّ: «أمّا والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النّساء؛ فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»<sup>(٢)</sup>.

(١) متّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢)، كلاهما في النّكاح.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) كلاهما في النّكاح، عن أنس.

## خير متاع الدُّنيا الزَّوجة الصَّالحة:

فَالزَّوْجَ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ: شَرٌّ لَا بَدَّ مِنْهُ، بَلِ الزَّوْجُ خَيْرٌ، وَخَاصَّةً إِذَا مَشَى عَلَى طَرِيقَةِ الْإِسْلَامِ، فَأَحْسَنَ الْمَرْءِ فِيهِ الْإِخْتِيَارُ، وَوُفَّقَ الرَّجُلَ إِلَى الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ، وَوُفِّقَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ، هُنَاكَ تَكُونُ الْأُسْرَةُ عُشًّا لِلْهَنَاءِ، وَوَكْرًا لِلْسَّعَادَةِ، وَدَارًا لِلصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ، يَتَعَاوَنُ فِيهَا الطَّرَفَانِ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ، وَفِي هَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ: «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنَّ أَمْرَهَا أَطَاعَتَهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبْرَّتَهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحْتَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»<sup>(٢)</sup>.

وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً، فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْبَاقِي»<sup>(٣)</sup>.  
فَالزَّوْجَ لَيْسَ شَرًّا، بَلِ لَهُ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ.

(١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي النِّكَاحِ (١٨٥٧)، وَالتَّطَبُّعِيُّ (٢٢٢/٨)، وَضَعَّفَ سَنَدَهُ الْعَجْلُونِيُّ فِي كَشْفِ الْخَفَاءِ (١٨١/٢)، وَقَالَ: لَهُ شَوَاهِدُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ أَصْلًا. عَنْ أَبِي أَمَامَةَ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الرِّضَاعِ (١٤٦٧)، وَأَحْمَدُ (٦٥٦٧)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

(٣) رَوَاهُ التَّطَبُّعِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٩٧٢)، وَالحَاكِمُ فِي النِّكَاحِ (١٦١/٢)، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَضَعَّفَ إِسْنَادَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي التَّلْخِيسِ الْحَبِيرِ (٢٥١/٣)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (١٩١٦): حَسَنٌ لَغَيْرِهِ. عَنْ أَنَسٍ.

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي فَتْحِ الْبَارِي (١١١/٩) بَعْدَ أَنْ ذَكَرَهُ مَعَ عِدَّةِ أَحَادِيثَ: وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَإِنْ كَانَ فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا ضَعْفٌ فَمَجْمُوعُهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهَا يَحْصُلُ بِهِ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي التَّزْوِيجِ أَصْلًا؛ لَكِنْ فِي حَقِّ مَنْ يَتَأْتَى مِنْهُ النَّسْلُ.

## الكون قائم على الزوجية:

ومن فوائده أيضًا: أنه ليس هناك في الوجود شيءٌ يعيش وحده، والله سبحانه هو الواحد، وما عداه فكلُّه أزواج، ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النَّبَأ: ٨]، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَفْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ٤٩].

وهذه حقيقة قرآنية سبق الإسلام وسبق القرآن بها العلم الحديث، كلُّ شيء في الكون له زوج، ليس الإنسان فقط، ولا الحيوان فقط، ولا بعض النَّبات فقط كالنَّخيل، كما كان يتصوَّر النَّاس قديمًا، وإنما النَّباتات كُلُّها ذكر وأنثى، بل تجد ذلك في الجمادات؛ فالكهرباء فيها الموجب والسالب، والذَّرة - التي هي أساس هذا الكون المادي - مُكوَّنة من شحنات كهربائية موجبة، وشحنات كهربائية سالبة، كما يقولون: إلكترون ونيترون.

الكون كُلُّه قائم على أساس الازدواج، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

ولذلك فإن الإنسان لا يَشُدُّ عن هذا النَّظام الكوني، ويعيش فردًا؛ فالانفراد عقوبة، يعاقب بها النَّاس في السجون، وهي عقوبة بالغة، مؤذية؛ لأن الإنسان خُلِق اجتماعيًا، كما قال القدماء: الإنسان مدنيٌّ بالطبع، وكما يقول المُحدِّثون: الإنسان اجتماعي بالفطرة.

## مقومات الزواج في الإسلام:

الإنسان اجتماعي لا يستطيع أن يعيش وحده، ولهذا لمَّا خلق الله أبا البشر آدم، لم يدعه وحده، ولو أنه كان في الجَنَّة، وفيها كلُّ شيء،



يستطيع أن يعيش فيها، ويأكل منها رغداً، ولكنه سبحانه لم يدعه وحده، خلق منه زوجة ليسكن إليها، خلق له حواء منه، أي: من جنسه، تلائمه ويلائمه، تؤنسه ويؤنسها، ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، فلا معنى للجنة إذا عاش فيها آدم وحده، ولهذا خلق له من نفسه حواء، وقال له: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥].

### ١ - من أنفسكم أزواجاً:

وهذا هو الوضع الطبيعي للإنسان؛ فالزواج تكملة للإنسان؛ فالإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده، إنما لا بد له من شريك، الرجل في حاجة إلى شريكة حياته، والمرأة في حاجة إلى شريك حياتها، والحياة بينهما مشتركة، والله تعالى يصوّر العلاقة بين الطرفين تصويراً كريماً بليغاً، فيقول سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، المرأة من الرجل، والرجل من المرأة بمنزلة اللباس، من حيث اللصوق والزينة والستر والدفع، إنها مهمة كل من الزوجين للآخر، أن يكون بمنزلة اللباس الذي يلبسه الإنسان، يستره، ويقيه، ويحميه، ويدفعه، ويجمله، ويتلاصق به.

وهذه هي الزوجية.

إنَّ الله ﷻ صوّر الحياة الزوجية، فاعتبر هذه الحياة آية من آياته مثل خلق السماوات والأرض؛ فيقول الله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرؤم: ٢١].



﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾، فالزواج آية من آيات الله، ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، أي: من جنسكم؛ فالمرأة من جنس الرجل، والرجل من جنس المرأة، كما قال في آية أخرى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، كلاكما مكمل لصاحبه، ليس الرجل عدوًا للمرأة، ولا المرأة عدو للرجل، ليسا في معركة يحاول كل منهما أن يكسبها ضد الآخر، فهذا تصوّر رديء للعلاقة بين الجنسين.

﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وكلمة زوج في القرآن تطلق على الرجل وتطلق على المرأة؛ فالرجل زوج، والمرأة زوج، والأصل في كلمة زوج أنها للاثنتين، ولكن كل واحد من الزوجين وإن كان فردًا في العدد، هو زوج من حيث إنه يحمل هموم الآخر، ويشاركه، ويعبر عنه، فهو وإن كان فردًا هو زوج، وكل منهما زوج.

## ٢ - السكن النفسي:

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ السكون النفسي الفطري، أن يسكن الرجل إلى امرأته، والمرأة تسكن إلى رجلها، كما خلق الله حواء من أول الأمر لآدم؛ ليسكن إليها؛ فالإنسان بحاجة إلى سكينين:

سكن مادي يسكن فيه، وهو البيت والمنزل والشقة.

وسكن إنساني، ليس من الطوب والحجارة، وإنما إنسان يسكن إليه.

## ٣ - المودة:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً﴾، هذه أركان الحياة الزوجية، كما يصورها القرآن، سكون نفسي، استراحة كل طرف إلى صاحبه، بحيث يزول القلق والاضطراب، ثم المودة، فكل منهما يود الآخر، وعبر القرآن عن

هذه العلاقة بالموَدَّة، لم يعبر عنها بالحب، الذي يرد على السنة كثير من النَّاس، ويتصوَّرونه علاقة غرامية متأججة مشتعلة، ليس هذا هو المقصود، فكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فَإِنَّ أَقْلَ الْبُيُوتِ الَّذِي يُبْنَى عَلَى الْحُبِّ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَتَعَاشَرُونَ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ<sup>(١)</sup>، ليس كلُّ رجل وامرأته قيسًا وليلى، إنَّما تقوم البيوت على المودَّة والألفة، أن يودَّ كلُّ منهما صاحبه، أن يكون هناك قدر من الود المتبادل، وهذا هو الَّذي ينبغي أن يكون، الود الهادي العميق، الَّذي تقوم عليه الأسرة.

#### ٤ - الرحمة:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، هناك ركن ثالث إلى جانب السكون والموَدَّة، هو الرحمة، الحنان، الشفقة، هذه العاطفة الطيبة، أن يُحسَّ كلُّ من الطرفين أنَّه مسؤول عن الطرف الآخر، يُشفق عليه، ويهتمُّ به، ويرحمه، ويعذره إن أخطأ.

فالحياة الزوجية لا تقوم على القسوة، ولا على العُنف، وإنَّما تقوم على الرحمة.

والرحمة شعار المجتمع المسلم، بل الرحمة شعار الرسالة الإسلامية، إذا أردت عنوانًا لهذه الرسالة، فهي رسالة الرحمة العامة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷺ عن نفسه: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاة»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (١٧٨)، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، نشر مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

والمجتمع الإسلامي مجتمع متراحم، كلُّ واحد فيه يرحم صاحبه، لا يقسو عليه، ولا يؤذيه.

مجتمع متراحم، ليس مجتمعاً أنانياً فردياً، ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال ﷺ: «لا تدخلوا الجنةَ حتَّى تراحموا».

قالوا: يا رسولَ الله، كلُّنا رحيِم.

قال: «إنَّه ليس برحمةٍ أحدِكُم خاصَّتَه، ولكنَّ رحمةَ العامَّة»<sup>(١)</sup>.

رحمة كلِّ النَّاس، رحمة الكبير والصغير، والقويِّ والضعيف، والرجل والمرأة، بل للإنسان والحيوان.

وهذا هو المجتمع المسلم.

فإذا نظرنا إلى المجتمع الصغير داخل الأسرة، ينبغي أن تكون الرحمة فيه أولى وأعمق وأشمل من أي مكان آخر، فليكن البيت بيت تراحم، كلُّ واحد من الطرفين يكون لصاحبه كأنه نفسه، يرحمه، ولا يقسو عليه، إنَّهما ليسا خصمين في معركة، إنَّهما زوجان تحت سقف واحد.

وتلك هي دعائم الحياة الزوجية كما يُصوِّرها القرآن.

## ٥ - الترابط المجتمعي:

الزواج إذن ليس شراً، الزواج خير، فيه فوائد كثيرة، ومن هذه الفوائد أنَّه يوسِّع دائرة العشيرة؛ الإنسان بالزواج يكسب عشيرة جديدة، وعائلة جديدة، يضمُّها إلى عشيرته، فهناك رابطتان جعلهما الله في هذا الوجود:

(١) رواه النسائي في الكبرى (٥٩٢٨)، والحاكم في البر والصلة (١٦٧/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي موسى الأشعري.

رابطه النسب، ورابطة الصهر، الروابط الطبيعية بين الناس غير الروابط العقدية وغيرها.

والله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، ومن هنا كان الصهر بجوار النسب، فيكون صهرك مثل ابن عمك، وأقاربك الذين هم من العصبه. أضفت أصهارك إلى أبناء عمومتك، وإلى أبناء عائلتك، أصبح هؤلاء أخوالاً لأولادك وخالات، أو أجداداً وجدّات.

وهكذا يكسب الإنسان عشيرة جديدة.

### اغتربوا لا تُضُؤوا:

ومن هنا استحبّ فقهاء الإسلام أن يتزوَّج الإنسان من غير عائلته القريبة، من غير أبناء العمومة، وقال عمر رضي الله عنه: يا بني السائب! إنكم قد أضويتم؛ فانكحوا في النزاع<sup>(١)</sup>.

أي: لا تتزوَّجوا من بنات العم القريبات؛ حتّى لا يضوى نسلكم، أي: لا يَضْعُف، فإن تكرار الزواج من أبناء العمومة جيلاً بعد جيل، يركّز العيوب الوراثية فيهم، ويؤدّي إلى ألوان من ضعف النسل، فضلاً عن فقدان هذه الفائدة العظيمة من فوائد الزواج، أنّ الناس يكسبون أسراً جديدة.

فإذا ظلّ الرجل يتزوَّج بنت عمّه، والبنت تتزوَّج ابن عمّها، سيظلّ الناس محصورين في دائرة ضيقة، لا يخرجون عنها، وإنّما يريد الله بالزواج أن تتّسع الدائرة، دائرة المودّة، ودائرة الصلة الإنسانيّة، كثير من

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٤٣٧)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر

دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

النَّاس وخاصة في قبائل العرب، يكادون يُحرِّمون أن يزوّجوا البنت من غير ابن عمّها، وما أنزل الله بهذا من سلطان، إنّما ينبغي أن تتزوَّج البنت من الكفاء الصالح.

في بعض البلاد في صعيد مصر، لا يزوّجون إلّا من القبيلة، وإذا جاء رجل من خارج القبيلة ولعلّه يكون معه أعلى الشهادات، ويكون من أفضل النَّاس أخلاقاً وعلماً وعملاً وصلاً، يقولون عنه: فلاح، وشعارهم هذا المثل الشائع بينهم: «يأكلها تمساح ولا يأخذها فلاح». إنّها تقاليد جاهليّة ما أنزل بها من سلطان.

### أخطاء شنيعة في تطبيق الزواج:

إنّ الإسلام يريد من الزواج أن يقيم أسرة صالحة، والأسرة الصالحة هي نواة المجتمع الصالح، ولكنّا - نحن المسلمين - نقع في أخطاء شنيعة، تجعل من الزواج غير ما يريده الإسلام؛ هنالك أخطاء قبل الزواج، وأخطاء بعد الزواج، أخطاء في مقاييس الاختيار نفسه، من هو الذي نختاره زوجاً، ومن التي نختارها زوجة، ما المقاييس؟

لقد اضطربت المقاييس، وفسدت المعايير، واختلّت الموازين، هناك أخطاء في الاختيار، أخطاء في إجبار الفتاة على أن تتزوَّج من لا تريد، وهذا خطأ كبير لا يرضى به كتاب ولا سنة.

هناك أخطاء في الخطبة بين المُفَرِّطين والمُفَرَّطين.

هناك أخطاء في الولائم، في المهور، في التأثيث، في غير ذلك.

وبالجملة: هناك أخطاء قبل الزواج، وأخطاء بعد الزواج.

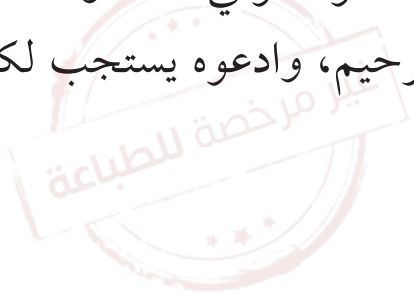
لا بدّ أن نعود إليها مرّة أخرى في لقاءات أخرى؛ لتحدّث عن هذا الأمر، الذي يشغل كلّ بيت، وكلّ شاب، وكلّ شابة، كلّ أب وكلّ أم، إذا كانا حريصين على أبنائهما وبناتهما، فإن بعض الآباء لا يبالي وإن ظلّت ابنته عانسًا في البيت، أو ظلّ ابنه (حبّله على غاربه) - كما يقولون، يفعل ما يشاء، صلح أم فسد، استقام أم انحرف.

بعض الآباء لا يبالي، بعض النّاس لا يهتمّ، وهو أمر خطير، أرجو أن نعود إليه، ونتحدّث عنه في ضوء الإسلام، ومعايير الإسلام، وهدى الإسلام.

اللهم وفّقنا لما تحبّ وترضى، وهب لنا من أمرنا رشداً.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

وَرَدَ أَنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً إِجَابَةً لَا يَصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ <sup>(١)</sup>، وَنَرْجُو أَنْ تَكُونَ هَذِهِ السَّاعَةُ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةٌ أَمْرُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، وَاجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجْرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى، وَأَصْلِحْ لَنَا مَا بَقِيَ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْهَدْيِ، وَقُلُوبَهُمْ عَلَى التَّقَى، وَأَنْفُسَهُمْ عَلَى الْحَبِّ فِيكَ، وَعَزَائِمَهُمْ عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْعَمَلِ.

اللَّهُمَّ أَيْدِ إِخْوَانَنَا الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ أَرْضٍ إِسْلَامِيَّةٍ، وَثَبِّتْ إِخْوَانَنَا الْمَضْطَّهَدِينَ وَالْمَمْتَحِنِينَ، وَاجْعَلْ لَهُمْ مِنْ عُسْرِهِمْ يَسْرًا، وَمِنْ ضَيْقِهِمْ فَرَجًا.

اللَّهُمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَلَا تَكُنْ لَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةً عَيْنٍ، وَلَا أَقْلًا مِنْ ذَلِكَ.

(١) كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: «إِنْ فِي الْجُمُعَةِ لِسَاعَةٍ، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يَصْلِي، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». وَأَشَارَ بِيَدِهِ يَقْلِلُهَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٩٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٨٥٢)، كِلَاهُمَا فِي الْجُمُعَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله:

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ونبيك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة.

\*\*\*





## أخطاء المجتمع في أمر الزواج

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

**انحرفنا بالزواج عن تعاليم الإسلام:**

لا يزال حديثنا موصولاً عن التربية الاجتماعية، عن المجتمع كما ينشده الإسلام، والأسرة نواة المجتمع، والزواج هو أساس الأسرة، ولهذا علينا أن نصحح مفاهيمنا، ونصحح سلوكنا في موضوع الزواج.

نحن خالفنا عن أمر الله تعالى وأمر رسوله في أمور الزواج، فانحرفنا عن النهج السليم، وعن الصراط المستقيم.

شرع الله الزواج سهلاً فصعّبناه، يسيراً فعسّرناه، بسيطاً فعقّدناه، وضعنا ألف عقبة وعقبة في سبيل الحلال، ولكننا للأسف في جوار هذا فتحنا الأبواب للحرام؛ فالمغريات للحرام كثيرة، والحوافز عليه شتى، والذي يؤجج النار في جوانح الشباب والشابات شيء كثير، تتعاون عليه أجهزة شتى.

ومع هذا في شأن الحلال نُعَوِّق أمر الحلال، نُغَلِّق الأبواب أمام الفتيان والفتيات، وينسبون ذلك أو بعضه إلى شرع الله، وما هو - والله - من شرع الله، بل إننا لا نطبّق شرع الله تعالى.

والعجب من النَّاس أَنَّهُمْ يطالبون الحُكَّام بتطبيق الشَّريعة، وهم لا يطبِّقون الشريعة فيما يتيسَّر لهم من شؤون حياتهم، كأنَّ الشريعة واجب تطبيقها على الحُكَّام وحدهم، أمَّا الشعوب، أمَّا المجتمعات، أمَّا أنا وأنت، وهو وهي، وهم وهنَّ؛ فكأنَّنا لسنا مطالبين بتطبيق شريعة الله.

يجب أن نقف عند أوامر الله تعالى، يجب أن نبحث عمَّا يجب علينا تجاه أنفسنا وأبنائنا وبناتنا؛ لنقيم البيت المسلم الذي هو الدعامة الأولى لتكوين المجتمع المسلم، يجب أن نعمل لإقامة زواج شرعي، كما أراد الله تبارك وتعالى.

### جمعنا أسوأ الموروث وأسوأ الوافد:

إننا نعسر أمر الزواج بالطلبات الكثيرة، كما قلنا من قبل، بالحفلات، والولائم، وغلاء المهور، وغير ذلك ممَّا ورثناه من قديم، ومما وفد إلينا من حديث.

جمعنا بين السوءين، أشياء موروثة من قديم ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها من الشرع برهان، وأشياء وافدة علينا، قدمت علينا، مثل أن يقيم النَّاس أحفلاً في الفنادق الكبرى، ينفقون فيه ما ينفقون، ومثل أن يتغالى النَّاس في تأسيس البيوت ممَّا لا حاجة إليه، أو ممَّا لا يتَّفَق وطاقتهم وقدراتهم المالية.

لقد دخلت علينا أشياء لم تكن من قبل، وهناك أشياء ورثناها من قبل، وجمعنا بين السوءين، وكلُّ هذا يُعوِّق أمر الزواج، ويؤخِّره، وهذا مخالف لسنة الإسلام في الأمر بالتبكير بالزواج، وتيسيره.



كان المسلمون قديمًا وطوال عصورهم لا يعرفون إلا الزواج المبكر، فكانوا يسارعون إلى تزويج أبنائهم وبناتهم؛ سترًا لهم وتحصينًا لهم من نزغات الشيطان، وقيمون الأسرة المسلمة بأبسط ما يكون.

كان المسلمون كثيرًا ما يزوّجون أولادهم في بيوتهم، ويجعلون لكلّ ابنٍ من أبنائهم حجرة واحدة، ولكن الناس الآن توسّعوا وتوسّعوا، وقالوا: لا بدّ من بيت مستقلّ، أو شقّة مستقلة، لا بدّ من عدّة حجرات.

وقد دخلتُ بعض البيوت في إحدى زياراتي لليابان، فوجدتها صغيرة محدودة، وفيها كلّ شيء، ولكن الحجرة الواحدة يمكن أن تستعمل للجلوس، وعند الغداء يأتون بمائدة متحرّكة يمكن أن تُطوى، تُفرد عند الطعام، وتُطوى بعده، ويمكن بعد الطعام أن تستغلّ الحجرة للضييف.

وهذا ما كان عليه المسلمون قديمًا، تُستعمل الحجرة الواحدة في عدّة أغراض.

أمّا الآن، فقد فُرضت علينا عادات استهلاكية، جعلتنا نسير وراء الغرب، وهو يمدُّ الحبال لنا لنشتري من مصنّوعاته، ومن منتجاته ما لا حاجة لنا إليه، وما يمكن الاستغناء عنه، من أجل أن نضيع أموالنا، ونُبذرها؛ فمصانعهم تنتج، وتريد أن تستمرّ، ويريدون منّا أن نشتري، ونحن نشترى من أجل إعلاناتهم المُغرية، ونقع أسرى هذا كلّ.

وقد شكّا لي موظف كبير مرموق عن ضيقه بتجهيزات العرس، وكثرة طلبات بناته، وخصوصًا في شأن الأزياء.

فقلتُ: سبحان الله! إذا كان هذا الرجل - وهو موظف كبير وصاحب دخل كبير - يشكو ذلك، فماذا يفعل الإنسان العادي؟!

لقد دخلت علينا عادات استهلاكية، وألزمناها للأسف، وأصبحنا عبيدًا لها، وأصبحت تفرض علينا أن نطيعها، وكثير منّا لا يُطيعها، فتكون النتيجة أن يتأخر الزواج، فيبلغ الفتى من الخامسة عشرة من عمره، ويستمرُّ إلى العشرين، وإلى الخامسة والعشرين، وربما إلى الثلاثين، ولما يتزوَّج؛ لأنَّه لا يدري كيف يأتي بكلفة الزواج، ونفقات الزواج الهائلة، فلا بدَّ أن ينتظر.

ومعنى الانتظار: أن سنوات من عمره تضيع، وسنوات أخرى من عمر فتاة مماثلة له تضيع - أيضًا - في الحرمان.

وربما تمضي هذه السنوات في أشياء أخرى غير الحرمان، فمن تعرَّس عليه طريق الحلال ربَّما فكَّر في الحرام؛ فالناس ليسوا ملائكة، والشياطين كثر؛ شياطين الإنس وشياطين الجن.

### التبكير بالزواج هو المطلوب:

لا بدَّ أن نعمل على التبكير بالزواج، فمن أخطأنا التي أصبحت كأنها سُنَّة متَّبعة في أيامنا هذه، هي تأخير الزواج، وحين يتأخر الفتى تتأخر معه فتاة، وأكثر من ذلك، أنَّه قد يبحث عن فتاة أخرى من مجتمع غير مجتمعه الذي نشأ فيه، فمعنى هذا أنَّه يُعطِّل فتاة عن الزواج؛ لأنَّ هناك توازنًا بين عدد الرجال والنساء، الذكور والإناث، وهو توازن كوني من تدبير الله تبارك وتعالى، فإذا لم يتزوَّج الفتى فتاة من مجتمعه، فهذا يعني أنَّها بقيت بلا زوج، وخاصَّة أن عدد الصالحات للزواج من الإناث دائمًا أكثر من عدد القادرين على الزواج من الشباب.

### من الأخطاء في الزواج:

وأخطاؤنا في الزواج كثيرة منها:



## ١ - إهمال رضا الفتاة وحرية اختيارها:

إننا لا نقيم للرضا وللاختيار وزنه الشرعي؛ فالشرع يريد ألا يتم الزواج إلا على أساس اختيار كامل؛ حتى تقوم الحياة الزوجية على المودة والسكينة والرحمة والمحبة، ومن هنا شرع الإسلام أن تستأمر وتُستأذن الفتاة، سواء أكانت ثيبًا أم بكرًا<sup>(١)</sup>.

فالثيب تُستأمر في نفسها، يستأذنها وليُّها، ولا بدَّ أن تقول بصريح العبارة ما يدلُّ على الموافقة.

أمَّا البكر فتُستأذن - أيضًا، ولكن جعل الشرع إذنها أن تصمت؛ فالسكوت هنا علامة الرضا.

أمَّا إذا قالت: لا، فليس من حقِّ أحد أن يجبرها أن تتزوَّج من لا تريد؛ فالزواج شأنها هي، وليس شأن أبيها أو أخيها أو وليها أيًّا ما كان.

إنَّ الشرع لم يُجز لولي المرأة أن يبيع شيئًا ممَّا تملكه من سلع، إلا بإذنها، فكيف يجيز له أن يتصرَّف فيها، في مصيرها، في مستقبلها، في حياتها، بغير إذنها ورضاهها؟!!

لهذا لا بدَّ من أن تُستأذن، لا بدَّ من أن يؤخذ رأيها، لا بدَّ من أن ترضى عمَّن تتزوَّج به.

إنَّ كثيرًا من الآباء يجبرون بناتهم على ما يريدون، على الرغم من إباء الفتاة، وعلى الرغم من بكائها، على الرغم من أنَّ الأب يعلم أنَّها

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «لا تنكح الأيِّم حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن». قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت». رواه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩)، كلاهما في النِّكاح، عن أبي هريرة.

لا ترضى، بأيّ شرع هذا؟! وكيف يجوز لأب أن يجبر ابنته وفلذة كبده على أن تعيش مع إنسان لا ترضاه، ولا تطمئنّ إليه؟! وهذا - للأسف - ما يقع فيه كثيرون.

أرسلت إليّ فتاة رسالة من خمس صفحات تقريباً، تشكو فيها أنّ أباه - وهو رجل صالح يصليّ ويصوم ويحجّ ويعتمر ويفعل الخير كما تقول - يريد أن يزوّجها من ابن أخيه، وهي غير راضية، وهي تعلم أن ابن عمها لا يريد لها، وقلبه معلق بفتاة أخرى، وهو أخبرها بذلك، ولكنه مضطّر أن يسمع للعائلة - أيضاً. فتزوّج المرأة من لا تريده، ولا يريد لها، بأيّ شرع هذا، أن يُزوّج اثنان، ولا رغبة لأحدهما في الآخر؟! إنَّ الزواج سَكَنٌ ومودّة ورحمة، ﴿أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

لماذا يجبر الأب ابنته على أن تتزوج من لا تريد؟

هذا لا يتفق مع الشرع، ولا مع العقل، ولا مع المصلحة، ومثل هذا الزواج مصيره الإخفاق، لا بدّ أن ينتهي نهاية مؤلمة.

إنَّ الإسلام يريد أن يتمّ الزواج بتراضي كلّ الأطراف، وأوّل هذه الأطراف: الفتى والفتاة؛ فهما الطرفان الأساسيان في الموضوع، هما صاحباً هذه الشركة المقدّسة.

**ليس للآباء من أمر الزواج شيء:**

ولقد تزوّجت امرأة على عهد النّبي ﷺ بغير رضاها، وهي خنساء بنت خدام، فردّ النّبي نكاحها، وأبطل زواجها<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (٢٤٦٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأبو داود (٢٠٩٦)، =

وروى النسائي وغيره، أن فتاة دخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت: إنَّ أبي زوّجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة.  
 قالت: اجلسي حتّى يأتي النبي ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء<sup>(١)</sup>.

أجازت الفتاة ما صنع أبوها، ولكنها بذكائها ونور بصيرتها، أرادت أن تُعلّم وتُعلم النساء: ألهنّ حقّ في أنفسهنّ، أم أنهنّ أسيرات الآباء، فأعلمها النبي ﷺ أن الآباء ليس لهم حقّ في هذا الأمر، إلّا بإذن البنات ورضا الفتيات.

يجب أن نعلم أنّه ليس للأب أن يجبر ابنته، وليس هذا من المصلحة في شيء، ولا من الدين في شيء.

## ٢ - لا بدّ من رضا الولي:

كما يجب أن يتمّ الزواج برضا الآباء، أو الأولياء، ومن هنا اشترط جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة: رضا الولي في الزواج.

= وابن ماجه (١٨٧٥)، كلاهما في النكاح، ورجح أبو داود إرساله، وصحّحه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٢٥٠/٢)، وقال الحافظ في الفتح (١٩٦/٩): الطعن في الحديث لا معنى له، فإن طرقة يَتَوَقَّع بعضها ببعض. ودافع الصنعاني في سبل السلام (٢٥٩/٣) عن سنده دفاعاً جيداً. عن ابن عباس.

(١) رواه أحمد (٢٥٠٤٣)، وقال مخرّجوه: صحيح. والنسائي في النكاح (٣٢٦٩).



لا بدّ من رضا الولي وإذنه، وجاء في هذا بعض الأحاديث: «لا نكاح إلاّ بوليٍّ»<sup>(١)</sup>؛ حتّى لا تزوّج الفتاة نفسها، بغير رضا أهلها، ويكون أهلها خصماء لها، بدل أن يكونوا خصماء عنها.

فإذا ساءت العلاقة يوماً بينها وبين زوجها، فمن يحامي عنها؟! ومن يقف بجوارها؟ من الذي يفتح لها صدره، إذا تزوّجت بغير رضاهم وبغير إذنهم؟

لهذا ينبغي أن يرضى الأب، أو يرضى الولي إذا لم يكن الأب موجوداً.

### ٣ - لا بدّ من رضا الأم:

والأم - أيضاً - ينبغي أن تكون راضية عن الزواج، ولهذا يقول النبي ﷺ: «آمروا النّساء في بناتهنّ»<sup>(٢)</sup>، أي: شاوروهنّ، اسمعوا رأيهنّ ومشورتهنّ، حينما تريدون زواج بناتهنّ؛ وذلك لأنّ الأمّ أعرف بابنتها من أبيها؛ فكثيراً ما تُخفي البنت أمرها عن أبيها، لا تجرؤ أن تصارحه بما عندها، ولكنها تصارح أمّها كثيراً؛ فالأمّ أقرب إليها، والأمّ أنثى، وهي أعرف بالأنثى من الرجل، ولهذا يقول النبيّ: «آمروا النّساء في بناتهنّ»، لا يفاجئ الرجل الأسرة بأنّه زوّج ابنته من فلان بن فلان، الأب لا يعلم هل لهذه البنت ارتباطات؟ هل يميل قلبها إلى إنسان آخر؟ أو لعل.. أو لعل.. لا بدّ من رعاية هذه الأمور كلّها.

(١) رواه أحمد (١٩٥١٨)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)،

(١١٠٢)، وقال: العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي وغيرهم. وابن ماجه (١٨٨١)،

ثلاثتهم في النكاح، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) رواه أحمد (٤٩٠٥)، وقال مخرّجوه: حديث حسن. وأبو داود (٢٠٩٥)، عن ابن عمر.



### مراعاة تغيّر العصر:

إنَّ الحياة قد تغيّرت، والدُّنيا قد تطوّرت، وإذا كان بعض الفقهاء قديمًا أجازوا للأب أن يجبر ابنته البكر، فأعتقد أنّ هؤلاء لو حضروا عصرنا الآن، وعاشوا ما نعيشه، ورأوا المرأة تتعلّم وتثقف، وتخرج إلى الحياة؛ لغيّروا اجتهاداتهم، كما غيَّروها في كثير من الأمور؛ فالإمام الشافعي كان له مذهب في العراق، يقال له: القديم، وله مذهب في مصر يقال له: الجديد؛ فإنّه لمّا انتقل إلى مصر، غيّر كثيرًا من آرائه واجتهاداته؛ فقد رأى ما لم يكن قد رأى، وسمع ما لم يكن قد سمع.

إننا في عصر أصبحت الفتاة متعلّمة مثقّفة ذات رأي وفكر، أصبح منهنّ الطبيبة والمعلّمة والاجتماعيّة والمربيّة والأديبة والكاتبة، فلا بدّ أن نعرف رأيها، لم تعد الفتاة تلك الدمية في البيت، لم تعد كأنّها قطعة من أثاث البيت.

لا! أصبحت إنسانًا يفكر ويرى، ولذلك لا بدّ أن نأخذ رأيها، ورأي أمّها.

### ٤ - عدم التزام حدود الشرع في الخطبة:

ومن الأشياء التي يقع الخطأ فيها: مسألة الخطبة، فإننا لا نقف فيها عند حدود الشرع، نحن ما بين مُفرّطين ومُفرّطين.

فهناك أناس إلى يومنا هذا، لا يسمحون للخاطب أن يرى مخطوبته، والشرع أمرنا بالرؤية، ولما جاء رجل إلى النبي ﷺ، وقال: خطبتُ امرأة يا رسول الله، قال: «هل نظرت إليها؟».

قال: لا.

قال: «اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»<sup>(١)</sup>، أي: يكون بينكما ائتلافٌ واتِّفاق؛ فالعين رسول القلب، لعلَّك تقع من قلبها موقعًا، وتقع من قلبك، فيكون هذا وسيلة من وسائل إرساء المودَّة من أوَّل يوم. وقال لآخر: «انظر إليها؛ فإنَّ في أعين الأنصار شيئًا»<sup>(٢)</sup>، لعلَّ عينيها لا تُعجبك؛ لأنَّ في أعين الأنصار طبيعة معيَّنة متوارثة في العين.

فهناك مَنْ يريد امرأة ذات عين واسعة، أو عين زرقاء، أو عين سوداء، وكلُّ واحد له ذوق معين، والفتاة - أيضًا، لها فارس أحلام كما يقولون، تتخيَّله.

فمن حقَّ المرأة أن ترى خاطبها، ومن حقَّه أن يراها، وهذا ما أمرنا به الشرع، وجاء في الحديث: «إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل»<sup>(٣)</sup>.

ينظر منها إلى ما يدعوه إلى الزواج منها، وهذا يعني: أنَّه ينظر إلى الوجه والكفين، بل هناك مَنْ قال: ينظر إلى شعرها، إلى ذراعها، إلى ساقها. وقد روى أنَّ عمر بن الخطاب حين أراد أن يتزوَّج أمِّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وكانت صغيرة، فذكر له صغرها، فقال له علي: أبعث بها إليك، فإن رضيتَ فهي امرأتك.

(١) رواه أحمد (١٨١٥٤)، وقال مخرَّجوه: صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسنه، والنسائي (٣٢٣٥)،

وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) رواه مسلم في النِّكاح (١٤٢٤)، وأحمد (٧٨٤٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٤٥٨٦)، وقال مخرَّجوه: حديث حسن. وأبو داود (٢٠٨٢)، والحاكم (١٦٥/٢)،

كلاهما في النِّكاح، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ووثق رجاله ابن حجر في

بلوغ المرام (٩٨١)، عن جابر بن عبد الله.

فأرسل بها إليه، فكشف عن ساقها، فقالت: لولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينك<sup>(١)</sup>.

وإنما أراد أن ينظر إليها؛ لأنه خاطب.

ويمكن للخاطب أن يراها بإذنها، وإذن أهلها، أو بدون إذنها في غفلة منها، كما في حديث جابر رضي الله عنه، قال: فخطبتُ جارية فكنتُ أتحبُّ لها، حتَّى رأيتُ منها ما دعاني إلى نكاحها<sup>(٢)</sup>.

يمكن للخاطب أن يدبر أمر رؤيتها بواسطة الأهل، أو بعض أصدقاء العائلة، بحيث يراها وهي خارجة من محلٍّ أو غير ذلك، خشية ألا تعجبه، فيجرح إحساسها؛ فمن المشكلات أن يرى الخاطب المرأة أو الفتاة فلا تعجبه، فإذا تركها جرح شعورها، فإذا كان ذلك بغير علمها في أوّل الأمر، كان هذا أفضل، على أنه ينبغي بعد ذلك رؤية مشتركة؛ لأن الرؤية حقٌّ له ولها - أيضًا.

### رؤية الخاطب بين الغلو والتفريط:

ومع هذه الأحاديث النبوية الواضحة، والآثار البينة عن الصحابة، وعمل السلف من المسلمين، طوال عصور الإسلام الأولى، يوم كان الإسلام إسلامًا، وكان المسلمون مسلمين - فإنَّ المسلمين في بعض الأقطار، وفي بعض العصور الأخيرة، توارثوا أشياء ليس عليها دليل من الشرع ألبتة.

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٣٥٢، ١٠٣٥٣).

(٢) الحديث قبل السابق.

توارث النَّاسُ أَنَّ الرجلَ إذا خطب لا يرى خطيبته إِلَّا ليلة زفافها، ليلة البناء بها، فيدخل على امرأة لم تره ولم يرها. والعجيب أن يظلَّ هذا التقليد إلى اليوم، الفتاة تذهب إلى المدرسة، وتحصل على الإعدادية، والثانوية، وتدخل الجامعة، ويدرس لها أساتذة ومدرسون، وتذهب لتحصل على الماجستير وربما الدكتوراه، وتسافر إلى بلاد شتَّى، وترى ألوانًا وأنواعًا من الرجال، ولكن رجلًا واحدًا هو الَّذي يحُرِّم عليه أن يراها أو تراه، هذا الرجل هو خاطبها، حتَّى إن عقد عليها العقد.

وهذا ما يحدث إلى اليوم هنا في قطر، أَنَّ الخاطب لا يرى مخطوبته، بل العاقد لا يرى المعقود عليها إِلَّا ليلة الزفاف، بأيِّ شرع هذا؟ هذا أمر ليس له في الشرع دليل ولا شبه دليل.

وبعكس هذا نجد أناسًا آخرين، «عصريين» «تقدُّمين»، أولئك الَّذِينَ يَدْعُونَ للفتى وللفتاة الحبل على الغارب، يطلقون لهما العنان، بمجرد الخطبة، يذهب هو وهي إلى السينما، إلى المتنزهات، إلى الخلوات، وهو لم يعقد عليها بعد، ولا رقيبَ عليهما ولا حسيب.

نحن ما بين الإفراط والتفريط، وليس هذا من الإسلام في شيء، ولا ذاك؛ فالإسلام هو المنهج الوسط للأمة الوسط.

الذي يخطب ينبغي أن يرى مخطوبته، ويمكن أن يجلس معها بعد الخطبة في غير خلوة ولا تبرُّج، أي: يزور أهلها، فإذا جاءت وجلست محتشمة معهم، في جلسة تضمُّ العائلة، يسمع منها كيف تفكر، وكيف تتصرّف، فهذا لا بأس به.



وإنَّما المحرَّم هو الخلوة، والمحرَّم هو التبرُّج، والمحرَّم أن يتأبَّط ذراعها ويصحبها، ويماسَّ جسدها جسده، قبل أن تصبح زوجة.

إننا - أيُّها الإخوة المسلمون - نقع في أخطاء كثيرة في أمر الزواج، ولهذا نشكو - للأسف - من كثرة ما يقع من الفساد، وكثرة ما يقع بعد الزواج من الطلاق، وكثرة ما يحدث من الحوادث التي تشقُّق الأسر، وتهدم بنيانها من القواعد، ولو حكَّمتنا شريعة الله، ووقفنا عند حدوده، لكان الخير كلَّ الخير من وراء ذلك.

إنَّ القرآن يذكر أمرين دائماً يحوطان أمر الزواج: حدود الله، والمعروف.

وحُدود الله: أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

والمعروف: ما يتعارفه أهل الدين والفضل والفقہ في سُنن الله وأحكامه، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وهذا ما ينبغي أن يحوط أمر الزواج في حياتنا، أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### حصار المخيمات الفلسطينية في لبنان:

لا يستطيع إنسان يعيش في هذا العصر، دون أن يمرّ على تلك الأحداث، التي تنخر في أمتنا، وتعمل عملها، كما تعمل السكين في اللحم!

وإن من أشدّ الأحداث التي مرّت بنا في هذه الأيام، ما قرأناه في الصحف، في تلك الأيام الفائتة، ولا يزال مستمرّاً إلى اليوم، إنّه حصار المخيمات الفلسطينية في لبنان.

أسمعتكم بهذا الصراخ؟ أسمعتكم بصيحات الجائعين؟ أسمعتكم ببكاء الأطفال وأنين الأمهات؟ أسمعتكم بما يحدث؟ أسمعتكم بذلك الاستفتاء الذي هو وصمة عار على هذه الأمة؟ أسمعتكم بالذين أرسلوا إلى شيوخ المسلمين وعلمائهم يستفتونهم في أكل لحوم الموتى؟

أرسلوا يستفتون: هل يحلّ للإنسان أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟

لقد أجهزوا على لحوم القطط والكلاب والحيوانات الصغيرة، أجهزوا على كلّ هذه الحيوانات، حين لم تبقَ لقمة خبز، حين لم يبقَ شيء يأكله ذو كبد رطبة، هنالك قالوا: يا ناس أفتونا، هل يجوز لنا أكل لحم موتانا؟ وما أكثر موتانا!

إنّ الموتى كثيرون، منهم الذين يُطلق عليهم الرصاص، ومنهم الذين يخرون صرعى من رصاص آخر هو الجوع، أيجوز لهم أن يأكلوا هؤلاء



الأموات؟ أيجوز للإنسان أن يضع لحم أخيه على النار يشويه؟! هل يجوز له أن يأكل لحم أخيه، هذا الذي كان يعايشه بالأمس؟ أم يترك نفسه ليموت هو - أيضًا - من الجوع؟!!

إنَّه استفتاء وكارثة، أن يحدث هذا في دينا المسلمين، أين المسلمون؟ أين العرب؟ أين مؤتمرات القمم؟ أين النَّاس؟

يحدث هذا على مرأى ومسمع من الجميع، ولا يتحرَّك أحد، كأنَّما ينادون قبورًا صامتة.

لقد أسمعْت لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي<sup>(١)</sup>

إنَّ القرآن حينما أراد أن يصوِّر لنا شناعة الغيبة، أن يتناول الإنسان عرض أخيه في غيبته، ويتكلَّم عنه بما يكره، ويتحدَّث عنه بالسوء، وهو لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، قال: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجرات: ١٢].

يصوِّر القرآن أمر الغيبة، بصورة غريبة لا تحدث، ولكن هذا ما يريده النَّاس أن يحدث، أن يأكل الإنسان لحم أخيه ميتًا، أن يُحاصر حتَّى لا يجد أمامه إلَّا أكل لحوم الموتى، أين العرب؟ أين المسلمون؟ أين هؤلاء وهؤلاء؟ أين أولئك الذين يحمون هؤلاء، ويمدُّونهم بكلِّ ما يستطيعون من سلاحٍ ومال؟ أين؟ وأين؟ وأين؟

يا أيُّها الإخوة المسلمون، إنَّها مصيبة، إنَّها كارثة، كنَّا من قبل نشكو من إسرائيل، وإسرائيل لم تفعل مثل هذا، دعونا نتكلَّم بصراحة، إسرائيل

(١) من شعر عبد الرحمن بن الحكم، انظر: الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ص ٩٥، تحقيق سامي مكى العاني، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

فعلت ما فعلت في دير ياسين وغيرها، ولكنها كانت أكثر إنسانية من هؤلاء، لم تحاصر الناس حتّى يأكلوا الفئران والقطط والكلاب، لم تحاصر الناس حتّى يطلبوا فتوى بأكل لحم الموتى، فمن هؤلاء؟ هؤلاء مسلمون؟ هؤلاء عرب؟ هؤلاء بشر؟ هؤلاء كائنات حيّة؟ ماذا نسّمى هؤلاء؟

اللهمّ إليك المشتكى وأنت المستعان، وعليك التّكلان، ولا حول ولا قوة إلّا بك.

اللهمّ عليك بالظالمين، اللهمّ عليك بالظالمين، اللهمّ عليك بالظالمين.

اللهمّ عليك بالطّغاة المستكبرين.

اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ ردّ عنا كيدهم، وقلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المسلمين.

اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهمّ كن لإخواننا المضطّهدين والمحاصرين والممتحنين في كلّ مكان.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].



﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا  
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ  
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\* \* \*





## من هدي الإسلام في الزواج

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً عن الزواج الذي هو أساس لتكوين البيت المسلم، ولتكوين الأسرة الصالحة، التي هي نواة المجتمع الصالح الذي ينشده الإسلام.

تحدثنا عن هذا الزواج، عن الزوجة كيف نختارها؟ وعن الزوج كيف نختاره؟ وعما نصنع إذا أردنا الزواج؟ أن نستخير ونستشير، نستخير الله، ونستشير الأخيار من الناس، وأن ينظر المرء إلى من يريد أن يتزوجها، وأن تنظر هي إليه أيضاً، وأن يتعرف كل منهما على شخصية صاحبه، وأن يتم الزواج بتراضي الأطراف كلها: عائلة الرجل، وعائلة المرأة؛ حتى تتحقق السكينة والمودة والرحمة، التي هي أركان الحياة الزوجية؛ كما أشار إلى ذلك القرآن: ﴿وَمِنْ عَآيَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

### إعلان الزواج وإشهاره:

إذا تم هذا الزواج ينبغي أن يُعلن عنه، وأن يُشهر في الناس، فالزواج

ليس سرًّا؛ بل هو أمر تترتب عليه آثاره، وأن تُعرَف أن هذه زوجة فلان، وأن هذا زوج فلانة، وأن أولادهما من هذا الرجل أبناء له، فلا بد أن يُعرف الزواج وأن يُشهر، وأقل هذا الأمر هو شاهدان، مع رضا الولي وإذنه، كما ذكرنا قبل ذلك.

### اللهو والترويح في الأعراس:

وأعلن النبي ﷺ: أنه ينبغي أن يصحب هذا الزواج شيء من اللهو، فينبغي أن يكون في الأعراس لهو وترويح، وترفيه عن الأنفس، فهذه فرصة ليخرج الناس عن روتين الحياة المألوفة، ولذلك عندما سأل عائشة عن يتيمة كانت عندها، قالت: تزوجت يا رسول الله. قال: «هلا كان معهم لهو؟ هلا أتيتم من تغني وتقول: أتيانكم أتيانكم، فحيونا نحبيكم، ولولا الحنطة السمراء ما سمت عذاريتكم»<sup>(١)</sup>. إلى آخره، بعض أشياء كان يغنون بها في الجاهلية.

ومعنى هذا أن تكون الأغاني من أغاني الأعراس وليست مواعظ، كما حضرت بعض الأعراس لبعض الشباب المسلم؛ فوجدتهم يغنون أناشيد حماسة إسلامية، ووجدت النساء يغنين أناشيد مواعظ إسلامية، يقلن: يا عروسة، وتحجين بيت الله!

قلت لهم: غنوا لها: (يا عروستنا يا لوز مقشر تعالي). قولوا الأغاني التي يقولها الناس. هكذا علمنا النبي ﷺ، «أتيانكم أتيانكم، فحيونا نحبيكم». هكذا أراد النبي ﷺ: أن تكون هذه الأعراس فرصة للترويح

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٢٦٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٣٧): فيه رواد بن الجراح، وثقه أحمد وابن معين وابن حبان، وفيه ضعف. عن عائشة.

والترفيه عن الناس، وقال: «فصل ما بين الحلال والحرام: الدف والصوت في النكاح»<sup>(١)</sup>. لا بد أن يكون في النكاح طبل وصوت وغناء، فهذا هو الذي شرعه الإسلام.

### الإسلام يراعي الفطرة ولا يعرف التزمت:

ليس الإسلام متزمتًا كما يصوره بعض المتدينين المسلمين، الإسلام دين سماحة ويسر، ويقدر للطبائع الإنسانية قدرها، فهذا هو الذي ينبغي أن نراعيه حينما نريد أن نتزوج، حينما تزوجت امرأة من الأنصار قال النبي ﷺ: «هلا كان معهم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»<sup>(٢)</sup>. أي ينبغي أن تراعى طبائع الأقوام وعاداتهم. إذا كانت قريش لا تهتم بهذا الأمر؛ لأنها تأخذ الأمور مأخذ الجد أكثر، فإن الأنصار عندهم لون من (البهجة) وحب المرح والفرح، فلا بد أن تُراعى هذه الفطرة عندهم وهذه العادة، «فإن الأنصار يعجبهم اللهو»، هذا ما شرعه الإسلام.

### الإسلام لا يريد الإسراف في اللهو:

وفي مقابل هؤلاء الذين يتزمتون، ولا يجيزون الأغاني العادية، ولا يجيزون ضرب الدف، هناك آخرون يسرفون في هذه القضية؛ فيأتون بالفرق التي لا تلتزم بحلال ولا بحرام، ويأتون بالراقصات والمطربات العاريات، وينفقون ما ينفقون، ويحسبون كل ذلك على أعباء الزواج، وما كلف الله الناس هذا!

(١) رواه أحمد (١٥٤٥١)، وقال مخرّجه: إسناده حسن. والترمذي (١٠٨٨)، وحسنه، والنسائي

(٣٣٧٠)، وابن ماجه (١٨٩٦)، والحاكم (١٨٤/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، جميعهم

في النكاح. عن محمد بن حاطب الجمحي.

(٢) رواه البخاري في النكاح (٥١٦٢)، عن عائشة.

الإسلام يريد للناس أن يروحووا عن أنفسهم بأنفسهم، ليس من الضروري أن يأتي الناس بفرق تُستأجر، بل يغني الناس بعضهم لبعض، هكذا كنا في الريف، أهل العروس وأقاربها وجاراتها يغنين لها، وأهل العريس أو (المعرس) يفعلون ذلك، ولا يتكلفون شيئاً.

ولكن الناس كلّفوا أنفسهم ما لا يطيقون؛ فجعلوا من نفقات العُرس هذه الفرق المحرمة، التي لا يجوز أن تدخل بيت مسلم، ولا يجوز أن يزوجها مسلم؛ لأنّها تروج الحرام الصرف، الذي لا يجوز لمسلم أن يسمعه، ولا يجوز لمسلم أن يحضره، ولا يجوز لمسلم أن يروجه.

### الوليمة عند الزواج:

كما أنّ الإسلام أمر بالوليمة عند الزواج، فحينما جاء عبد الرحمن بن عوف إلى النبي ﷺ، ووجد عليه أثراً من طيب الرائحة فقال له: «مهم» أي: ما الذي حدث؟ قال: تزوجت يا رسول الله. قال: «على كم تزوجت؟» قال: على وزن نواة من ذهب. حوالي خمسة دراهم، قال: «هل أولمت؟» قال: لا. قال: «أولم ولو بشاة»<sup>(١)</sup>. أي: اذبح ذبيحة وادعُ الناس إليها.

وليس من الضروري أن تكون الوليمة بشاة أو بشيء يُذبح، كل إنسان يولم على قدر طاقته، ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. وقد أولم النبي ﷺ على بعض نسائه بسويق وتمر<sup>(٢)</sup>، بل جاء في بعض الروايات أنّه أولم على مدين من طعام<sup>(٣)</sup>، أي

(١) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٧٨١)، ومسلم في النكاح (١٤٢٧)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٢٠٧٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الأطعمة

(٣٧٤٤)، والترمذي (١٠٩٥)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه (١٩٠٩)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٣) رواه البخاري في النكاح (٥١٧٢)، عن صفية بنت شيبة.



أكثر من كيلو جرام بقليل، هذا ما كان يقدر عليه، فقد كانوا في شظف من العيش، وكانوا في عسر من الحياة، فيكفي أن يولم على تمر أو سويق أو طعام، ليس من الضروري أن يذبح.

### حُرمة الإسراف في الوليمة:

ولكننا نرى الناس يتوسعون في هذه القضية، ويذبحون الذبائح الكثيرة، التي لا يكاد يُؤكل عُشرها، هكذا حضرت كثيرًا من الولايم، فلا يكاد يُؤكل عُشر الذبائح، ولا أدري ما الذي يحدث بعد ذلك، كثيرًا ما تُلقى هذه البقايا - وهي شيء كثير جدًا - في سلال المهملات! تُرمى وهناك أناس يحتاجون إلى اللقمة، هناك أناس يئنون من الجوع أنين الملسوع، في عالمنا الإسلامي هناك جياع البطون، الذين لا يجدون ما يمسك الرmq، أو يطفئ الحرق!

حرام علينا أن نتوسع هذا التوسع، ونسرف هذا الإسراف، لا بد أن تكون الأمور في حد الوسط، وخير الأمور الوسط، وقد وصف الله عباد الرحمن بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

### إجابة دعوة الوليمة:

الدعوة إلى الوليمة سنة، والإجابة إليها واجب عند جمهور العلماء، وبعضهم قال: سنة. وبعضهم قال: فرض كفاية. إذا حضر بعض الناس سقط الإثم عن الباقيين، ولكن الأحوط للمسلم إذا دُعي أن يجيب، فليس من المعقول أن يولم الرجل ويذبح، ويتكلف ويدعو الناس، ثم لا يذهب إليه أحد، أو يذهب إليه القليل، أو الأقل من القليل؛ ماذا يصنع بهذا الطعام؟!

لهذا كانت هذه المشاركة سنة أو واجبًا، وذلك أن الإسلام يريد من أبنائه أن يتكافلوا ويتضامنوا: في الأفراح والأتراح، في المسرات والأحزان، وأن يكون كل منهم عضدًا لأخيه، وعونًا له، وقرينًا منه، فلا ينبغي أن يعيش كل منهم لنفسه، ويقول: نفسي نفسي! لا، شارك أخاك في فرحه، وشارك أخاك في حزنه، فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

وقد جاء في الحديث: «شر الطعام الوليمة؛ يُدعى إليها الأغنياء دون الفقراء»<sup>(١)</sup>. ولهذا ينبغي لصاحب العرس أن يجعل للفقراء نصيبًا إما أن يدعوهم، وإما أن يعطيهم بعض ما أولم به، يرسل إليهم في أماكنهم أو نحو ذلك، والأولى أن يدعوهم.

### الدعاء للعروسين:

ومما شرعه الإسلام بعد الزواج الدعاء، أن يدعو الناس للعروسين بالبركة والتوفيق وصلاح الذرية، وكان النبي ﷺ إذا هنأ إنسانًا تزوج يقول له: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»<sup>(٢)</sup>. وكان هذا بديلًا عما كان يقوله أهل الجاهلية، كانوا إذا هنأ بعضهم بعضًا يقولون: بالرفاء والبنين.

والرفاء: الالتئام والالتصاق، أمّا البنين؛ فقد كانوا لا يحبون البنات، يريدون للناس أن يلدوا البنين، ولا يمكن أن تتم الحياة إلا بالبنين

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢)، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٨٩٥٧)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وقال:

حسن صحيح. وابن ماجه (١٩٠٥)، ثلاثهم في النكاح، عن أبي هريرة.

والبنات معاً، ولذلك ألغى النبي ﷺ هذا الكلام الجاهلي، وقال هذا الدعاء: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير أو في الخير». ولا زال بعض الناس يستعملون التهنة الجاهلية، ويتركون التهنة الإسلامية، لا، هكذا ينبغي أن تقول النساء للمرأة العروس، وهكذا ينبغي أن يقول الرجال للرجل العروس، فكل منهما عروس، ينبغي أن يدعو الناس لهما.

### بداية الحياة الزوجية بالطاعة:

حينما يدخل المسلم بالمسلمة، فتُزف إليه امرأته، ويبني بها، ينبغي أن تبدأ الحياة بينهما بالعبادة، بطاعة الله ﷻ، ينبغي أن يمسك الرجل بناصية امرأته ويقول: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلتها عليه»<sup>(١)</sup>. ومن حقها أن تفعل ذلك أيضاً، تقول عن زوجها: اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبلته عليه، وأعوذ بك من شره وشر ما جبلته عليه. ويصليان ركعتين خفيفتين شكراً لله تعالى على هذه النعمة، وطلباً منه أن يجعل حياتهما حياة موفقة، وحياة صالحة، ويدعوان الله ﷻ بما دعا به عباد الرحمن، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، فهذا يمكن أن يدعو به الرجل، وأن تدعو به المرأة، لأن كلا منهما زوج. فالأزواج يمكن أن تكون للنساء، ويمكن أن تكون للرجال، ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

(١) رواه أبو داود في النكاح (٢١٦٠)، وابن ماجه في التجارات (٢٢٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٧٦)، عن عبد الله بن عمرو.

### عدم الإسراف في تأثيث البيت:

حينما يدخل الرجل بامرأته ينبغي ألا يسرف الرجل في تأثيث بيته، فمن الآفات التي ابتلي بها الناس في عصرنا، ودخل فيها الرياء الاجتماعي، ودخل فيها حب المباهاة، وحب المفاخرة، فصار كل إنسان يريد أن يباهي بنفسه، وبيته وبأثاثه؛ فأصبحوا يتكلفون الكثير والكثير في تأثيث البيوت، مما لا حاجة إليه، وكل هذا تكليف للإنسان بما هو فوق طاقته، وخصوصاً الشاب في أول سلم حياته. ما كلف الله الناس هذا، دخل النبي ﷺ بأم سلمة، وكان الأثاث الذي دخلت عليه بعض الأشياء المعروفة في ذلك الزمان: رَحَى، وسِقَاء، وجرّة، ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

وهكذا حينما دخل علي بن أبي طالب على سيدة نساء العالمين: فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، ماذا كان أثاثها؟ كان وسادة من آدم حشوها ليف: وسادة من جلد محشوة بليف النخل، وكان رحين لطحن الشعير، وسقاء، وجرتين<sup>(٢)</sup>، هذا هو الأثاث الذي دخلت عليه فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

### الأثاث في العصر الحديث:

ونحن لا نريد للناس أن يدخلوا بمثل هذا الآن؛ فقد تغيرت الحياة، وتطورت المجتمعات، وتحولت مطالب الناس، ولكن كل شيء إذا زاد عن حده انعكس إلى ضده، حب التناهي شطط، وخير الأمور الوسط كما تقول العرب، ينبغي أن نقف عند حد الوسط، فقد جعل الله هذه الأمة أمة وسطاً ومدحها بذلك في كتابه، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]،

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٦٤٤/٢، ٦٤٥).

(٢) رواه أحمد (٨١٩)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. عن علي بن أبي طالب.

وقال علي بن أبي طالب: عليكم بالنمط الأوسط<sup>(١)</sup>. التوسط والاعتدال هو المطلوب في كل هذه الأمور.

إذا دخل الرجل بزوجه فالمهم أن يعيشا في وئام على أقل ما يكون من الأثاث والفراش، ما قيمة أن يمتلئ بيتك أثاثًا وفراشًا، ولست سعيدًا في بيتك؟ يمكن أن تنام على الحصير أو على الأرض إذا كنت سعيدًا مع زوج تسرك إذا نظرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظك إذا غبت، وتبر قسمك إذا أقسمت، المهم هو السعادة، والسعادة ليست في الماديات، السعادة هاهنا تنبع من النفوس، لا تستورد من الخارج، لوأ تشتري بمال، فاحرص أيها الأخ المسلم أن تكون سعيدًا مع زوجتك.

### مراعاة حقوق الله:

وأول ما يسعدكما أن تكونا في طاعة الله، وأن تحرصا على إرضاء الله، أول ما ينبغي أن يكون عليه الزوج الصالح أن يرعى حق الله، فإذا رعى حق الله لم يُخش عليه أن يُضيع حق زوجته. أمّا إذا كان إنسانًا لا يبالي بحق ربه عليه: يضيع الصلوات، ويتبع الشهوات، ويتناول المسكرات، ويعيش مع أصدقاء السوء، ويسهر إلى ما شاء الله أن يسهر، لا يعرف لزوجته حقًا، ولا لبيته واجبًا عليه، فهذا هو الإنسان الضائع، هذا هو الإنسان غير المؤتمن على أهله.

ولذلك قلنا: إن أول ما ينبغي أن يُشترط في الزوج أن يكون ذا دين وذا خلق، «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه؛ فزوجوه»<sup>(٢)</sup>، حق الله هو

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٣٩).

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولاً ومرسلاً - وإنما يعني بقوله: مرسلاً انقطاع ما بين ابن عجلان =

أول كل شيء، لا ينبغي للمسلمة أن تفرط في هذا وترضى برجل لا دين له، يشرب أم الخبائث، أو لا يبالي في حق الله في الصلاة، وتقول: كل الناس هكذا. لا، هناك الأخيار والأشرار، هناك المتقون والفجار، هناك الصالحون والطالحون، وما خلت الأرض يوماً من الصالحين.

### رعاية حق الزوجة:

أول الحقوق إذن هو رعاية حق الله، ثم رعاية حقوق المرأة، وأول حق للمرأة هو المهر: الصداق، لا بد أن تؤتي صداقها كما قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]. نحلة: أي عطية وهدية، على سبيل المودة، يشير القرآن إلى أن المهر ليس ثمنًا للمرأة، ولا أجرة لها، ولكنه نحلة، أي: عطية وهبة، بهذا المهر يعبر الرجل عن حبه للمرأة، وطلبه لها، وحرصه عليها، ورغبته فيها.

المرأة في بعض المذاهب والأديان والأمم هي التي تدفع للرجل، ولكن الإسلام جعل المرأة مطلوبة لا طالبة، ليست هي التي تدفع للرجل، إنما الرجل هو الذي يدفع لها، وإن كان بعض بلاد المسلمين للأسف قد غيّر هذه القاعدة الشرعية الإسلامية؛ فأصبحت المرأة أو أهلها يدفعون أكثر مما يدفع الرجل، فقلبوا الوضع، وأصبح الأب يحمل هم زواج بنته، لأن البنت تكلفه أكثر مما يكلفه الابن الذكر، هذا موجود في مصر، وموجود أكثر وأكثر في باكستان والهند وبنجلاديش. وهذه البلاد: المرأة هي التي تدفع للرجل، وكثيراً ما يشترط الرجل على المرأة حسب غنى أبيها، فقد يشترط أن تدفع له

= وأبي هريرة - وقد رجح البخاري المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.



ثمن سيارة، أو تأتي له بفيلا يسكنها، أو بشيء من هذا، فأصبح آباء البنات يتكلفون ويتكلفون!

حتى إنَّ الرئيس السابق ضياء الحق رَحِمَهُ اللهُ قال لنا مرة - ونحن نزور باكستان في هيئة عليا للفتوى -: هل يجوز لنا أن نأخذ من الزكاة لنعطي آباء البنات هؤلاء ليدفعوا لبناتهن حتى يزوجهن؟ فقلت له: إن هذا خطأ في نظر الإسلام، لا ينبغي أن نقر هذا الخطأ، ويصبح قاعدة مقررة بإعطاء الزكاة من أجله، ينبغي أن نصحح هذا الخطأ وتُرد الأمور إلى نصابها.

### المهر حق خالص للمرأة:

المهر إذن حق خالص للمرأة، ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، وقد رأينا المسلمين كما هو العهد بهم بين طرفي الإفراط والتفريط، هناك من يكلفون الرجل أن يدفع ما لا يطيق؛ فيستدين أو يعيش سنين من عمره وهو مكبل، ومحمل بأغلال هذا المهر، الذي استدان به من هنا وهناك، وكلف نفسه فوق طاقته، وذلك من غلاء المهور، وهناك الآخرون الذين يكلفون أبا المرأة وليس الرجل المتزوج، والخير في الوقوف عند حد الشرع.

ثم هناك بعد ذلك إذا دخل الرجل بالمرأة فينبغي أن يؤدي إليها المهر المعجل كاملاً، فإذا لم يدخل بها؛ فمن حقها نصف المهر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. أي في حالة الخلاف وانتهاء عقدة الزوجية بين الطرفين لا تنسوا الفضل بينكم، ﴿فَأَمْسَاكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، بعض الأزواج إذا



حصل بينهما فراق أساء كل منهما إلى صاحبه وجرحه، وقال فيه ما قال مالك في الخمر، هذا ما لا ينبغي، ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

### نفقة الرجل على زوجته بالمعروف:

ومن حق المرأة على الرجل النفقة؛ فالرجل هو المسؤول عن الأسرة، وهو المكلف بقوامه الأسرة كما قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. فقد جعل الله للرجل القوامه على الأسرة لسببين:

سبب فطري: وهو أن الله فضّل الرجل على المرأة في أنه أكثر بصراً بالعواقب، وأكثر تحكماً في عواطفه من المرأة، فربما لو جعل الأمر بيد المرأة وغضبت على الرجل غضبة طلقته، ولكن الرجل أكثر تحكماً في عواطفه.

ومن حسن تعبير القرآن أنه لم يقل: بما فضل الله الرجال على النساء. ولكن قال: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. أي إن الرجل مفضل على المرأة في جانب، والمرأة مفضلة عليه في جانب، المرأة مفضلة على الرجل في جانب العاطفة، وفي جانب الحنان، وفي جانب تدفق المشاعر، وذلك أن الله هيأ المرأة لتكون أمّاً؛ فجهزها بهذا الجهاز العاطفي الدفّاق؛ حتى تصبر على متاعب الأمومة في الحمل إذا حملت، وفي الطلق إذا طلقت، وفي الوضع إذا وضعت، وفي الرضاع إذا أرضعت، وفي التربية إذا ربّت، ومن أجل ذلك كانت المرأة مفضلة في جانب، والرجل مفضلاً في جانب، ولكن الجانب الذي فضّل فيه الرجل يجعله أكثر أهليّة من المرأة للقوامه على الأسرة.

فالأسرة شركة مقدسة، وكل شركة أو مؤسسة لا بد أن يكون لها رئيس، لا يُسمح فيها بسلطتين متكافئتين، فالمركب التي فيها رئيسان تغرق كما يقول الناس، ولكن لا بد من رئاسة واحدة، لمن تكون هذه الرئاسة؟ للمرأة أم للرجل؟ لا شك أن الرجل هو الأقدر على تحمل المسؤولية بهذا السبب الفطري.

وبسبب كسبي آخر: أن الله ﷻ جعل الرجل هو المنفق على الأسرة، هو الذي يدفع الصداق أولاً، وهو الذي يؤثث البيت ثانياً، وهو الذي يتولى النفقة على الأسرة ثالثاً، فلو هدم هذه الأسرة لأدنى سبب لهدمت على أم رأسه، سيتكلف من جديد تأسيس أسرة جديدة، وسيغرم في النفقة عليها مثلما غرم في النفقة على بناء تلك الأسرة، ولذلك لا بد أن يفكر مرة ومرة ومرة قبل أن ينهي هذه العلاقة، ويهدم هذه المؤسسة المباركة، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾.

الرجل هو الذي يُنفق على الأسرة، ليست المرأة مطالبة بالإنفاق عليها، ولو كانت من أغنى الغنيات، ولو كان عندها مال قارون؛ إلا من باب مكارم الأخلاق؛ إذا أرادت أن تساعد زوجها، أو تأتي بشيء لأبنائها وبناتها، فهي مشكورة ومأجورة على هذا، ولكن المكلف بالإنفاق هو الرجل، حتى وإن كان معسراً وهي موسرة ليست مكلفة بالإنفاق على الأسرة في مذاهب العلماء كافة؛ إلا فيما رآه ابن حزم الذي قال: إن المرأة الموسرة ينبغي أن تنفق على الرجل المعسر؛ فإن كل حق يقابله واجب، والله تعالى قال: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]<sup>(١)</sup>. المولود له هو الأب

(١) المحلى لابن حزم (٢٥٤/٩)، مسألة (١٩٢٦)، نشر دار الفكر، بيروت.

عليه رزق المولود وكسوته بالمعروف، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾، والمرأة ترث الرجل، فقال ابن حزم: فعليها مثل ما عليه.

ولكن العلماء كافة قالوا: ليس على المرأة أن تنفق على البيت إلا إذا تبرعت بذلك.

### على الرجل النفقة بالمعروف:

على الرجل أن ينفق على بيته، وينفق بحسب حاله، كما قال الله تعالى: ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي من ضيق عليه رزقه وقُتِرَ عليه في رزقه، ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، كل إنسان ينفق على قدر ما آتاه الله، لا ينبغي أن يضيق على نفسه، ولا أن يشتري الأشياء بالدين، فالدين هم بالليل، ومذلة بالنهار، وقد استعاذ النبي ﷺ من ضلع الدين، وغلبة الرجال<sup>(١)</sup>، وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم». أي: الاستدانة. قيل: ما أكثر ما تستعين من المغرم يا رسول الله؟ قال: «إِنَّ الرجل إذا غرم - أي إذا استدان - حَدَّثَ فكذب، ووعد فأخلف»<sup>(٢)</sup>.

### لا تبذير ولا تقتير:

فلا ينبغي للإنسان المؤمن أن يلجئ نفسه إلى هذه المضايق، ويحمل نفسه ما لا يطيق، كما في الحديث: «لا يحل لمسلم أن يذلل نفسه». قالوا:

(١) رواه البخاري في الدعوات (٢٨٩٣)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٣٢)، ومسلم في المساجد (٥٨٩)، عن عائشة.

يا رسول الله، كيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء ما لا يطيق»<sup>(١)</sup>.  
(على قدر لحافك مُدَّ رجليك) كما يقولون في الأمثال.

ولكن هناك أناسًا عندهم القدرة والاستطاعة واليسار، ولكنهم يقترون على أزواجهم وعلى أولادهم، وهذا لا يجوز، لا يجوز أن يقتري الإنسان على زوجته وولده، وبعض هؤلاء الناس ينفق على نفسه بسخاء، وينفق على أصدقائه بسعة، وينفق في الحرام بغير حساب، ولكنه إذا أنفق على بيته ضيق وقتر، أهذا ينبغي لإنسان عاقل أو إنسان مؤمن؟!

وماذا تصنع زوجتك أمام مطالب الحياة، وأنت القادر على أن تنفق، وأنت المسؤول أن تصرف، وأنت رب البيت، وأنت الذي جعل الله لك القوامه على الأسرة؟ أين هي قوامتك إذا كنت لا تنفق على أهل بيتك؟ النبي ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته»<sup>(٢)</sup>. ويقول: «كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته»<sup>(٣)</sup>. ويقول: «إنَّ الله سائل كل راع عما استرعاه؛ أحفظ أم ضيع؟»<sup>(٤)</sup>. فهل حفظت أسرتك وأنفقت عليها بالمعروف، أم ضيعت وقترت؟!

(١) رواه أحمد (٢٣٤٤٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي (٢٢٥٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٦)، كلاهما في الفتن، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٤٣)، عن حذيفة.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطهما. وصححه إسناده الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١)، عن أنس بن مالك.

إِنَّ الشَّحَّ مِنَ الْمَهْلَكَاتِ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَهْلَكَاتٍ: شَحٌّ مَطَاعٌ، وَهُوَ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ»<sup>(١)</sup>. الشَّحُّ الَّذِي يَطِيعُهُ الْإِنْسَانُ فَيَجْعَلُهُ يَبْخُلُ عَلَى أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَعَزِّ النَّاسِ عَلَيْهِ: زَوْجَتَهُ، وَأَوْلَادَهُ، يَبْخُلُ عَلَى هَؤُلَاءِ مَعَ أَنْ إِنْفَاقَ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ أَكْثَرِ الصَّدَقَاتِ، وَمِنْ أَوَّلِ الْوَاجِبَاتِ، ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ؛ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مَسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَكْثَرُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»<sup>(٢)</sup>. مَا دُمْتَ تَنْفِقُهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَهَذَا هُوَ وَاجِبُ النِّفْقَةِ.

### الإِنْفَاقُ بِالْمَعْرُوفِ:

لَمْ يَحْدُدِ الْإِسْلَامُ النِّفْقَةَ بِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ، لِأَنَّ هَذِهِ النِّفْقَةَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْبَيِّنَاتِ وَالْأَعْرَافِ وَالْعُصُورِ، مَا كَانَ مَطْلُوبًا فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي تَغْيِيرَ الْآنَ، الْمُهْمُ هُوَ النِّفْقَةُ بِالْمَعْرُوفِ، لَهْنٌ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكَسَوْتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْمَعْرُوفُ هُوَ مَا تَعْرِفُهُ الْفَطْرُ السَّلِيمَةُ، وَالْعُقُولُ الرَّشِيدَةُ، وَمَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ مِنَ النَّاسِ، إِذَا قَالُوا: هَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ، هَذَا لَائِقٌ بِفُلَانٍ فِي مَسْتَوَاهُ وَفِي مِثْلِ مَعِيشَتِهِ، وَلَائِقٌ بِزَوْجَتِهِ، وَلَائِقٌ بِأَوْلَادِهِ. إِذَا حَكَمَ أَهْلُ الْفَضْلِ بِهَذَا فَحُكْمُهُمْ مَاضٍ، لَهْنٌ رِزْقُهُنَّ وَكَسَوْتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.

(١) رَوَاهُ الْبَزَّازُ (٦٤٩١)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٥٤٥٢)، وَقَالَ الْمُنْذَرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (٦٥٤): هُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَسَانِيدُهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَسْلُمُ شَيْءٌ مِنْهَا مِنْ مَقَالٍ فَهُوَ بِمَجْمُوعِهَا حَسَنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (٣٠٣٩)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الزَّكَاةِ (٩٩٥)، وَأَحْمَدُ (١٠١١٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وهذا ما أوصى به النبي ﷺ للنساء في حجة الوداع؛ فقال: «إنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»<sup>(١)</sup>. فهذا من حقوق الزوجة على الزوج، ولا يكون الزوج زوجًا صالحًا، مرضيًا عند الله، ومحمودًا عند الناس ما لم يؤد هذه الحقوق.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) رواه مسلم في الحج (١٢١٨)، وأحمد (٢٠٦٩٥)، عن جابر.



## أهداف الزواج

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### من أهداف الزواج:

تحدَّثنا في الجمعة الماضية عن أمرٍ من أهمِّ أمور المجتمع، ينبغي أن نراعيه في تربيتنا وتوجيهنا، ذلكم هو أمر الزواج وما يتعلَّق به؛ فقد شرع الله الزواج لأهداف كبيرة، تتعلَّق بالفرد، وتتعلَّق بالأسرة، وتتعلَّق بالمجتمع، فلو أننا أقمنا الزواج ونفّذناه كما شرع الله تبارك وتعالى لكان فيه الخير كلِّ الخير لنا ولأبنائنا ولبناتنا، ولكننا - للأسف - لم ننفِّذ الزواج كما شرعه الله تبارك وتعالى.

شرع الله الزواج لأهداف كبيرة؛ حتَّى يبقى هذا النوع الإنساني يعمر هذه الأرض، ويقوم بخلافة الله تعالى فيها، ويؤدي حقَّ عبادته، وهي المهمة الأولى التي خُلِقَ لأجلها النَّاسُ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦].

شرع الله الزواج لكي تقوم تلك الحياة الطيبة، الحياة الأسرية على السكينة والموَدَّة والرحمة، وهي بعض آيات الله تعالى في هذا الوجود،



﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

شرع الله الزواج لكي يكون رابطة جديدة تضاف إلى رابطة النسب والدم، وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ﴿[الفرقان: ٥٤].

شرع الله الزواج ليحصن الإنسان نفسه من وساوس الشر، ومن مداخل الشيطان، ومن ضغط الغريزة العاتية، «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج»<sup>(١)</sup>.

شرع الله الزواج حتى يوجد ذلك البيت الذي يجد فيه الإنسان الهدوء والطمأنينة والتدبير، كما قال الشاعر قديماً:

إذا لم تكن في منزل المرء حرّة      تدبره ضاعت مصالح داره<sup>(٢)</sup>

### حُسن الاختيار في الزواج:

شرع الله الزواج لهذه الأهداف ولغيرها، ولكننا لم نُحسن أن نتزوج، ولم نُحسن أن نُزوّج أبناءنا وبناتنا على شرع الله تبارك وتعالى، فكسدت سوق الزواج، وبارت البنات في البيوت، وبقي الشباب لا يجدون الزوجة الصالحة التي تُحصّنهم في دينهم أو تُسعدّهم في دنياهم.

### ما الذي حدث؟

إننا أسأنا فهم ديننا، لم نتعمّق في فهم أسرار هذا الدين، وحكمتنا تقاليد بالية عتيقة لا معنى لها ولا وزن، وفدت علينا تقاليد جديدة، وورثنا تقاليد قديمة، فضّعنا بين القديم والجديد.

(١) سبق تخريجه ص ٥٨.

(٢) من شعر أبي منصور الثعالبي، انظر: مرآة المروءات ص ٥٧، تحقيق محمد خير رمضان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.

لقد شرع الإسلام الزواج على أن يتم وفق ما يحبُّ الله تعالى ويرضاه، وفق ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ.

ويبدأ الزواج حين يبدأ بحسن الاختيار، أن يُحسن الرجل اختيار شريكة حياته، وأن تُحسن الفتاة اختيار شريك حياتها، ويُحسن أهلها معها اختيار الإنسان المناسب لها.

ولكن فسدت عندنا المقاييس، واختلت الموازين، فأصبحنا لا نقيس النَّاس بالدين والخلق، إنّما نقيس النَّاس بكلّ شيء إلا الدين والخلق، النَّبي ﷺ يقول: «إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَرُؤُوه، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»<sup>(١)</sup>.

فهل فعلنا ذلك؟

كان السلف الصالح إذا أتاهم من يخطب ابنتهم سألوا عنه: ما دينه؟ ما صلاته؟ ما إقباله على ربّه؟ ما مقدار أدائه لفرائضه؟ ما مدى إحلاله للحلال، وتحريمه للحرام؟ هل ينتهي عمّا نهى الله عنه؟ هل يَأْتِمِرُ بأمر الله تبارك وتعالى؟ هل ينفذ أحكام دين الله في نفسه وفي أهله ومن حوله؟ يسألونه عن الدِّين والخلق قبل كلّ شيء.

ولكنّا نسأل عن الإنسان: ماذا يملك؟ هل وراءه عمارات وبنائات؟ كم له رصيد في البنوك؟ ماذا يكسب من المال؟ وماذا؟

نسأل عن النسب وعن الحسب وعن كلّ شيء إلا الدين والخلق، فيتزوج القادر الذي يملك المال، ويُحرَم من الزواج من لا يملك المال، والمال ليس كلّ شيء.

(١) سبق تخريجه ص ٩٦.

ما قيمة المال لدى إنسان لا يعرف الله ولا يخشاه، لا يرقى حقّ ابنتك إذا تزوّجها، لا يعطيها حقّها، ولا يؤدّي واجبه نحوها؟

ما قيمة المال عند ذلك السكّير الذي يدخل إلى البيت وهو فاقد عقله ووعيه، إذا تزوّج لا يعرف حقّ الزوجة، وإذا أنجب لا يعرف حقّ ابن ولا بنت، يأتي إلى البيت آخر الليل، ويخرج أبناءه وبناته إلى المدارس وهو نائم، ما قيمة هذا الإنسان؟

### إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه:

زوّج ابنتك كما قال السلف: إذا زوّجت ابنتك فزوّجها ذا دين، إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها، بل ربما نفر منها، ولكنّه يضغط على نفسه، ولا يتّبع هواه وعاطفته، بل يسمع قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

زوّج ابنتك صاحب الدين والخلق، كما قال رسول الله ﷺ.

### مقاييس خاطئة:

لماذا لا نبحث عن الدين والخلق؟

النبي ﷺ علّمنا أن نقيس الناس بما يعمر هذه القلوب من إيمان وإخلاص، وبما يدفع إليه هذا الإيمان من عمل صالح.

مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال لأصحابه ومن معه: «ما تقولون في هذا؟»

قالوا: حريّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفع، وإن قال أن يُستمع.

قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟».

قالوا: حريّ إن خطب ألا يُنكح، وإن شفع ألا يُشفّع، وإن قال ألا يُستمع.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا»<sup>(١)</sup>.

النَّاس لا تقاس بالمال ولا بالجاه ولا بالسلطان، ولا بالطول ولا بالعرض، يقول رسول الله ﷺ: «إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»<sup>(٢)</sup>.

هذا الطويل العريض لا قيمة له، بينما عبد الله بن مسعود هذا الرجل النحيف الهزيل الجسم يصعد على شجرة ليحتني لأصحابه منها، فتهب الريح وتكشف عن ساقيه - وهما نحيفتان ضعيفتان - فضحكوا، فقال رسول الله ﷺ: «ما يضحككم من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده إنَّهما أثقل في الميزان من أحد»<sup>(٣)</sup>.

الرجال تقاس بالإيمان والأخلاق، بالفضائل قبل كل شيء، ليس معنى هذا أن تزوج ابنتك ممَّن لا يستطيع أن يعيشها العيشة المناسبة،

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٧)، عن سهل بن سعد الساعدي.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٩)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٣٩٩١)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. والطبراني (٩٥/٥)، والبزار (٣٣٠٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٦٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وحسنه الألباني في غاية المرام (٤١٦)، عن ابن مسعود.

ولكن ابحث قبل كلّ شيء عن الدين، عن الأخلاق، عن الفضائل الإنسانية التي صار بها الإنسان إنساناً.

إنّ ابنتك ليست سلعة تباع وتُشترى، ليست بقرة أو ناقة من يدفع فيها أكثر يشتريها، إنّها إنسان قبل كلّ شيء، ولذلك لا تؤخّر زواجها إذا وُجد الإنسان الصالح وليس عنده ما يدفعه.

لا، ابحث عن الإنسان الصالح؛ فالإنسان الصالح غنيمة، وهو كنز، المال ليس كلّ شيء، كم من بنات تزوجن أناساً أغنياء فعاشوا في الشقاء والبؤس، وتمنين أن لو تزوجن إنساناً فقيراً صالحاً.

### موقف رائع لسيد التابعين:

سعيد بن المسيب سيّد التابعين، وفقهه الفقهاء، وأعلم علماء أهل المدينة، كانت له ابنة خطبها إليه عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي لابنه الوليد، ولي العهد، أراد أن يقوّي نفسه بالإصهار إلى رجل فقيه كبير مثل سعيد بن المسيب، ولكنّ سعيداً رفض، لم يقبل ابن الخليفة وخليفة المستقبل زوجاً لابنته، لم يُرد أن يدخل في ظلم، أو أن يشارك في ظلم، فرفض ابن الخليفة، ولكن أتدرون من زوج سعيد ابنته؟  
لقد زوجها لطالب علم من طلابه.

جلس سعيد بن المسيب يوماً في الدرس فتفقّد أحد طلابه، اسمه: كثير بن أبي وداعة، فتى قرشي سهمي، من فقراء الطلاب، فلما حضر ابن أبي وداعة سأله: لقد غبت عنا أياماً فأين كنت؟

قال: لقد توفيت امرأتي فاشتغلت بها.

قال: ألا أخبرتنا فشهدنا جنازتها والصلاة عليها، ثم قال له سعيد: هل تزوجت؟ هل استحدثت امرأة؟

قال: ومن أين لي؟ ومن يُزوّجني وما أملك إلا درهمين؟  
قال: أنا أزوجك.

قال وقد علم أنه رفض ابن الخليفة: وتفعل؟

قال: إي والله أفعل، وزوّجه ابنته على درهمين.

ذهب ابن أبي وداعة إلى بيته وهو يقول في نفسه: ما كدت أملك نفسي من الفرح، عاد إلى داره وهو يفكر ممّن يستدين حتّى يهيئ البيت لاستقبال العروس، وكان صائماً فأحضر الخبز والزيت ليفطر، وبينما هو كذلك إذ بالباب يُقرع، فقال: من الطارق؟

قال: سعيد.

يقول ابن أبي وداعة: فخطر في بالي كلُّ سعيد في الدُّنيا إلا سعيد بن المسيب؛ فإنَّ له أربعين سنة لا يُرى إلا بين بيته والمسجد، لا يزور أحداً لا كبيراً ولا صغيراً، فلما فتحت الباب فإذا هو سعيد بن المسيب، فقلت: لعله بدا له!

ظن أنّ ابن المسيب رجع عن هذا الزواج وغير رأيه.

فقال لسعيد: يا أبا محمد، رحمك الله، هلا أرسلت إليّ فأتيك؟

قال سعيد: لقد علمتُ أنّك امرؤ عذب، فكرهتُ أن تبيت وحدك هذه الليلة، وإذا بابنته خلفه، قال: ها هي امرأتك قد أحضرتها إليك. ودفعها إلى داره ورد الباب وانصرف.

هنا تحيّر ابن أبي وداعة في أمره، ماذا يقدم لزوجته وليس عنده إلا الخبز والزيت، حتّى أنّه وارى عنها طعامه حتّى لا تراه، ثمّ صعد إلى سطح منزله وجعل ينادى جيرانه، يا أبا فلان، يا أم فلان إنّ سعيد بن المسيب زوجني ابنته، وليس في داري شيء إلا الخبز والزيت، فجعل هذا يأتي بالتمر، وهذا يأتي باللبن، وهذا يأتي بكذا.

وجاءت أمّه فقالت له: وجهي من وجهك حرام إن أفضيت إليها قبل ثلاث حتّى أصلحها لك كما يصنع نساء قريش.

تريد أن تهينها له، فقد جاءت الزوجة بملابسها العادية.

وبقي ابن أبي وداعة ثلاثة أيام لم يقترب من زوجته، ثمّ دخل بها بعد ذلك، قال: فلما دخلتُ بها فإذا هي - والله - من أجمل الناس، وأعلمهم بكتاب الله تعالى، وأحفظهم لسنة النبي، فعشتُ معها أفضل ما يكون الأزواج مع زوجاتهم.

ثمّ بعد مدة ذهب ابن أبي وداعة إلى سعيد بن المسيب فقال له: كيف حال ذلك الإنسان عندك؟

قال: على خير حال يرضاها الصديق ويكرها العدو.

فبعث إليه بهدية من عدة آلاف من الدراهم، وكان سعيد من أهل اليسار<sup>(١)</sup>. انظروا كيف يتم مثل هذا الزواج، إن سعيد بن المسيب أحد علماء الدُّنيا ورجالها الذين كان الخلفاء يحاولون القرب منه فيأبى، سعيد بن المسيب يرفض الوليد بن عبد الملك ويزوّج ابن أبي وداعة.

هكذا كان السلف رضوان الله عليهم، كانوا يختارون الرجال.

(١) رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء (١٦٧/٢ - ١٦٩)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



اختر لابنتك الرجل الصالح، ذا الدين والخُلُق، هكذا علّمنا الإسلام أن نختار حينما نزوّج بناتنا.

### صلاح المرأة ينفع زوجها:

كذلك علّمنا الإسلام إذا تزوجنا أو زوجنا أبناءنا أن نختار المرأة الصالحة، البنت الصالحة، أن نتخيّر لنطفنا، إنّ الخير يورث، والشر يورث، على معنى أنّ البيئة الصالحة تؤثر في أبنائها وبناتها.

هذا أمر معروف بالعادة، فيجب على الإنسان أن يبحث عن البيئة الصالحة، عن التربة الصالحة، عن الفتاة الصالحة، ذات الدين، يبحث عن ذات الدين؛ «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»<sup>(١)</sup>.

اظفر بذات الدين التي تُعينك على أمر دينك، إنّها كنز عظيم، إنّها تساعدك على طاعة الله، وتُحذرك من معصية الله.

هكذا كانت المرأة الصالحة في العصور الأولى، تقول لزوجها إذا خرج يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله: يا أبا فلان، إياك والمال الحرام، إياك والكسب الحرام؛ فإنّا نصبر على الجوع والطوى، ولا نصبر على حرّ النار وغضب الجبار<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كانت المرأة الصالحة عوناً لزوجها على تقوى الله، المرأة الصالحة تحفظ له شَطْرَ دينه، ولذلك ينبغي أن تبحث عنها، وأن تعصّ عليها بالنواجد.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

(٢) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).

## عون الله للنّاكح يريد العفاف:

ابحث عن المرأة الصالحة، وللصّلاح علامات وأمارات، والكتاب يُقرأ من عنوانه، ابحث عن المرأة الصالحة، هكذا ينبغي أن نبحت إذا بحثنا عن ذات الدّين، أمّا نحن فعَمَّ نبحت؟

النّاس يبحثون أكثر ما يبحثون عن ذوات المال، عن العائلة الكبيرة التي تقف وراءه، وتشدُّ أزره، وتسند ظهره، اعتمد قبل كلّ شيء على الله تبارك وتعالى، لا تتوكّل على النّاس، بل توكّل على الله، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الأنفال: ٤٩]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهََ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

ابحث عن المرأة الصالحة، وتوكّل على الله تبارك وتعالى، لا تخف؛ فإنّ الله تعالى إذا علم منك صدق نيتك فتح لك الأبواب المغلقة، ويسّر لك السبل المعقدة، جاء في الحديث الذي رواه أحمد وغيره عن النّبي ﷺ: «ثلاثة حقّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والنّاكح الذي يريد العفاف»<sup>(١)</sup>.

إنّ علينا أن نصحّ المقاييس في الاختيار، هذه واحدة.

وعلينا بعد ذلك أن نُسهّل أمر الزواج، الإسلام شرع الزواج سهلاً فصعّبناه، يسيراً فعسّرناه، بسيطاً فعقدناه، لم هذا كلّهُ؟ لماذا هذا التعسير؟

إذا أراد الإنسان أن يتزوَّج طُلب منه مهر يقصم الظهر، مغالاة في الصّدقات، وهذا الصداق أو الصّدقة أو المهر ليس ثمناً يقابل قيمة

(١) رواه أحمد (٧٤١٦)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. والترمذي في (١٦٥٥)، وحسنه، والنسائي

(٣١٢٠)، كلاهما في الجهاد، وابن ماجه في العتق (٢٥١٨)، وحسنه الألباني في صحيح ابن

ماجه (٢٠٤١)، عن أبي هريرة.

المرأة، بل هو شيء رمزي، هو هديّة وعطيّة، ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

هذا هو المراد، ولكنه ليس ثمنًا حتّى نُكثّره ونُغالي فيه.

لا والله، النَّبِيُّ ﷺ يقول: «خير النِّكاح أيسرُهُ»<sup>(١)</sup>، «إِنَّ أعظم النِّكاح بركة أيسره مؤونة»<sup>(٢)</sup>، أي: ما كان قليل التكاليف، وقال ﷺ: «إِنَّ من يُمن المرأة: تيسير خُطْبَتِها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها»<sup>(٣)</sup>.

### عواقب تأخير الزواج:

ولهذا نرى السلف كانوا يتزوّجون على ما يتيسّر، لماذا تكسرون قلوب الفقراء؟ لم هذا الرياء الاجتماعي؟ لماذا لا يدخل العروس بعروسه بعيدًا عن هذه المظاهر الزائفة؟ لماذا تُعقّدون ما جعله الله بسيطًا؟ لماذا تُعسّرون ما ييسّر الشرع؟

هذه البيوت التي تؤثت الأثاث الفاخر، لماذا المكاثرة في هذا الأثاث؟ لماذا كلُّ هذا؟ لماذا فعل النَّاس بأنفسهم هذا كلّ؟ ومن أين يأتي الشاب وهو في أوّل الطريق، وفي أوّل درجات السلم الوظيفي، من أين يأتي بهذا؟

أنجبره على أن يستدين، والدّين همّ بالليل ومذلّة بالنّهار؟

(١) رواه أبو داود (٢١١٧)، وابن حبان (٤٠٧٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. كلاهما في

النكاح، وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٨٤٢)، عن عقبه بن عامر.

(٢) رواه أحمد (٢٤٥٢٩)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود الطيالسي (١٥٣٠)، والنسائي

في الكبرى في عشرة النّساء (٩٢٢٩)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٢٤٤٧٨)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وابن حبان في الصّدّاق (٤٠٩٥)، والحاكم

في النكاح (١٨١/٢)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عائشة.

وقد يستدين بالفوائد الربويّة فيدخل في حرب الله ورسوله من أوّل يوم، لماذا؟

وهل يرضى الإنسان أن يصبح زوج ابنته من أوّل يوم يُصهر إليه مديناً مرهقاً؟

لماذا هذا التكلّف وقد نهينا عن التكلّف؛ ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].  
إنّ هناك أشياء كثيرة يرتكبها النّاس تكون في الحقيقة سبباً في تعثر أمر الزواج، وما النتيجة بعد هذا كلّ؟  
النتيجة أن تبقى بناتنا في البيوت بلا زواج، أن تكثر أعداد العوانس، وأن تُحرم بناتنا من عاطفة الزوجيّة وحقّ الأمومة.

### هل يكره الآباء بناتهنّ؟

ليس هناك أبّ يكره بناته، ولكنّه سوء الفهم، خلل في العقل، اضطراب في المعايير، يجب أن نُصحّ مفاهيمنا، يجب أن يكون هناك شجعان من النّاس يثورون على هذه التقاليد، يتحرّرون من هذه العادات، يقفون عند حدود الله وعجل.

### لا تُؤخّروا زواج بناتكم:

أعرف رجلاً كبيراً في اليمن، كان قاضياً كبيراً، وكان عضو المجلس الجمهوري، زوّج بعض بناته وبنات أقاربه ممّن له يدٌ عليهنّ على ريال واحد، ريال يمّني، لماذا؟

أراد أن يثبّت القاعدة، وأن يكسر هذا الجمود، وهذه الحواجز التي يقف النّاس وراءها ويدفنون أنفسهم فيها طوعاً واختياراً، نحن في حاجة

إلى شجعان حتّى لا يتسبّب الأمر في أن يبحث الإنسان عن زوجة خارج بلده، يذهب إلى الهند أو إلى بلد آخر، ويترك البنات من أبناء بلده.

والله طالما رأيت البنات وأنا أُدرّس للطالبات في الجامعة، أسأل إحداهن: هل أنت متزوجة؟ فلا أكاد أجِد متزوجة، أو مخطوبة، وهن من خيرة البنات حسبًا وعقلًا وعلمًا وأدبًا وجمالًا، وقد أوتين كلّ شيء، لماذا لا تتزوج هؤلاء؟ مَنْ الذي يؤخّر زواجهن؟

حرام يا قوم، حرام عليكم أن تؤخّروا زواج بناتكم، والأيم من لا زوج لها بكرًا كانت أو ثيبًا، إذا حضر كفؤها فلا تؤخّرها.

حرام علينا أن نحرم بناتنا ونحرم أبناءنا من الزواج؛ لئلا يتزوجوا من الخارج، أو يقعوا فريسة لشيّاطين الجن والإنس، وما أكثرهم في عصرنا! ما أكثر سماسرة الشهوات الذين يتاجرون بالغرائز! ينتظرون هذا الشباب عند المطارات يعرضون عليهم الشقق المفروشة، ويعرضون عليهم اللحوم الأدمية الرخيصة، فيقع هؤلاء الشبان الأغرار في حبائلهم، فيستلبون أموالهم، ويستلبون أخلاقهم، ويستلبون صحتهم، ويستلبون كلّ شيء فيهم، يدمّرون علينا شبابنا.

إنّ أحدًا لا يجهل تلك الرحلات التي تذهب إلى هنا وهناك، في أوربا وفي الشرق الأقصى، وفي بانكوك، وفي عواصم العالم العربي، يذهب الشاب مستقيمًا ويعود منحرفًا، مَنْ الذي تسبّب في انحرافه؟

### إنّه تأخير الزواج:

علينا أن نسهّل أمر الزواج كما شرع الله تبارك وتعالى، علينا أن نيسّر ولا نعسّر، فليس هذا من الدين في شيء.

علينا - أيها الإخوة المسلمون - أن نتفق في ديننا، وأن نقف عند حدود الله تبارك وتعالى ولا نتعدها، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا للتي هي أقوم، وأن يجعلنا من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*





## من أحكام الخطبة في الإسلام<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الزَّوْجِ بِاعْتِبَارِهِ أَسَاسًا لِتَكْوِينِ الْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ،  
وَالْبَيْتِ الْمُسْلِمِ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ الْمَجْتَمَعِ الصَّالِحِ، وَالْأُمَّةِ الصَّالِحَةِ.

### الاستخارة:

عِنْدَمَا يَشْرَحُ اللَّهُ صَدْرَ إِنْسَانٍ لِلزَّوْجِ؛ فَأُولَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَهُ أَنْ  
يَسْتَخِيرَ اللَّهَ وَجَلَّ.

إِذَا انْشَرَحَ صَدْرُهُ لِفُلَانَةِ بِنْتِ فُلَانٍ فَعَلَيْهِ أَمْرَانِ: أَنْ يَسْتَخِيرَ، وَأَنْ  
يَسْتَشِيرَ، يَسْتَخِيرُ الْخَالِقَ، وَيَسْتَشِيرُ الْخَلْقَ؛ فَلَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ،  
وَلَا نَدَمَ مَنْ اسْتَشَارَ.

وَالِاسْتِخَارَةُ مَعْرُوفَةٌ عَلَّمَهَا النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ كَمَا كَانَ يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ  
مِنَ الْقُرْآنِ، أَنْ يُصَلِّيَ الْإِنْسَانُ رَكْعَتَيْنِ كَأَيِّ رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَ أَنْ يُسَلِّمَ مِنْهُمَا

(١) أَلْقِيَتْ فِي الدُّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٢٤ نَوْفَمْبَرِ ١٩٩٥م.



يدعُو الله بهذا الدعاء: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنَّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني، ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رَضني به». قال: «ويُسَمِّي حاجته»<sup>(١)</sup>. هذا أوَّل ما ينبغي أن يفعله المسلم إذا توجه قلبه إلى امرأة ليتزوجها - وكذلك إذا عُرض على المرأة فلان لتتزوجه - أن يستخيرا الله.

### معنى الاستخارة:

ومعنى الاستخارة: طلب الخير، ويفعلها الإنسان في كل ما يتردّد فيه الإنسان بين أمرين أو جملة أمور؛ أيها خير له؟ فهو كأنما يستشير ربّه في هذا، فيقول: يا رب اهدني إلى خير الأمرين، فالاستخارة مجرد دعاء.

وليس من الضروري أن يرى رؤيا، كما يظن بعض الناس، هو يقول: إذا كان هذا الأمر خير لي فاقدره لي، وبارك لي فيه. فإن وجد الأمر مُيسراً ومُسَهَّلاً فهذا دليل الإذن والقبول من الله ﷻ، وإن وجد فيه عقبات وعقبات فهذا دليل على أن الله لا يريد له هذا الأمر، هذه هي الاستخارة.

### الاستشارة:

كما أن عليه أن يستشير العقلاء والخيرين من الناس، ممّن يحبون له الخير، ويودون له النجاح والتوفيق، لا يستشير من يحسده، ولا من يكره.

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٢)، عن جابر بن عبد الله.

له بُغْضًا، ولا مَنْ لا يريد له الخير، ولا يستشير إنسانًا طائشًا، ولا إنسانًا لا رأي له ولا عقل، إنما يستشير العُقلاء الأخيار، الَّذِينَ يحبون له الخير كل الخير، فالاستشارة أمر من أمور الإسلام في كل شؤون الحياة، وقد وصف الله تعالى المجتمع المسلم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. فإذا وجد قلبه منشرحا ذهب إلى المرأة ليخطبها.

### من أحكام الخطبة:

والخطبة مقدّمة للزواج، ليست عقدًا للزواج، وإنّما هي تمهيد له، طلب المرأة من أهلها، أنّه يريد فلانة زوجة له، عليه أن يتحسّس قبل الخطبة: هل يقبل أو لا يقبل؟ أن يوسّط بعض الناس ليتكلموا مع أهلها، ثمّ يُقدّم على هذه الخطبة.

### رؤية المخطوبة:

ويحسن - قبل أن يقدم على ذلك - أن يرى المرأة، يمكن أن يراها رسميًا بإذن أهلها، وفي بيت أهلها، ويمكن أن يراها دون أن تعلم، لماذا؟ لأنّه ربما رآها فلم تعجبه فأعرض عنها، فكان ذلك جرحًا لشعورها، وإساءة إليها، ولذلك رأى بعض الصحابة المرأة دون أن تعلم، وربما كان هذا هو الأوسط.

روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل». قال جابر: فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتّى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها وَتَزَوَّجَهَا فتزوجتها<sup>(١)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص ٨٠.

وكذلك فعل محمد بن مسلمة، قال: خطبتُ امرأة، فجعلتُ أتخبَّأ لها، حتَّى نظرت إليها في نخل لها، فقليل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة؛ فلا بأس أن ينظر إليها»<sup>(١)</sup>.

وجاء المغيرة بن شعبة يقول: يا رسول الله خطبتُ امرأة. قال: «اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»<sup>(٢)</sup>. هذا أجدر أن يجعل بينكما ألفة وائتدماً واتفاقاً، فالعين رسول القلب، وكذلك جاء رجل إلى رسول الله يقول: خطبت امرأة من الأنصار. فقال: «أنظرت إليها؟» قال: لا. قال: «انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً»<sup>(٣)</sup>. لعله لا يعجبك منظر عيون نساء الأنصار، وهكذا ينبغي أن ينظر الإنسان إلى مَنْ يخطبها.

### ماذا ينظر في مخطوبته؟

بعض العلماء ضيَّقوا، وبعض العلماء وسَّعوا توسعة شديدة في مسألة ما يباح النظر إليه من المخطوبة، فمن العلماء مَنْ قال: له أن ينظر إلى وجهها وكفيها. ولكن هذا هو ما ينظره في النساء العاديات، يمكن أن ينظر إلى وجه كل امرأة وكفيها.

وقال بعض العلماء: يمكن أن ينظر إلى ما عدا وجهها وكفيها، فينظر إلى شيء من ذراعيها، وشيء من ساقها، وشيء من شعرها<sup>(٤)</sup>.

- (١) رواه أحمد (١٧٩٧٦)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في النكاح (١٨٦٤).
- (٢) رواه أحمد (١٨١٣٧)، وقال مخرَّجوه: صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثهم في النكاح، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٥٠٣/٧).
- (٣) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، وأحمد (٧٨٤٢)، والنسائي في النكاح (٣٢٤٧)، عن أبي هريرة.
- (٤) انظر المجموع للنووي (١٣٣/١٦)، نشر دار الفكر، والمغني لابن قدامة (٩٧/٧)، نشر مكتبة القاهرة، والمحلى لابن حزم (١٦١/٩).

وقد ورد أن عمر بن الخطّاب خطب أم كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، فقال له أبوها: إنّها صغيرة. فانصرف، فقال له بعض الناس: إنّهُ ردّك بهذا فعاود الكلام معه. فذهب إلى علي فقال له: إنّني أريد أم كلثوم. وكان يريد بهذا أن يكون بينه وبين رسول الله ﷺ نسب، فأَم كلثوم بنت علي هي بنت فاطمة الزهراء، جدها رسول الله ﷺ، فقال له: سأبعث إليك بها لترأها. كانت صغيرة، فبعث إليه بها، فنظر إليها وكشف عن ساقها، فقالت له: أرسل، فوالله لولا أنّك أمير المؤمنين للطمت الذي فيه عيناك<sup>(١)</sup>. هي لا تعرف أنّه يخطبها، ولذلك تعجبت أن ينظر إلى ساقها، فهذا يدل على أنّه يجوز للخاطب أن يرى ساق المرأة، أو ذراعها، أو شيئاً من شعرها.

### التشدد في أمر الرؤية:

ويتفاوت المسلمون في عصرنا أشدّ التفاوت في هذا القضية، فمنهم مَنْ لا يجيز رؤية المخطوبة بأي حال من الأحوال، ولا زال هذا سائداً في بلاد الخليج، وهو ضد الشرع، فالشرع يأمر بالنظر، والنبى ﷺ حينما جاءته امرأة تهب له نفسها صعد فيها النظر وصوبه، ثم صمت وأعرض عنها، فمن حقّ الخاطب أن يرى مَنْ يخطبها.

ولكن الناس هنا في الخليج لا يجيزون للخاطب أن يرى مخطوبته، بل يعقد عليها ولا يراها بعد العقد، وإنّما يراها ليلة البناء بها، ليلة الزفاف، مع أنّها تذهب إلى المدرسة، وتذهب إلى الجامعة، وتسافر إلى البلاد العربية، والبلاد الأوربية، ويراها كل الناس إلّا هذا المسكين خاطبها أو زوجها.

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٣٥٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٥٢١).

وهذا ليس من الشرع في شيء، فالشرع يبيح الرؤية، بل هو يطلب الرؤية، وهذه الرؤية من حق الرجل، ومن حق المرأة، ولذلك قال الإمام أبو إسحاق الشيرازي: يجوز للمرأة أن تنظر إلى خاطبها؛ لأنها يعجبها من الرجل ما يعجب الرجل منها. وهذا ليس بجائز لها فقط، بل ينبغي عليها أن تنظر.

### الجلوس إلى المخطوبة والحديث معها:

والواقع أن مجرد الرؤية لا تكفي، بل لا بد من الحديث؛ لعلّ عندها عيباً في نطق الكلام، ثم إنه يريد أن يتعرف على عقليتها، وعلى شخصيتها العامة، والإنسان ليس بصورته ومظهره فحسب، فبالرؤية يتعرّف على وجهها ويديها وصورتها الظاهرة، ولكنّه لا يعرف: أهى عاقلة أم غير عاقلة؟ أهى إنسانة ذكيّة أم غبيّة؟ أهى سليمة اللسان أم غير سليمة؟ وهذا إنّما يُعرف بالمحادثة.

ولهذا ينبغي لأهل المرأة أن يسمحوا بأن يجلس إليها وتجلس إليه، ويكلم كلّ منهما الآخر ويتعرّف على السمات العامة لشخصيته، فقد تكون المرأة مقبولة في صورتها غير مقبولة في عقليتها، وقد يكون الرجل كذلك، فمن حقّ الحياة الزوجيّة أن نحتاط لها، فهذا ما أمر به الشرع.

أمّا منع الرؤية، ومنع الجلوس، ومنع اللقاء والحديث فكثيراً ما يترتب عليه إخفاق الحياة الزوجيّة، وفشل بقاء الزوجين معاً، ومن هنا كثرت نسبة الطلاق في بلاد الخليج نتيجة لذلك، لا بدّ من أن يفتح الخاطب عينيه واسعتين قبل الزواج، وينظر ويرى ويتأمّل، وهذا حقّ للرجل والمرأة.

وإذا كان بعض الناس يتشددون في رؤية الخاطب لمخطوبته فهناك آخرون يطلقون العنان، ويدعون الحبل على الغارب، ويتركون الفتى يتأبط ذراع الفتاة، ويذهب معها إلى النزهات والخلوات والسينمات ليتعرف عليها عن كثب.

وهذا لا يجوز، نحن نقع بين الإفراط والتفريط، جماعة مُفَرِّطون، وجماعة مُفَرِّطون، وإنما ضاعت الأمة بين الغلاة المُفَرِّطين والمُقَصِّرِينَ المُفَرِّطين، والخير كل الخير في الوسط، فينبغي النظر إلى المخطوبة والتعرف عليها في إطار معتدل.

### خِطْبَةُ الْمَرْءِ عَلَى خُطْبَةِ أَخِيهِ:

ولا يجوز أن يخطب الإنسان امرأة خطبها غيره، فالنبي ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يبيع على بيع أخيه، ولا أن يخطب على خطبة أخيه، إِلَّا أَنْ يَتْرَكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ»<sup>(١)</sup>. إذا ترك مخطوبته فأنت في حلٍّ للتقدم إليها، أو أذن لك لأنه لا زال مترددًا! وبغير هذا لا يحلُّ لإنسان أن يخطب على خطبة أخيه.

### خِطْبَةُ الْمَرْأَةِ فِي الْعِدَّةِ:

كما لا يجوز أن يخطب امرأة وهي لا تزال في العدة، سواء كانت عدة الطلاق الرجعي؛ إذ يجوز لزوجها أن يراجعها في أي وقت: ﴿وَيُعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرِدَّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]، كذلك لا يجوز له أن يخطبها خطبة صريحة وهي في عدة الوفاة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢)، كلاهما في النكاح، عن ابن عمر.



### التعريض بالخطبة:

ولكن يجوز أن يُعرّض بالخطبة، فيقول مثلاً: إنني في حاجة إلى امرأة صالحة، إنني في حاجة إلى امرأة صفتها كذا وكذا. وهذه الصفات تنطبق عليها، إياك أعني واسمعي يا جارة، هكذا يقول القرآن: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [البقرة: ٢٣٥].

### موافقة المرأة ووليها:

ولا بد من موافقة المرأة، وموافقة وليها، لا بد أن تُستأذن المرأة إذا أريد الزواج منها، بعض الآباء يجعلون من أنفسهم قِيَمِينَ على بناتهم، ويُزوّجون المرأة ممّن يشاؤونهم، لا ممّن تشاء هي، لا، فالإسلام يفرض أن يؤخذ رأيها، ولا بد من موافقتها صراحة، أو على الأقل بالصمت والسكوت، وهو دلالة الرضا.

ولذلك قال النبي ﷺ: «الثَّيْبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا، وَالْبَكَرُ تُسْتَأْذَنُ». قيل: يا رسول الله؛ إنّ البكر تستحي. فقال: «إِذْنُهَا صِمَاتُهَا»<sup>(١)</sup>. إذا سكّنت فهذا دلالة الرضا، أمّا إذا بكت أو نفرت، أو قالت: لا. فلا يجوز لأب أن يزوّجها رغم أنفها، وإلا كان هذا افتياتاً على الشرع، وعلى المرأة، وعلى الإسلام.

وقد ردّ النبي ﷺ نكاح امرأة زوّجت بغير رضاها، وكانت بكرًا<sup>(٢)</sup>، وجاءته إحدى البنات الأبكار تستشير، تقول: يا رسول الله؛ إنّ أبي يريد أن يزوّجني من ابن أخيه، وأنا له كارهة. فقال لها:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحيل (٦٩٧١)، ومسلم في النكاح (١٤٢٠)، عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٦.



«أجيزي ما صنع أبوك». قالت: يا رسول الله؛ إنني له كارهة. قال لها: «أجيزي ما صنع أبوك». ثلاث مرات وهي تقول له: لا. فقال: «إذن الأمر إليك». أنت صاحبة الشأن في هذا الأمر، فقالت: يا رسول الله؛ أجزتُ ما صنع أبي، ولكن أردت أن يعلم الآباء أنهم ليس لهم من أمر بناتهم شيء<sup>(١)</sup>. أرادت أن تحسم المبدأ لبنات جنسها، أن الأب لا يجوز أن يجبر ابنته على مَنْ لا تريد؛ بل ينبغي على الأب الرفيق الرحيم الحاني أن يتحسّن رغبات ابنته، ويعرف ماذا عندها.

### مشاورة الأم:

ولذلك قال النبي ﷺ: «آمروا النساء في بناتهن»<sup>(٢)</sup>. يعني: شاوروا الأمّهات في بناتهن، عندما تريد أن تزوّج ابنتك، أو إذا تقدّم لها خاطب شاور أمّها، لماذا؟ لأن الأم طرف في هذه القضية، ولو زوّجت ابنتها بغير رضاها ممّن لا تحبه فستنكّد عليه عيشه، وتجعل حياته جحيماً.

ثم من ناحية أخرى: لأنّ الأم أدري بابتنها من أبيها، البنت أقرب إلى أمّها، وتُفضي إليها بالأسرار ما لا تفضي بها إلى الأب، ولعلها متعلقة برجل آخر، ولا تريد أن تبوح بذلك لأبيها، فعلى الأب أن يسأل امرأته ويشاورها، وأن يقول لها: جاء فلان فما رأيكم؟ فهذا أمر مهم.

وقد ذهب النبي ﷺ إلى جماعة من الأنصار يخطب ابنتهم إلى جليبيب رضي الله عنه، فقال للرجل: «أريد ابنتك لجليبيب». فقال له: حتّى أشار أمّها. فقال: «نعم». فاستشار أمّها، فقالت له: نرد فلاناً وفلاناً وفلاناً ثم

(١) سبق تخريجه ص ٧٧.

(٢) رواه أحمد (٤٩٠٥)، وقال مخرّجوه: حديث حسن. وأبو داود في النكاح (٢٠٩٥)، عن ابن عمر.

نزوجها لجليبيب، هذا الفقير المسكين! فسمعت الفتاة من وراء الخباء هذا الكلام فقالت: أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره؟ إن كان قد رضىه لكم فأنكحوه. فلم يسع أبويها إلا أن يقبلوا بهذا الأمر<sup>(١)</sup>. فلا بد من استشارة الأم، لا بد أن يكون الزواج برضا كل الأطراف، ولهذا اشترط رضا الولي، وإذن الولي، وحضور الولي، كما هو مذهب الأئمة الثلاثة: مالك، والشافعي، وأحمد.

### التكافؤ بين المخطوبين:

وأجاز الإمام أبو حنيفة أن تزوج الفتاة البالغة الرشيدة نفسها من كُفٍّ، فإذا لم يكن الزوج كفاً فمن حق أوليائها أن يعترضوا<sup>(٢)</sup>. وهذه الكفاءة مطلوبة في الزواج، لا بد من التكافؤ بين الزوجين، والتكافؤ في الدين أهم مراتب التكافؤ وأنواعه: أن يكون الرجل ديناً يخشى الله في المرأة، وقد قال الشعبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ زَوَّج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها<sup>(٣)</sup>.

وذكر الإمام البخاري الكفاءة في النكاح، وجاء بهذا الحديث عن سهل بن سعد الساعدي، أنه قال: مرَّ رجل على رسول الله ﷺ، فقال لأصحابه: «ما تقولون في هذا؟» فقالوا: رجل من أشرف الناس، هذا والله حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكَحَ، وإن شَفَعَ أن يُشَفَّعَ. قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرَّ رجل آخر، فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هذا؟» فقالوا: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حَرِيٌّ إن

(١) رواه أحمد (١٢٣٩٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وابن حبان في

النكاح (٤٠٥٩)، عن أنس.

(٢) المبسوط للسرخسي (١٢/٥)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٤/٤).

خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يُسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا»<sup>(١)</sup>. فالناس لا يقاسون بالمال ولا بالجاه ولا بالشهرة، وإنما يقاسون بالإيمان والأخلاق والعمل الصالح، فهذه هي الكفاءة الأولى كفاءة الدين.

ثم هناك كفاءات أخرى، مثل الكفاءة في الثقافة، لا ينبغي لأُمِّي أن يتقدم ليخطب جامعية، فالفرق بينهما بعيد، لا يستطيع أن يفهمها ولا أن تفهمه.

ولا بد أن يكون هناك تكافؤ في السن أيضاً، صحيح أن النبي ﷺ تزوج خديجة رضي الله عنها، وكانت تكبره بخمسة عشر عاماً، ولكن ليست كل النساء خديجة، وتزوج عائشة رضي الله عنها، وكانت تصغره بأكثر من أربعين عاماً، ولكن ليست كل النساء عائشة، وليس كل الأزواج محمداً ﷺ، لا بد أن نراعي التقارب والتكافؤ.

تقدم أبو بكر رضي الله عنه ليخطب فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فاعتذر له بأنها صغيرة، وتقدم عمر رضي الله عنه ليخطبها فاعتذر له بأنها صغيرة، فتقدم لخطبتها ابن عمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فزوجها رسول الله ﷺ منه، فالتقارب في السن أمر مطلوب.

### التأني في البحث قبل الموافقة:

ومن هنا إذا أردنا أن يكون الزواج زواجاً ناجحاً غير متعرض للهزات لا بد أن يبحث الرجل، وتبحث المرأة، ويبحث أهلها فيمن يتقدم إليها: هل هو مناسب لها أو غير مناسب؟ قد يكون رجلاً طيباً وفاضلاً، ولكن طباعه غير موافقة لطباعها، إذا كان رجلاً حاد المزاج، عصبى السلوك،

(١) رواه البخاري في النكاح (٥٠٩١)، عن سهل بن سعد.

وهي نفس الشيء حادة عصبية إذن ستكون حياتهما نارًا مشتعلة باستمرار، ينبغي للرجل العصبي أن يتزوج امرأة هادئة الطباع، فليس كل رجل صالحًا لكل امرأة.

لا بد من التأني والترث عند الإقدام على الزواج، لا ينبغي أن يتقدم الإنسان بعاطفة هوجاء، أو تتقدم الفتاة لتقبل كل من يأتي إليها، أو كل من قال لها بعض الكلمات المعسولة، كبعض فتياتنا اللاتي ينخدعن بمثل هذا الكلام، الذي يقال في الهواتف من شباب لا يخشون الله وعجل ولا يراقبونه، لا بد من التريث والتأني.

### العواطف الإنسانية:

وليس معنى هذا أن نلقي العواطف الإنسانية في سلة المهملات، لا، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن جماعة قالوا: يا رسول الله؛ إن عندنا ابنة تقدم لها رجل موسر، وتقدم لها رجل مُعَدَم، وهي تهوى المعدم، ونحن نهوى الموسر. فقال النبي ﷺ قال: «لم يُرَ للمتحابين مثل الزواج»<sup>(١)</sup>. أفضل طريقة لطرفين متحابين أن تُوفَّق بينهما على سنة الله ورسوله، أن تجمع بينهما في الحلال، «لم يُرَ للمتحابين مثل الزواج».

لم يكن العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام يرون تزويج الفتاة ممن يحبها، وخصوصًا إذا كان شاعرًا، وقال فيها شعرًا، ونحن نعلم قصة قيس بن الملوح وليلى، وكيف حُرِمَ منها، وهذا لا يُقرُّه الإسلام، «لم يُرَ للمتحابين مثل الزواج».

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤٦)، والحاكم (١٦٠/٢)، وصحَّحه، كلاهما في النكاح، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٠)، عن ابن عباس، بدون ذكر القصة. والقصة رواها ابن منده في الأمالي، كما في الصحيحة للألباني (٦٢٤).

ويروي ابن عباس أَنَّ النبي ﷺ بعث سرية فغنموا وفيهم رجل، فقال لهم: إِنِّي لست منهم؛ عشقت امرأة فلحقتها؛ فدعوني أنظر إليها، ثُمَّ اصنعوا ما بدا لكم. فإذا امرأة طويلة أدماء، فقال لها: اسلمي حبيش قبل نفاذ العيش.

أَرَأَيْتَ لَوْ تَبِعْتُكُمْ فَلَحِقْتُكُمْ      بحلية أو أدركتكم بالخَوَانِقِ  
أَمَّا كَانَ حَقُّ أَنْ يُنَوَّلَ عاشقٌ      تكلف إدلاج السُّرى والودَائِقِ

أي: سرى بالليل وتكلف المشقات حتى وصل إلى هنا. فقالت له المرأة: نعم فديتك. فأخذ الرجل وضربت عنقه، فجاءت المرأة ورمت نفسها عليه فشهقت شهقة، أو شهقتين، ثُمَّ ماتت، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رجل رحيم؟»<sup>(١)</sup>.

هكذا أبدى تعاطفه ﷺ مع هذين المحبين، فليس كل الحب مرفوضاً، وليس كل الحب حراماً، الحب الحلال حلال، والحب الحرام حرام، هناك حب يأتي من غير أن يسعى إليه الإنسان، الحب من أول نظرة، الحب الذي يأتي فجأة ويهجم على القلب وما سعى الإنسان إليه، ولا حرص عليه، ثُمَّ إِنَّهُ أَحَبَّ امرأة مناسبة له في دينها، وفي خلقها، وفي كل ما يحتاجه إليه منها، فإذا كان الحب مثل هذا فهو مشروع، وينبغي ألا نقف في سبيله.

إذا كان الزواج بهذه الصورة فلا حرج فيه، وينبغي أن نتمه، بعد أن تُستشار البنت، وتُستشار أمُّها، ويأذن وليُّها، وهي مستوفية للصفات التي

(١) رواه النسائي في الكبرى في السير (٨٦١٠)، والطبراني في الأوسط (١٦٩٧)، وفي الكبير (٣٦٩/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٥٥): إسناده حسن. عن ابن عباس.

ذكرناها في الخطبة السابقة، هنالك يقدم الخاطب على الزواج وهو مطمئن القلب، وراضٍ بما يسّر الله له، ويدفع المهر المطلوب كما تيسّر، دون أن يبالغ.

### التيسير في المهور:

وليس في الإسلام حدٌّ لأقل المهر، ولا لأكثره، وفي حياة النبي ﷺ رأيناه يقول للرجل الذي أراد أن يتزوَّج المرأة: «التمس ولو خاتماً من حديد». فلم يجد خاتماً من حديد، فقال له: «أمعك شيء من القرآن؟» قال: نعم عندي سورة كذا، وسورة كذا، وسورة كذا. قال: «أتقروها عن ظهر قلب؟» قال: نعم يا رسول الله. قال: «زوجتكها بما معك من القرآن»<sup>(١)</sup>. يعني علّمها هذه السور.

وتزوَّج عبد الرحمن بن عوف بنوأة من ذهب، وتزوَّج النبي ﷺ أمّهات المؤمنين - كما قالت عائشة - على اثنتي عشرة أوقية، ونصف الأوقية (خمسمائة درهم) وتزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وهي في الحبشة، والذي زوجها له، وأعطاه مهرها نجاشي الحبشة، أعطاه أربعة آلاف درهم، وجهازها وأرسلها إليه مع شرحبيل بن حسنة<sup>(٢)</sup>، فالمهور تفاوتت في عهد النبي ﷺ.

تقدّم أبو طلحة الأنصاريُّ إلى أم سليم أم أنس بن مالك ليخطبها، فقالت له: يا أبا طلحة، مثلك لا يُرد، ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٣٠)، ومسلم في النكاح (١٤٢٥)، عن سهل بن سعد.

(٢) رواه أحمد (٢٧٤٠٨)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات. وأبو داود (٢١٠٧)، والنسائي (٣٣٥٠)، والحاكم (١٨١/٢)، ثلاثتهم في النكاح، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.



ولا يحلُّ لي أن أتزوجك، فإن أسلمت فذلك مهري، لا أسألك غيره. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله. قال ثابت راوي الحديث: فما رؤيت امرأة أكرم مهرًا وأعلى مهرًا من أم سليم. كان مهرها إسلام زوجها.

هكذا ينبغي أن نُيسر في الأمر، وقد قال النبي ﷺ: «خير النكاح أيسره»<sup>(١)</sup>. وقال أيضًا: «خير الصِّدَاق أيسره»<sup>(٢)</sup>. وكذلك قال ﷺ: «إنَّ من يمن المرأة - أي من بركتها - تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها»<sup>(٣)</sup>. أي: ولادتها، هذا من بركة المرأة، فإذا أراد الرجل الزواج فليتقدَّم ويعطي المرأة مهرها، ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

أسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يبصرنا بأمور ديننا، وأن يهَيِّئَ لنا من أمرنا رشدًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) رواه أبو داود (٢١١٧)، وابن حبان (٤٠٧٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. كلاهما في

النكاح، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٨٤٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه الحاكم في النكاح (١٨١/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه

الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٩)، عن عقبة بن عامر.

(٣) رواه أحمد (٢٤٤٧٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. وابن حبان في الصِّدَاق (٤٠٩٥)، والحاكم

في النكاح (١٨١/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عائشة.



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

### تفجير السفارة المصرية في باكستان:

فكلما حدث حدث من حوادث العنف التي نقرأ عنها، ونشاهد آثارها الآن أمسكت قلبي بيدي، وأصبحت تعتريني مشاعر متباينة، مشاعر الخوف والإشفاق، ومشاعر الحزن والكمد، ومشاعر الغضب والغیظ، وذلك أنّ هذه الحوادث تتسبّب في قتل أناس أبرياء، لا ذنب لهم ولا جريرة.

### إنكار الإسلام لجرائم العنف:

ما ذنب الذين يُقتلون من الأطفال والنساء، والشيوخ والمدنيين العُزّل في مثل هذه الأحداث؛ ودمهم دم مصون ومعصوم، وحرمتهم عند الله عظيمة؟

ما ذنب هؤلاء؛ والنبي ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم بغير حق»<sup>(١)</sup>. وذكر القرآن أنّ التشريعات السماوية من قديم تُقرر: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

إنّ الإسلام لم يُبح حتّى في الحروب الشرعية والعنيفة أن يُقتل إنسان

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥) مرفوعاً، وموقوفاً، ورجّح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، والبيهقي في النفقات (٢٢/٨)، وصحّحه السيوطي في الصغير (٧٢٣٦)، والألباني في غاية المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.

غير مقاتل، حينما رأى النبي ﷺ امرأة في إحدى الغزوات مقتولة غضب ﷺ وقال: «ما كانت هذه لتقاتل»<sup>(١)</sup>.

وكذلك كان الخلفاء الراشدون يُوصون قوادهم العسكريين: ألا يقتلوا شيخاً، ولا امرأة، ولا صبيّاً، ولا راهباً في صومعة، ولا الفلاحين في مزارعهم، وألا يقطعوا شجراً، وألا يهدموا بناءً<sup>(٢)</sup>.

لهذا كانت الحرب الإسلامية حرب رحمة وسماحة، ولم تكن حرب عنف وإبادة.

جاء لأبي بكر رضي الله عنه بضرة، بعث إليه بها قائد مَن يحاربون في الجبهة الفارسية، ففتح الصرة فوجد فيها رأس إنسان مقتول، فغضب أبو بكر، وقال: ما هذا؟ قالوا: يا خليفة رسول الله هم يفعلون ذلك بقادتنا، وبيعثون برؤوسهم إلى أباطرتهم وملوكهم. فقال أبو بكر: أستنان بفارس والروم؟ أنجعلهم قدوة لنا ونستن بهم؟ أهم شيوخنا وأساتذتنا الذين نقتدي بهم؟ والله لا يُحمَل إليّ رأسٌ بعد اليوم<sup>(٣)</sup>.

هذا هو الإسلام دين الرحمة، رحمة الله للعالمين، إذا قُدِّر له أن يقاتل ففي أضيق الحدود، لا يقتل مدنياً، ولا يقتل مَن لا يُقاتل، ولكن هذه الحوادث تأخذ البريء بالمسيء، وتأخذ أناساً شتى، وهذا أمر لا يجوز.

(١) رواه أحمد (١٥٩٩٢)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٩)، عن رباح بن ربيع.

(٢) رواه مالك في الجهاد (١٦٢٧)، تحقيق الأعظمي، والبيهقي في السير (٨٩/٩)، وانظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٩٦/٢)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) رواه سعيد بن منصور (٢٦٤٩)، وابن أبي شيبة في السير (٣٤٣٠٣)، عن عقبة بن عامر.

وهذا أحد الأسباب التي تجعلني أمسك قلبي بيدي، كلما حدثت هذه الحوادث، وآخرها هذه الحادثة التي حدثت في إسلام آباد، تفجير السفارة المصرية هناك، ما ذنب هؤلاء الذين قُتلوا وهم يراجعون السفارة من الباكستانيين المساكين، أو غيرهم من الجنسيات؟ ما ذنب أولئك الذين قُتلوا من الموظفين، وليسوا هم الذين يعملون بالسياسة، ويضعون الخطط للأمة، ما ذنب هؤلاء؟

ثم ما الذي تؤدّيه هذه الحوادث؟ ماذا تنتج للأمة؟ ماذا حققت حوادث العنف إلى اليوم؟ لم تحقق شيئاً، هذا الذي فجر السفارة هل حقق حلماً للأمة؟ هل أزال منكراً من المنكرات؟ هل أزال ظلماً من المظالم؟ لا والله لم يحدث شيء من ذلك، لهذا ندعو العقلاء من المسلمين إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومع هذا للأسف فإن كثيراً من الحكومات، ومن رجال الأمن يتعمّدون الخلط في هذه الأمور، يخلطون الحابل بالنابل، ويلبسون الحق بالباطل، ويسوّون بين البريء والمسيء، ويقولون: كل الجماعات الإسلامية سواء.

وهذا ظلم بيّن، لا ينبغي أن نقابل الظلم بظلم مثله، ولا أن نقابل العنف بعنف مضادّ، فإنّ هذا بمنزلة مَنْ يصبُّ الزيت على النار، كمن يُطفئ النار بالخشب أو بالبترول، إنّها لا تزداد إلا اشتعالاً وتوهجاً.

### براءة الإسلام من جرائم العنف:

فينبغي أن نعالج هذه الأمور - إذا أردنا أن نعالجها - بالحكمة والموعظة الحسنة، لا أن نتهم الناس جملة بالزور والبهتان، كما سمعنا

في باكستان مَنْ يَتَّهَم الجامعة الإسلامية العالمية، وأنا عضو مجلس أمناء هذه الجامعة، وبعض الكبار هنا في قطر والخليج أعضاء في مجلس أمنائها، وهي جامعة تُنكر هذا العنف، وتقف ضد دعاة العنف.

ولكن هناك من رجالات الأمن مَنْ يريدون أن ينتهزوها فرصة ليلخلطوا الأوراق بعضها ببعض، ويضربوا المسلمين جميعاً، والإسلاميين طُراً؛ بل أكثر من ذلك هناك من ينتهز هذه الفرصة ليلصق هذه الأعمال بالإسلام ذاته، يريدون أن يقولوا: الإسلام هو دين العنف والإرهاب.

وكنت أقرأ منذ أيام بحثاً لأستاذ جامعي أمريكي يقول للمسؤولين في أمريكا: إياكم أن تقولوا: إنّ بين المسلمين معتدلين ومتطرفين. فكلهم متطرفون، لا تصدّقوا أنّ فيهم معتدلين، إنّهم يعتدلون اليوم، ويتطرفون غداً، لا بدّ أن يُحاربوا جميعاً، لا بدّ أن نقف في وجههم جميعاً. هذا ما يقولونه بصراحة، يريدون أن يلصقوا الحادث بالإسلام.

### العنف ظاهرة عالمية:

وليس الإسلام وحده هو الذي تصدر من أبنائه مثل هذه الأحداث، هذه الأحداث رأيناها في أمريكا نفسها، رأيناها في حوادث لوس أنجلوس التي قام بها الأمريكان السود من عدة سنوات.

ورأيناها في حادث أوكلاهوما الذي فُجّر فيه المبنى الحكومي الكبير، وكان من ضحاياه العشرات والمئات، قام بذلك الأمريكان البيض، وليس الأمريكان السود، ودون أن يقع عليهم ظلم، لم تضع حقوقهم الإنسانية، لم يُسجنوا، لم يُظلموا، لم يثأروا.

أمّا ما يحدث في بعض البلاد الإسلامية فهو نوع من الثأر، وليست له دوافع دينيّة حقيقية، يثارون للعرض المهتوك، وللدّم المسفوك، ولكن يُنسب هذا إلى الإسلام، والإسلام بريء من هذا كله.

رأينا العنف في أمريكا، ورأينا العنف في أوروبا في قتل الأجانب والمتجنسين من جنسيات أخرى في تلك البلاد، ورأينا العنف في الهند، تلك العصابات التي تُقتل المسلمين وتذبحهم، تُحرّم قتل الفئران والحشرات، وتستبيح قتل المسلمين، ورأينا العنف في اليابان، جماعة الحقيقة الثانية التي فعلت ما فعلت في مترو الأنفاق هناك عن طريق الغازات السامة، ورأينا العنف في إسرائيل وقتل رابين، رأينا العنف في كلّ مكان، فلماذا يُنسب العنف إلى الإسلام والمسلمين وحدهم؟ المسلمون جماعة من البشر فيهم العنيف، وفيهم غير العنيف.

وكثير من هذه الحوادث ليست من فعل الإسلاميين، كثيرًا ما تفعلها السلطات وتنسبها إليهم، وكثيرًا ما تفعلها قوى معادية وتنسبها إليهم، وهذا ثابت في بعض الحوادث في القاهرة أنّها من فعل الموساد، وكثيرًا ما يُخترق هؤلاء من أعدائهم فيدفعونهم إلى أفعال، وليسوا هم أصحابها، ولا أصحاب الرأي فيها، كما رأينا في أمريكا وغيرها، رأينا مثل هذا كله، فلا بد أن يُنظر إلى الأمر نظرة عادلة.

### العلاج المنشود لظاهرة العنف:

نحن ننكر القتل، ننكر أن يُقتل بريء، أن تُقتل نفس بغير حق، ولكن لا بدّ أن تعالج هذه الأخطار معالجة جذرية، والعلاج الأمني وحده لا يغني ولا يجدي فتيلاً، يمكن أن تنتصر السلطة في مدة معينة، ولكن

تبقى النار تحت الرماد، وسرعان - بعد سنة أو سنتين أو ثلاثة - ما تشتعل من جديد، لأننا لم نعالج الأمر كما ينبغي.

والعلاج المنشود يكون بعلاج الأفكار والعقول، وإنما تُعالج الأفكار والعقول من أهل العلم والدعوة، من رجال الفكر والرأي الأحرار، الذين لا يبيعون أنفسهم لأحد، وإنما باعوا أنفسهم لله وحده، هؤلاء الذين ليسوا علماء السلطة، ولا عملاء الشرطة، هؤلاء هم الذين يمكن أن يقنعوا هذا الشباب، وينبغي أن يأخذ القانون مجراه معهم، فلا يُحاكمون محاكمات استثنائية، وإنما يُحاكمون أمام قاضيهم الطبيعي، ويُحكم عليهم بما يستحقونه، أمّا التّجاوز في هذه الأمور؛ فإنّه لا يحل المشكلة، ولا يعالج الأمر من جذوره، لا بدّ من علاج الفكر.

إنّي أشبه بعض هؤلاء الشباب بالخوارج قديماً، الذين قاتلوا عليّ بن أبي طالب والصحابّة، وقاتلهم عليّ ومن معه، وجاءت فيهم الأحاديث الصحاح عن النبي ﷺ، كانوا أناساً متعبّدين صوّاماً قوّاماً قُرّاءاً للقرآن، جاء الحديث يقول: «يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم». ومع هذا «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»، أي أنّها قراءة باللسان لم تفقهه عقولهم، ولم يستقر في أعماق قلوبهم، «يدعون أهل الأوثان، ويقتلون أهل الإسلام»<sup>(١)</sup>. ليس الخلل في ضمائرهم ولا نيّاتهم، وإنّما في عقولهم وأفهامهم، وينبغي أن يُعالج علاجاً حكيماً من أهله، لا بدّ أن نُقدّر أنّ مثل هذه الأمور لا تُعالج بالعنف، فالعنف لا يُعالج

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٨)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

بالعنف، قد ينتصر العنف فترة ولكن يبقى الأمر في جذوره موجودًا،  
ويظهر بعد حين، وهذا ما أثبتته الأيام.

إنني حزين على أمتنا الإسلامية أن يضرب بعضها بعضًا، وأن يقاتل  
بعضها بعضًا، وألا يوفّق الله الحكومات من أهلها إلى وضع النقاط على  
الحروف، ولا إنارة الطريق للحائرين، حزين على هذه الأمة أن تستجيب  
لوساوس أعدائها فتوقع بين الحكام والمحكومين، وبين الفئات بعضها  
وبعض، وتبوء الأمة بالخسارة، والكاسب هم أعداؤها.

أسأل الله تعالى أن يجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التّقى،  
والنفوس على المحبة، والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

\* \* \*



## اختيار الزوجة الصالحة<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

قبل شهر رمضان تحدثنا في عدة خطب عن المرأة المسلمة، عن المرأة ومكانتها في الإسلام، وموقعها في الحياة الإسلامية، تحدثنا عن المرأة بوصفها إنساناً، وتحدثنا عن المرأة بوصفها أنثى، وتحدثنا عن المرأة بوصفها بنتاً.

### الزوجية سنة كونية وشرعية:

واليوم نتحدث عن المرأة بوصفها زوجة، فالله ﷻ خلق هذا الكون على نظام الازدواج، على قاعدة الزوجية، لهذا كان الزواج شرعة دينية، وسنة اجتماعية، وسنة كونية أيضاً، الكون كله يقوم على هذه الظاهرة العامة: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ أَزْوَاجًا مُتَقَابِلَةً، الْأَحْيَاءَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، وَالْجَمَادَاتُ مُوجِبٌ وَسَالِبٌ، حَتَّى الذَّرَّةُ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ الْبِنَاءِ الْكُونِيِّ كُلِّهِ، فِيهَا مُوجِبٌ وَسَالِبٌ، إِنْكَتَرُونَ وَبُرُوتُونَ، شَحْنَةٌ كَهْرَبَائِيَّةٌ مُوجِبَةٌ، وَشَحْنَةٌ كَهْرَبَائِيَّةٌ سَالِبَةٌ.

(١) أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ فِي الدُّوْحَةِ، بَتَارِيخِ ٥ فَبْرَايِرِ ١٩٩٩ م.

وهذا ما قرّره القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرناً: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. كان بعض المفسرين قديماً يقولون: هذه قاعدة أغلبية، وإن عبّر القرآن عنها بالكلية. فخرجوا عن ظاهر النص، والقرآن يقول: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾.

### الزواج حاجة فطرية:

ومن هنا كانت حاجة الرجل إلى المرأة، والمرأة إلى الرجل تسير وفق هذه السنة الإلهية، حاجة فطرية، خلق الله في الرجل الانجذاب إلى المرأة، ورغب في المرأة الانجذاب إلى الرجل، وبهذا الانجذاب من الطرفين يحصل التوافق والزواج، ويقوم اللقاء المشروع الذي ينتج عنه بقاء هذا النوع إلى ما شاء الله، فيعمر الأرض، ويقوم بحق الخلافة فيها.

ومن هنا حين خلق الله آدم، وأسكنه في الجنة لم يدعه وحده فيها، إذ لا معنى لجنة بلا جليس ولا أنيس، ما معنى جنة يعيش الإنسان فيها مستوحشاً؟ وإن كان فيها ما لذ وطاب من الطعام والشراب، ومن هنا خلق الله لآدم من نفسه - أي من جنسه - زوجاً يسكن إليها هي حواء، وقال له: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥].

إن حاجة الإنسان إلى الزواج حاجة فطرية، ولهذا كان عموم الأنبياء والرسل متزوجين، إلا القليل منهم مثل يحيى وعيسى، والله تعالى يقول مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

### النزعة الرهبانية والزواج:

ولذلك حينما وجد النبي ﷺ في بعض أصحابه نزوعاً إلى ترك الزواج تأسيساً بالنزعة الرهبانية التي ظهرت عند النصارى رفض ذلك

منهم، فالمتدين المثالي عند النصارى هو الذي يرفض الزواج، ويترك الدنيا، ويُعرض عن النساء، وكان الرهبان في العصور الوسطى يبتعدون عن ظل المرأة، ويعتبرونه رجسًا من عمل الشيطان، ولعل هذه المرأة أخته أو أمه، يريد أن يبتعد عنها.

وقبل ذلك كانت الفلسفة المانوية في فارس ترى أن هذا العالم شرٌّ، وأن علينا أن نُعجل بفناء العالم حتّى نخلص من شرّه، وليس هناك وسيلة للتخلص من هذا العالم إلّا ترك الزواج، فإذا تركنا الزواج والتناسل يمكننا أن نُنهي هذا العالم بعد جيل أو جيلين.

### رفض الإسلام الرهبانية:

كانت الرهبانية تسير على هذا المنوال، وجاء الإسلام فشرع الزواج، ورفض الرهبانية، وحينما طلب عثمان بن مظعون وبعض الصحابة من النبي ﷺ أن يأذن لهم في التبتل: رفض ذلك منهم، واستأذنه بعضهم أن يخصي نفسه حتّى يقطع شهوته، ولا يوجد أي مجال للغريزة الجنسية، فأبى النبي ﷺ، قال سعد بن أبي وقاص: ولو أذن له لاختصينا<sup>(١)</sup>.

ورفض بعضهم أكل اللحم، ومشتبهات الطعام وطيباته، حتّى لا يؤدي ذلك إلى رغبته في النساء، وشوقه إلى المرأة، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۖ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ - ٨٨]<sup>(٢)</sup>. هكذا رفض الإسلام نظام

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢)، كلاهما في النكاح. عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٥٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب. والطبراني (٣٥٠/١١)، وصحّحه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٥٤). عن ابن عباس.

الرهبانية، لأنّه ضد استمرار هذه الحياة وهذا الكون، كما أراد الله تبارك وتعالى.

### رفض الإسلام الإباحية:

ورفض الإسلام كذلك نظام الإباحية الذي يطلق للشهوات العنان، ويدع الحبل على غاربه للغرائز، كما هي بعض الفلسفات قديماً وحديثاً، وهو ما تتبنّاه الحضارة الغربية المعاصرة، حضارة المادية والإباحية التي تنادي: اتركوا الجنسین يفعلان ما يشاء، دعونا من العُقَد، دعونا من الكبت، اتركوا الحرية للرجل والمرأة يستمتع كلاهما بالآخر.. هكذا ينادي هؤلاء!

ولكنهم مع إطلاقهم الحرية لم يحلّوا المشكلة، لأنّ هذه المشكلة لا تُحلّ بالإباحية، فهذه الغريزة إذا تركت وشأنها دون ضبط وتهذيب ولا تنظيم فلا يشبعها شيء، مثل شارب الماء المالح، كلما ازداد الإنسان منه شرباً ازداد عطشاً، ولذلك لم تحل الإباحية المشكلة في الغرب، وهي تزداد يوماً بعد يوم، وتؤدي إلى مشكلات لا حصر لها.

### الزواج سُنّة نبوية:

أمّا الإسلام فهو يرفض الإباحية، ويرفض الرهبانية، ويشجع الزواج رابطة لا بدّ منها بين الرجل والمرأة، ولهذا حينما أراد عدد من الصحابة أن يتعبّدوا لله، وذهبوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون أزواجه عن عبادة رسول الله ﷺ، فأخبرتهم أنّه يقوم بعض الليل، وينام البعض، ويصوم بعض الأيام، ويفطر البعض، فكانهم استقالوا هذه العبادة، اعتبروها قليلة لا تُشبع نهمهم، فقال بعضهم لبعض: وأين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر؟ قال أحدهم: أمّا

أنا فأصوم الدهر ولا أفطر. وقال الثاني: وأمّا أنا فأقوم الليل ولا أنام. وقال الثالث: وأمّا أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج.

فلما سمع النبي ﷺ بمقولاتهم جمعهم، وخطب فيهم مع غيرهم من الصحابة، وقال: «إنّما أنا أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنّي أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوّج النساء؛ فمن رغب عن سنّتي فليس مني»<sup>(١)</sup>. فسنة رسول الله ﷺ ومنهجه هي التوازن والاعتدال الذي يجمع بين حظ النفس وحقّ الرب، بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١]، «من رغب عن سنّتي فليس مني».

### فضل الزوجة الصالحة:

لهذا رغب الأمة في الزواج، واعتبره سنة من سنن المرسلين، واعتبر الزوجة الصالحة من أفضل نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان، وقال النبي ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»<sup>(٢)</sup>. وقال: «من رزقه الله زوجة صالحة فقد أعانه على شطر دينه - أي نصفه - فليتق الله في الشطر الباقي»<sup>(٣)</sup>.

وحينما سأله ﷺ عن أفضل ما يكتنزه المرء قال: «أفضله لسان ذاك، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»<sup>(٤)</sup>.

هذه الزوجة من نعم الله، واعتبرها النبي ﷺ من عناصر السعادة: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) سبق تخريجه ص ٦٠.

(٤) رواه أحمد (٢٢٣٩٢)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والترمذي في التفسير (٣٠٩٤)، وحسنه،

وابن ماجه في النكاح (١٨٥٦)، عن ثوبان.

والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: الجار سوء، والمرأة سوء، والمركب سوء، والمسكن الضيق»<sup>(١)</sup>. فالمرأة الصالحة من عناصر السعادة، ولهذا قال: «أربع مَنْ أوتيهنَّ فقد أُوتِيَ خير الدنيا والآخرة: لسان ذاك، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة مؤمنة لا تبغيه خُونًا - أي لا تخونه - في نفسها وماله». وفي بعض الروايات: «لا تبغيه حُوبًا»<sup>(٢)</sup>. أي: إثمًا.

### الاختيار على أساس الدين:

ولهذا كان على الإنسان المسلم إذا أراد أن يتزوج أن يبحث عن المرأة الصالحة، والمرأة الصالحة هي ذات الدين والخلق، لا يكن كل همّه أن يبحث عن المرأة الغنية، أو يبحث عن المرأة الحسبية ذات الأسرة الكبيرة، أو يبحث عن المرأة الفاتنة، لا مانع أن يبحث عن هذا كله، ولكن قبل هذا لا بدّ أن يبحث عن الدين؛ فلا قيمة لهذا كله إذا كانت المرأة قليلة الدين، ضعيفة الإيمان، سيئة الأخلاق.

ولهذا قال النبي ﷺ: «تُنكح المرأة لأربع: لحسبها، ولمالها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك»<sup>(٣)</sup>. اجعل همّك ذات الدين؛ فهذه هي التي تجعل حياتك جنة، تتقي الله فيك، وتخاف الله فيك، وتؤدّي لك الحقوق، وتحفظك إذا غبت.. تحفظ مالك،

(١) رواه ابن حبان في النكاح (٤٠٣٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٢)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه الطبراني (١٣٤/١١)، والأوسط (٧٢١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١١٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤٣٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الأوسط رجال الصحيح. عن ابن عباس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.



وتحفظ ولدك، وتحفظ سِرِّك، وتحفظ عِرْضَكَ، كما قال الله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. فابحث عن المرأة الديّنة ذات الخلق.

### النظر إلى المخطوبة:

ولا مانع أن تكون المرأة جميلة؛ بل لا بدّ أن يكون بها قدر من الجمال يسرُّك إذا نظرت، والجمال أمر نسبي، فهذا يرى هذه جميلة، ويراهَا آخر عادية، ويراهَا ثالث دون العادية.

ولهذا شرع الإسلام قبل الزواج أن ينظر الخاطب إلى المرأة ليرى موقعها من قلبه، والعينُ رسول القلب، ربما وقعت المرأة من النظرة الأولى موقعًا من قلب الإنسان، وربما وجد الثُفرة منها بمجرد النظرة الأولى، لهذا كان لا بدّ من هذا النظر الذي يتساهل الناس فيه، ولا يهتمون به.

### بين الإفراط والتفريط:

هناك بعض المجتمعات تُطلق العنان لبناتهنَّ يخرجن مع خاطبهنَّ إلى المتنزهات والخلوات والسينمات، يتأبَّط ذراعها، ويذهب بها هنا وهناك، ولا عقد بينهما.

وهناك بعض المجتمعات لا تسمح للخاطب أن يرى مخطوبته، كما هو الحال في بلادنا هنا في الخليج: تذهب الفتاة إلى المدرسة، وتذهب إلى الجامعة، وتذهب إلى السوق، وتذهب إلى المعارض، وتسافر هنا وهناك، ويراهَا كل الناس إلّا شخصًا واحدًا هو خاطبها، وربما كان زوجها، قد يكون عاقدًا عليها، حتّى بعد العقد لا يرى هذه الفتاة إلّا ليلة الزّفاف.



قد يسمحون في عصرنا أن يرسلوا إليه بصورة لها، وربما فُعل هذا من غير علم الأب أو الولي، ولكن الصورة لا تُعبّر تمامًا عن الحقيقة، فكم من حقيقة تخالف الصورة.

ولهذا قد يفاجأ الزوج ليلة الزفاف بوجهٍ لم يكن يتوقعه، وبجسم لم يكن يتخيله، وبإنسانة غير التي رسم لها صورة في مُخيلته، فتكون هذه هي الصدمة الأولى، ويظل هذا الأمر يعتمل في نفسه يومًا بعد يوم، وأسبوعًا بعد أسبوع، وشهرًا بعد شهر، وسنةً بعد سنة، حتّى ينتهي إلى الانفصال، وإلى الطلاق، وهو أبغض الحلال إلى الله تبارك وتعالى، وكان ينبغي أن نعالج هذا الأمر من أصله؛ بأن يبدأ الزواج على ما شرع الإسلام من النظر إلى المخطوبة.

نحن نحترم التقاليد، ولكن إذا كانت التقاليد ضارّة، وهي على غير ما شرع الله فينبغي أن نُطوّر التقاليد، فهذه التقاليد ليست تنزيلاً من حكيم حميد، إنّما هي أعراف صنعها الناس، فهي قابلة للتغيّر والتبدّل، وإذا كانت فتوى الفقهاء قابلة للتغيّر بتغيّر الزمان والمكان؛ فما بالكم بأعراف الناس وتقاليدهم؟

نحن الآن في زمن غير الزمن، وفي طور غير الأطوار الماضية.. تعلمت المرأة وتثقفت، ودخلت الانتخابات، وزاحمت الرجال بالمناكب، وأصبحت عضواً في مجالس الجامعات، ومجالس الكليات، وفي البرلمانات، وفي كذا وكذا، فلا بد أن نُطوّر من تقاليدنا، لا ينبغي أن نجمد كالصّخر، ونقول: هذه تقاليد آبائنا. فأبائنا عاشوا حياة غير حياتنا، وما يدريك؟ لعلّ آبائنا لو عاشوا إلى زماننا لكانوا أشجع منّا، لو رأوا ما رأينا، وعاشوا ما عشنا لغيّروا هذه التقاليد، فلا بد أن نسمح

للكاتب أن يرى المخطوبة، وللمخطوبة أن ترى الكاتب، هذا هو ما جاء به الإسلام.

### الترغيب في النظر إلى المخطوبة:

قال النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة، وقد جاءه يقول: خطبت امرأة من الأنصار. قال: «هل نظرت إليها؟» قال: لا. قال: «اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدَمَ بينكما»<sup>(١)</sup>. أي: يحدث بينكما الائتدام والائتلاف والوافق، هذا ما أمر به النبي ﷺ المغيرة، وأمر به غيره فقال لآخر: «اذهب وانظر إليها؛ فإنَّ في أعين الأنصار شيئاً»<sup>(٢)</sup>. ليست أعين الأنصار كأعين القرشيين، فلعله لا يعجبك هذا النوع من الأعين، «انظر إليها»، هذا ما ينبغي أن نفعله نحن المسلمين، أن نفتدي بالسُّنة النبويَّة، وبسنة الصحابة.

كان جابر بن عبد الله يتخبأ لامرأته وراء شجرة حتَّى نظر إليها فرأى منها ما أعجبه، وتقدَّم إليها<sup>(٣)</sup>. وهذا يدلنا على أنَّه يجوز للكاتب أن يرى المرأة المخطوبة وإن لم تعلم - كما يراها غيره من النَّاس، خصوصاً في عصرنا - فلا يجرح شعورها إذا لم تعجبه، على خلاف الرؤية الرسمية التي يُدعى فيها الكاتب إلى البيت، ويُستقبل من الأب والأم والإخوة، ثمَّ ينظر إلى الفتاة، وقد لا تعجبه، فإذا تركها بعد ذلك ترك في نفسها أثراً وجرحاً، فإذا استطعنا أن نعالج هذا بالرؤية الخارجية يرتبها بعض

(١) رواه أحمد (١٨١٥٤)، وقال مخرَّجوه: صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسنه، والنسائي (٣٢٣٥)،

وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، وأحمد (٧٨٤٢)، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه ص ٨٠.

الأهل أو الأصدقاء كان هذا خيرًا، فإذا أعجبته تقدّم إليها لتراه هي أيضًا، فمن حقها أن تراه كما من حقه أن يراها.

### أهمية النظر إلى المخطوبة:

وليست الرؤية فقط لرؤية الوجه أو الملامح أو الهيئة، لا، بل هي مع ذلك رؤية للشخصية، إنّه إذا لقيها ولقيته، وكلمها وكلمته، يريد أن يسمع صوتها لعله يجد في صوتها ما لا يحب، كأن تكون خنفاء، أو نحو ذلك، ولعله يجد في عقلها ما لا يحب أيضًا، كأن تكون امرأة ثرثارة، أو امرأة بلهاء لا تفهم، فإذا قال لها: يمينًا. قالت: شمالًا. فليست الرؤية للجسم أو الوجه فقط؛ بل الرؤية أعم، لأننا نقصد بها معرفة الشخصية بهذا اللقاء.

### الزواج على بصيرة:

يعتبر الإسلام الزواج أمرًا مهمًا، سمّاه القرآن ميثاقًا غليظًا، كما سمّى النبوة ميثاقًا غليظًا، قال تعالى عن الأنبياء وأولي العزم من الرسل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وقال عن عقد الزواج: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]. فالزواج هو العقد الوثيق المتين المكين، ولذلك يحرص الإسلام أن يبدأ هذا الزواج على بصيرة، وعلى نور، لا على غش، ولا على دغل، لا بدّ أن يعرف كل من الطرفين صاحبه.

### السؤال عن المخطوبة:

وهذا ما تعارف عليه الناس، إذا أراد رجل أن يخطب امرأة فلا بد أن يسأل عنها، وعن أهلها، وعن بيتها، ولا يغتر بالمظاهر الجوفاء، فقد

ورد عن بعض السلف التحذير من خضراء الدمن، وهو النبات الأخضر الذي يظهر في المستنقعات، وأماكن القاذورات، فلونه أخضر زاهٍ، ولكنه نبت في مرتع القذارة، ولذلك لما سألوا: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء.

إيّاك أن تغتر بمظاهر، ثم تُبتلى بعد ذلك ببليّة ومصيبة، ابحث عن البيئة الصالحة.. عن المرأة الصالحة، فالغالب أنّ البيئة الصالحة تُنتج امرأة صالحة، تُنتج فتاة صالحة، فالإنسان ابنُ بيئته، وابنُ أهله، هذا هو الغالب، وإن كانت أحياناً توجد أشياء خارجة على المعتاد، وعلى الإنسان أن يعمل بما هو غالب، وما هو معروف.

### السؤال عن الخاطب:

وكما أنّ على الرجل أن يفعل ذلك فإنّ على المرأة وأهلها أن يفعلوا ذلك أيضاً، إذا تقدّم إليهم خاطب فلا ينبغي أن يكون كل همهم: ابن مَنْ؟ مَنْ أبوه؟ لعلّ أباه رجل صالح وهو سيئ، كما نرى في بعض الأحوال، لعلّ أباه لم يولّه العناية الكافية فمضى (على حلّ شعره)، وأصبح إنساناً فاسداً منفلتاً من القيم والعياذ بالله، اصطاده أصدقاء السوء فأفسدوه وأبوه لا يدري!

ولا يكون كل همهم: ماذا يملك؟ ماذا ورث من أبيه؟ كم مليوناً عنده؟ كم يبلغ رصيده في البنك؟ لا يكون كل همهم عن راتبه الذي يتقاضاه.

لا بأس أن يُسأل عن هذا كله، ولكن قبل هذا كله لا بدّ أن يُسأل: ما دينه؟ ما خلقه؟ ما سلوكه؟ ما علاقته بربه؟ ما علاقته بإخوانه؟

ما علاقته بالناس؟ فكل إنسان تُنبئ عنه سيرته مهما حاول أن يخفيها، كما يقول الشاعر:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ<sup>(١)</sup>  
سُيْعِلِمَ مَا يَخْفِيهِ، وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ:

ثَوْبُ الرِّيَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِنْ اكَتْسَيْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارٍ<sup>(٢)</sup>

اعرف الشخص على حقيقته، اسأل عنه مَنْ يعرفه، مَنْ يعرف مدخله ومخرجه. جاء رجل ليشهد لرجل بالصلاح عند أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فقال له: أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: أسافرت معه في سفر طويل يسفر عن أخلاق الرجال؟ قال: لا. قال: أعاملته بالدينار والدرهم الذي به يظهر ورع المرء من شرهه؟ قال: لا. قال: لعلك رأيته في المسجد يمسك بالمصحف، يقرأ القرآن، يرفع رأسه تارة ويخفضها أخرى. قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: اذهب فلست تعرفه. وقال للرجل: ائتني بمن يعرفك<sup>(٣)</sup>. بمجرد أن رأيته يمسك المصحف وكذا تقول: إِنَّهُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. لا؛ بل لا بدَّ أن تعرف دينه وخلقه.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخَلْقَهُ فَزَوِّجُوهُ؛ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِضٌ»<sup>(٤)</sup>. لا بدَّ من

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٧٠، شرح حمدو طماس، نشر دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

(٢) ديوان أبي الحسن التهامي ص ٣١١، تحقيق د. محمد عبد الرحمن الربيع، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٢ م.

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٨٢/٢، ٨٣).

(٤) سبق تخريجه ص ٩٦.



الدين والأخلاق معًا، لا يكفي أن يكون إنسانًا مؤدّيًا للصلوات، ولكنّه سيّئ الأخلاق، غضوب يثور لأدنى شيء، بخيل لا يعطي الحق، حسود للنّاس، حقود عليهم، هذا الإنسان مهما صلّى وصام لا تصلح العشرة معه، فلا بد أن يكون ذا دين وخُلُق معًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنّّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

منذ أيام شاهدنا في نشرات التلفازات، وقرأنا في الصحف خبراً أقلقنا وأزعجنا، وهو أنّ الرجل المجاهد الشيخ أحمد ياسين أعلن إضرابه عن الطعام تضامناً مع إخوانه وأبنائه في سجون السلطة الفلسطينية، الذين اعتُقلوا منذ أشهر، ولم يُنظر في أمرهم.

وكنا نظن أنّ السلطة الفلسطينية تقدّر حقّ القدر موقف هذا الرجل القعيد المريض، الذي زلزل أركان الصهاينة، وأرعب قلوبهم رغم قعوده ومرضه، كنا نظن من السلطة أن تستجيب له، وأن تنظر في أمر الإخوة الذين اعتُقلوا.

لقد اعتقلت السلطة الفلسطينية الإخوة من أبناء حماس إرضاءً لإسرائيل ولنتنياهو، وتنفيذاً لما اتفقوا عليه في الاتفاق الأخير في أمريكا، أن يضربوا قاعدة الجهاد، ويضربوا أبناء المقاومة، وأن يحاولوا القضاء على هؤلاء!

والسلطة الفلسطينية مخلصّة في تنفيذ الاتفاق، سارعت في التنفيذ بنداً وبنداً وبنداً، ولكن إسرائيل لم تنفذ، إسرائيل تتباطأ وتتلاعب بعقولنا وبعقول إخواننا، ولا تريد أن تنفذ شيئاً، أمّا الآن لنا أن ننظر في هذه الأمور؟ نحن نتقرّب إلى نتنياهو ومن وراءه باعتقال إخواننا، ولم يجد ذلك فتيلًا، ولم يغن عنا شيئاً.

ونحن لا نحب للفلسطينيين أن يقف بعضهم ضد بعض، وأنا حذرت - منذ اتفاق أوسلو - أن يؤدي هذا إلى أن يقاتل الفلسطيني أخاه الفلسطيني، لكن الذي طمأننا هو ذلك الرجل القعيد الذي يقول: لن نمد



أيدينا، ولن نوجه سلاحنا أبداً إلى إخواننا، حينما جاء إلى قطر، وحاصروه بالأسئلة، وحاول الصحفيون إحراجهم، وإدخاله في مأزق ضيق حتى يجيب قائلاً: عند الضرورة سنضرب إخواننا. لكنّه لم يقبل هذا أبداً، وقال: سنكون كخير ابني آدم الذي قال لأخيه وقد مدّ إليه يده بالعدوان وبنية السوء: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّيْ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]. لن نقتل إخواننا، لن نوجه إليهم سلاحنا أبداً، كل أسلحتنا موجّهة إلى عدونا، إلى الاحتلال الذي لا زال يحتل أرضنا، ويدوس حقوقنا، وينتهك حرماننا، ويهودّ قدسنا، ويتنزع أراضينا بالقوة، ويفعل ما يفعل، لن نوجه سلاحنا إلا إلى هذا العدو الغادر الفاجر.

حيّا الله الشيخ أحمد ياسين، وقوى الله الشيخ أحمد ياسين، وهياً الله له من الأسباب ما ينصره هو وإخوانه على أولئك الطغاة الظالمين الذين احتلوا الأرض، وانتهكوا العرض، وهتكوا الحرمات، وسفكوا الدماء، وهدموا الديار على رؤوس أصحابها، ونحن كل يوم نرى هذا بأعيننا.

نسأل الله أن ينصر أحمد ياسين وإخوانه على اليهود الغادرين، وأن يرينا في هؤلاء يوماً قريباً، اللهم نكس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا في أرض الإسلام، اللهم هيئ لهم من أمرهم رشداً، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كفك الذي لا يضام، وأيدهم بروح من لدنك؛ إنك سميع قريب.

\* \* \*

نسخة مجانية



## أسس الحياة الزوجية<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا في الحديث عن المرأة، تحدثنا عن المرأة إنساناً والمرأة بنتاً، ونتحدث عن المرأة زوجة، المرأة هي الزوجة التي جعلها الله سكناً في البيت، وأساساً للمودة والرحمة، وقال القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. جعل الله ذلك آية من آياته، مثل خلق السماوات والأرض، ومثل خلق الإنسان من تراب.

### ميثاق غليظ:

آية من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرْفَيْنِ عَلَى مِيثَاقٍ غَلِيظٍ، وَعَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَتَدْعُ الْمَرْأَةُ أَهْلَهَا: أَبَاهَا، وَأُمَهَا، وَإِخْوَتَهَا؛ وَتَنْضُمُ إِلَى رَجُلٍ. وَيَدْعُ الرَّجُلُ أَهْلَهُ، وَيَنْضُمُ إِلَى امْرَأَةٍ؛ يَكُونَانِ مَعًا شَرَكَةً جَدِيدَةً، وَمُؤَسَّسَةً جَدِيدَةً، تَقُومُ عَلَى هَذَا الرِّبَاطِ الْمُقَدَّسِ، الَّذِي سَمَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (مِيثَاقًا غَلِيظًا).

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُحُدَةِ، بِتَارِيخِ ١١ ذُو الْقَعْدَةِ ١٤١٩ هـ الْمَوْفُوقِ ٢٦ فَبْرَايِرِ ١٩٩٩ م.

هذه الحياة كما شرعها الإسلام ينبغي أن تقوم على أسس متينة، وعلى دعائم مكيّنة؛ حتّى لا تتزعزع، ولا تزلزلها العواصف أو الرياح أو الحوادث. وإنّما تقوم على ذلك إذا بدأت باسم الله، وعلى بركة الله، وأحسن الرجل اختيار المرأة الصالحة، وأحسنّت المرأة وأهلها اختيار الرجل الصالح، يبدأ ذلك بالاستخارة والاستشارة، فما خاب من استخار، ولا ندم من استشار! على الإنسان إذا أقدم على أمر ذي بال أن يستخير الخالق ويستشير المخلوق.

### صلاة الاستخارة:

ولذلك عليه أن يبدأ بصلاة الاستخارة، وهي صلاة ركعتين، ثمّ دعاء معروف ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ، يقول: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم هذا الأمر - أن زوجي من فلانة بنت فلان، وهي تقول: اللهم إن كنت تعلم أن زوجي من فلان بن فلان - خير لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي، ثمّ بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثمّ رضني به»<sup>(١)</sup>.

الاستخارة صلاة ودعاء، أن يهدي الله الإنسان لأحسن الأحوال وأفضل الأمور، وليس من الضروري أن يرى رؤيا أو نحو ذلك، المهم

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٢)، عن جابر بن عبد الله.

أن يُقدم على ما ينشرح له صدره، ويسهل فيه أمره، فهذا كما قالوا: التيسير دلالة الإذن من الله تبارك وتعالى.

### استشارة من يثق برأيه:

يستخير ويستشير، يستشير من يثق برأيه، ويثق بأمانته، ويثق بدينه، لا يستشير الحمقى، ولا يستشير من لا يحبون له الخير، ولا يستشير من لا دين لهم، فهؤلاء لا يُؤتمنون لا على دين ولا على دنيا، ينبغي أن يستشير الإنسان من يحسن الإشارة.

والمُستشار مؤتمن، عليه أن يقول رأيه بصراحة، لا يخشى في الله لومة لائم دون أن يجرح أو يطعن، لكن بالرفق وبالكلمة الطيبة المعقولة يقول له رأيه، وقد استشارت فاطمة بنت قيس النبي ﷺ حينما تقدم لها رجلان من الصحابة، أحدهما معاوية بن أبي سفيان والثاني أبو جهل: أيهما تتزوج؟ فقال لها النبي ﷺ: «أما معاوية فصعلوك، لا مال له»، لم يكن يملك شيئاً، وكان المال لأبيه، «وأما أبو جهل؛ فلا يضع عصاه عن عاتقه»، كل شيء عنده بالعصا، ثم زوّجها من أسامة بن زيد حبّه وابن حبّه<sup>(١)</sup>، فهكذا ينبغي أن يستشير المرء.

### أول الحقوق المهر:

ثم إذا تم الزواج على بركة الله فهناك حقوق للمرأة، وحقوق للرجل، أوّل حقوق المرأة المهر: الصداق، كما قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوْهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٨٠)، وأحمد (٢٧٣٣٣)، عن فاطمة بنت قيس.

وفي عصر النبي ﷺ تفاوتت المهور، هناك من قال له النبي ﷺ: «التمس ولو خاتماً من حديد»<sup>(١)</sup>. ومع هذا لم يجد هذا الخاتم من حديد؛ فزوجه على ما كان يحفظه من سور القرآن، قال له: «زوجناكها بما معك من القرآن»<sup>(٢)</sup>. أي على أن تحفظها وتعلمها هذه السور، فهو مهر معنوي، وليس مهرًا ماديًا، ولذلك قالوا: لا حد لأقل المهر.

وهناك من تزوجت بخمسمائة درهم وأربعمائة درهم، وهناك من تزوجت بأربعة آلاف درهم، النبي ﷺ تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة إلى الحبشة وارتد زوجها والعياذ بالله، تنصر هناك وبقيت وحدها، فأراد النبي ﷺ أن يكرمها في غربتها وهي بنت سيّد قريش أبي سفيان بن حرب، فبعث إلى النجاشي يخطبها ويؤكله في أن يزوجه، والنجاشي ملك الحبشة مما يليق به أن يعطيه مهرًا مناسبًا فأعطاه أربعة آلاف درهم وجهّزها.

وهناك من تزوج بدرع، فحينما خطب عليّ بن أبي طالب من النبي ﷺ ابنته فاطمة الزهراء أحبّ بنات النبي إليه قال: «ماذا عندك؟» ليس عنده مال، قال: عندي هذه الدرع الحطمية التي تتحطم عليها السيوف. قال: «أعطها هذا الدرع»<sup>(٣)</sup>. ماذا ستفعل المرأة بالدرع؟ هو أشبه بمهر رمزي.

وهكذا وجدنا من الصحابة من يزوجه النبي ﷺ دون أن يدفع مهرًا، قال له: «هل تتزوج فلانة؟» قال: نعم يا رسول الله. وقال للمرأة: «هل تتزوجين فلانًا؟»

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري (٥١٣٥)، ومسلم (١٤٢٥)، كلاهما في النكاح، عن سهل الساعدي.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) رواه أبو داود (٢١٢٥)، والنسائي (٣٣٧٦)، كلاهما في النكاح، وابن حبان في مناقب الصحابة

(٦٩٤٥)، وقال الأرناؤوط: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٤٩)،

عن ابن عباس.

قالت: نعم يا رسول الله. فزوّج الرجل من المرأة، ودخل بها ولم يكن فرض لها مهرًا، ثمّ بعد صلح الحديبية كان لكل من شارك في الحديبية سهم في خير، وكان لهذا الرجل سهم في خير، فحينما أدركته الوفاة قال: إنّ النبي ﷺ زوجني من فلانة ولم أدفع لها مهرًا، أشهدكم أن مهرها سهمي في خير: نصيبي في أرض خير. فباعت المرأة هذا السهم بمائة ألف درهم<sup>(١)</sup>. دخلت بلا شيء وانتهت إلى مائة ألف درهم!

### الإسلام يرشد للتيسير في المهور:

وعلى كل حال النبي ﷺ يُحبذ قلّة المهر، ويقول: «خير الصداق أيسره»<sup>(٢)</sup>. لا يريد أن يُعنت الناس كما يفعل الناس في عصرنا، يبالغون في المهور فيُعَوّقون طريق الحلال وطريق الزواج، الناس هم الذين عسّروا على أنفسهم ما يسّر الله ﷻ، ولهذا ندعو المسلمين أن يخففوا من غلوّائهم في المغالاة في المهور.

ووقف عمر بن الخطّاب على منبر النبي ﷺ يدعو المسلمين إلى تخفيف المغالاة في المهور ويقول: لو كان مكرمة في الدنيا أو مثوبة في الآخرة؛ لكان أحق الناس به رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>. ولكن الرسول لم يصدق امرأة من نسائه أكثر من أربع مائة درهم أو خمسمائة درهم، وكذلك لم يزوج أيّا من بناته على مثل ذلك أو على أكثر من ذلك؛ كما رأينا كيف زوّج ابنته فاطمة رضي الله عنها على درع.

(١) سبق تخريجه ص ١١٥، وفيه: «خير النكاح أيسره».

(٢) سبق تخريجه ص ٨٩.

(٣) رواه أحمد (٢٨٥)، وقال مخرّجوه: صحيح. وأبو داود (٢١٠٦)، والترمذي (١١١٤)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٣٣٤٩)، ثلاثتهم في النكاح.



لهذا نقول: أوّل حق للمرأة هو المهر، فإذا دخل بها الرجل استحقّت المهر كله، وإذا لم يدخل بها استحقّت نصفه، ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ولو مات عنها قبل أن يدخل بها فلها مهرها كاملاً، هذا ما يفرضه الإسلام.

### المرأة تأخذ المهر ولا تبذل:

في بعض البلدان المرأة هي التي تدفع للرجل كما في الهند وغيرها، النساء يدفعن للرجال، وللأسف المسلمون في الهند وباكستان وبنجلاديش وهذه المناطق قلدوا الوثنيين فأصبحت البنت المسلمة هي التي تدفع للرجل، وعلى قدر قيمة الأسرة يكون ما يُدفع، أحياناً يطلب الرجل منزلاً، مسكناً، فيلاً، شقة من أبي البنت، وإذا كان الرجل عنده عدد من البنات تكون كل بنت مصيبة عليه، إذا كان عنده أربع بنات فعنده أربع مصائب كبيرة، وهذا ليس من الإسلام في شيء!

المرأة في الإسلام هي التي تأخذ، ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]. نحلة: أي عطية ومنحة وهبة، وهدية ومودة، ﴿فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَاءً مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، إذا تنازلت المرأة لزوجها عن شيء من مهرها فهي صاحبة الحق، كذلك لو تنازلت لأبيها، بعض الآباء يأخذون مهور بناتهم، هذا لا يجوز، هو في غير حاجة إلى هذا، ولذلك يغالي بعضهم في مهر البنات؛ لأنّه مكسب له، وهذا قد يعوق زواج الابنة، وينتهي بها الأمر إلى أن تظل عانساً في بيت أبيها، وهذا ظلم مبين.



### من حق المرأة إشهار الزواج:

من حق الزوجة المهر، ومن حق الزوجة عندما يُعقد عليها ويُراد الدخول بها أن تُزف علانية، وأن يُشهر زواجها، ولذلك قال النبي ﷺ: «أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف»<sup>(١)</sup>. أباح ضرب الدف، بل استحبه في هذه المناسبة؛ ليكون هذا بمثابة الإعلان عن هذا الأمر، الذي يحبه الإسلام ويحبذه، ويحث عليه ويدعو إليه.

وحينما زفّت عائشة فتاة قريبة لها إلى رجل من الأنصار سألها النبي ﷺ: «هل كان معهم لهو؟ فإن الأنصار قوم يعجبهم اللهو»<sup>(٢)</sup>. الأنصار قوم فيهم غزل، ويحبون اللهو والغناء وهذه الأمور، فقالت: لم يكن معهم لهو. قال: «هلا أتيتم معها بمن تغني وتقول:

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ      فحْيُونَا نَحْيِيكُمْ  
وَلَوْلَا الْحِنْطَةُ السَّمْرَا      مَا سَمَنْتُ عَذَارِيكُمْ  
وَلَوْلَا الذَّهَبُ الْأَحْمَرُ      مَا حَلَّتْ بُوَادِيكُمْ»<sup>(٣)</sup>

اقترح صيغة للغناء، انظروا إلى هذه الروح السمحة الطيبة من رسول الله ﷺ، لا يريد هذا العرس الصامت، إنما يريد عرسًا يظهر فيه الفرح والسرور، ويُعلن على الناس.

من حق الرجل ومن حق المرأة أن يستمتعا بهذا الزفاف وهذا الزواج، وأن تظهر فيه الأغاني والدفوف في غير مغالاة، فلا نتجاوز الحلال إلى

(١) رواه الترمذي في النكاح (١٠٨٩)، وقال: هذا حديث غريب، حسن في هذا الباب، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (١٩٩٣)، وقال: ضعيف إلا الإعلان. عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في النكاح (٥١٦٢)، عن عائشة.

(٣) سبق تخريجه ص ٨٩.

الحرام كما يفعل بعض النَّاس، الَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْفَرْقِ الرَّاقِصَةِ وَالْمَغْنِيَةِ وَيَتَجَاوِزُونَ الْحُدُودَ، هَذَا لَا يَجُوزُ، يَنْبَغِي أَنْ تَظَلَّ أَعْمَالُنَا كُلُّهَا مَشْدُودَةً إِلَى الْإِسْلَامِ، مُقَيَّدَةً بِأَمْرِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَلَا نَتَعَدَّى الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

### زواج يبدأ بالطاعة:

إذا دخل الرجل بامرأته ينبغي أن يبدأ بالدعاء وباسم الله، ويصلي ركعتين معها، أو يصليان العشاء جماعة، ليس معنى الاستمتاع بالحلال أن نترك فرائض الله، كيف يدخل الإنسان في هذه الليلة وقد ضيع فرضه، لا، لا بد أن يعلم زوجته أنهما يقيمان بيتًا مسلمًا، والبيت المسلم يقوم أول ما يقوم على احترام فرائض الله، ورعاية حدود الله، وأولها الصلاة.

ولذلك من السنة أن يمسك الرجل بناصية زوجته عندما تدخل عليه ويقول: «اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما هي له، وأعوذ بك من شرها وشر ما هي له»<sup>(١)</sup>. ومن حقها هي أيضًا أن تقول ذلك: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما هو له، وأعوذ بك من شره وشر ما هو له.

كل شيء في الإسلام يبدأ باسم الله، «وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله؛ فهو أبتَر»<sup>(٢)</sup>، حتَّى قضاء الشهوة حينما يعاشر الرجل امرأته لا ينبغي أن ينسى ذكر الله ﷻ، وهذا ما حثنا عليه النبي ﷺ: «لو أن أحدكم حينما يأتي أهله يقول: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب

(١) سبق تخريجه ص ٩٤.

(٢) رواه أحمد (٨٧١٢)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في النكاح (١٨٩٤)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٥٥)، وصحّح إسناده الشيخ أحمد شاكِر في تعليقه على المسند (٨٦٩٧) عن أبي هريرة بلفظ: «كل كلام، أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله، فهو أبتَر» أو قال: «أقطع».

الشيطان ما رزقنا. فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً<sup>(١)</sup>. بهذا الذكر ينبغي أن تمتزج المادة بالروح، أن تمتزج الحياة بذكر الله، هذا هو شأن الإنسان المسلم.

### حق المعاشرة بالمعروف:

بعد ذلك للمرأة حق المعاشرة بالمعروف، أو هو حق مشترك بين الطرفين، الله تعالى يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

والمعاشرة بالمعروف كلمة جامعة، منها النفقة بالمعروف، أن ينفق عليها بالمعروف، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. كما قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

والمعروف يختلف من رجل إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، الرجل المقتدر الموسر ينبغي أن يسكنها في بيت يليق بيساره ومقامه، والرجل الفقير لا يطالب بما لا يقدر عليه، ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، كل إنسان على قدر حاله، فمن كان قادراً على أن يسكنها في فيلا عليه أن يسكنها في فيلا، أو يسكنها في قصر إن كان أميراً من الأمراء، كل إنسان على قدر حاله، ولا يجوز له أن يضيق على امرأته وهو قادر على السعة، ولا أن يعسر عليها وهو موسر، فهذا ليس من المعاشرة بالمعروف.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٨)، ومسلم في النكاح (١٤٣٤)، عن ابن عباس.

وليس من المعاشرة بالمعروف أن تطالب المرأة زوجها بما لا يستطيع؛ تريد أن تكون مثل فلانة امرأة فلان، وزوجها ليس في يسار ذلك الرجل ولا في غناه.

المعروف هو ما تعرفه الفطر السليمة والعقول الرشيدة، وما يقره الفضلاء من الناس، ولذلك على الرجل أن ينفق على امرأته؛ من حيث مأكلا ومشربها، وكسوتها ومسكنها، وكل ما يطلبه لها العرف؛ حتى تعيش حياة مطمئنة لائقة بمثلها، هذا من المعاشرة بالمعروف.

### العشرة بالمعروف ليست مادية فقط:

وليس المعاشرة بالمعروف مقصورة على النفقة المادية فقد يوسع بعض الناس على امرأته من الناحية المادية، ولكنه لا يدخل البيت إلا عابسًا مكفهر الوجه، لا تسمع المرأة منه كلمة طيبة، ولا ترى بسمة في فمه، ولا إشراقة في وجهه، فتعيش معه حياة نكدية؛ كأنها جحيم مستمر والعياذ بالله، ما قيمة المال والنفقات، ما قيمة القصر الذي تعيش فيه وهي تعيش وحيدة، لأن الرجل في معزل عنها؛ إما بتجارته وأعماله، وإما بأصدقائه وسهراته، وإما بشهواته وانطلاقاته في المتع الحرام، وإما، وإما، مثل هذه المرأة مسكينة، تجد مال زوجها ولكنها لا تجد الزوج نفسه، ما قيمة هذا كله دون وجود الزوج في حياة زوجته؟

النبي ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»<sup>(١)</sup>. أفضل المسلمين أفضلهم معاشرة مع أهله، هذا هو الميزان الذي نتبين به صدق

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٩٥)، وقال: حسن صحيح. والدارمي (٢٣٠٦)، وابن حبان (٤١٧٧)، كلاهما في النكاح، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥)، عن عائشة.

الإيمان، فصدق الإيمان يتجلى في معاشرة الرجل لأهله، كيف يعاشرهم، كيف يؤدي إليهم حقوقهم؟ لهذا يتمايز الرجال بعضهم عن بعض.

### الأسوة الحسنة:

وأفضل الناس في ذلك هو رسول الله ﷺ، فهو المثل الأعلى، وهو أسوة المؤمنين؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. كان هو الأسوة الحسنة في معاشرة نسائه.

وقد أراد الله تبارك وتعالى أن يعيش النبي ﷺ بعض فترات حياته زوجاً لامرأة واحدة؛ هي خديجة رضي الله عنها، لنعرف كيف يكون الرجل مع الزوجة الواحدة، وعاش فترات أخرى مع أكثر من زوجة، فيهن الصغيرة والكبيرة، والبكر والثيب، والعربية وغير العربية، وذات الأولاد وغير ذات الأولاد، كيف عاشرهن رسول الله ﷺ، وكيف ضرب المثل في ذلك كله.

وكان ﷺ أعدل ما يكون بين هؤلاء الزوجات، كان يقول حينما يقسم في النفقة والكسوة والمبيت: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك»<sup>(١)</sup>. يعني أمر القلب والعواطف، لا يستطيع أن يحب هذه مثلما يحب هذه، أمور القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

(١) رواه أحمد (٢٥١١١)، وقال مخرّجوه: هذا إسناد رجاله ثقات. وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، وقال: روي مرسلًا وهو أصح. والنسائي في عشرة النسائي (٣٩٤٣)، وصحّحه ابن الملقن في البدر المنير (٣٨/٨)، وقال الحافظ في التلخيص الحبير (٢٩٥/٣): وأعله النسائي والترمذي والدارقطني بالإرسال. وقال أبو زرعة: لا أعلم أحدا تابع حماد بن سلمة على وصله. عن عائشة.

## كلكم راع وكلكم مسؤول:

المعاشرة بالمعروف مطلوبة من الرجال للنساء، ومن هذه المعاشرة بالمعروف أن يأمر الرجل أهله بالخير، وأن يعلمهم الخير، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. قال علي بن أبي طالب: علموا أهليكم الخير<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

أنت مسؤول عن أهلك، «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(٢)</sup>، فلا بد أن تأمر أهلك بالصلاة وتصطر على هذا، لا تقل: قلت لها مرة ومرتين وثلاثة وكفى. لا، لا بد أن تصطر على ذلك حتى تؤدي الصلاة، المفروض أن المسلم من أول الأمر لا يتزوج إلا مصلية، لكن لو أن المسلم وقع في هذا الأمر، أو كان هو قبل ذلك لا يهمله أمر الصلاة، ثم هداه الله وتاب عليه، وأصبح ملتزمًا بفرائض الله؛ فلا بد أن يحاول أن تكون امرأته في طريق الخير حتى يتعاونوا جميعًا على إنشاء البيت المسلم المنشود، وعلى التنشئة الصالحة للأبناء والبنات، فلا يمكن أن تتم هذه التنشئة بمعزل عن الأم، ولا يمكن أن تؤتمن امرأة لا تؤدي حق الله عليها، لا تؤدي فرائض ربها، المرأة التي تخون الله لا يبعد عنها أن تخون زوجها، أو تخون أولادها، أو تهمل في تربيتهم، حق الله أحق أن يؤدى ويُقضى.

ولذلك فواجب الزوج أن يرعى زوجته، وأن يأخذها بالرفق والأناة والصبر والتدرج، وأن يأتي لها من صالحات النساء من يقربها من ذلك،

(١) رواه الحاكم في التفسير (٤٩٤/٢)، صححه على شرطهما، ووافقه الذهبي. موقوفًا.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.



يختار لها صديقاتها الصالحات، ويبعدها عن الصديقات السيئات المتفرنجات، فهو لاء خطر على حياتها، على دينها وعلى دنياها.

### اللفظ في المعاشرة:

ومن واجب الزوج في المعاشرة بالمعروف أن يكون لطيفاً مع زوجته، حسن المعاشرة، يتلطف بها، يستمع إلى حكاياتها، كما رأينا النبي ﷺ يستمع إلى عائشة وهي تحدثه عن إحدى عشرة امرأة، كل واحدة تصف زوجها بوصف، وهذا في البخاري معروف (حديث أم زرع)، هذه تقول عن زوجها: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعمر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل. وهذه تقول: زوجي عيياء، طباقاء، كل داء له داء. وهذه تقول: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد.

هناك من تمدح زوجها ومن تذم زوجها، والنبي ﷺ يستمع إليها، حتى إذا جاءت إلى المرأة الحادية عشرة أم زرع مدحت أم زرع، وهي تتحدث عن زوجها أبي زرع، وعن حماتها أم أبي زرع، وعن أحمائها وأقربائها، وعن ابن أبي زرع، ولكنه في النهاية وجد امرأة أخرى فطلقها، فقال النبي ﷺ لعائشة: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع؛ غير أنني لا أطلقك»<sup>(١)</sup>. فانظر إلى هذه الملاطفة.

بعض الناس لا يجد عنده طاقة لأن يستمع من زوجته، وبعض الناس يُسكت زوجته، كأن هذه المرأة لا قيمة لها، أو لا وزن لها!

(١) حديث أم زرع متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨). دون قوله: «إلا أنه طلقها وإنني لا أطلقك» فهو من رواية «الزبير بن بكار» خارج الصحيح؛ كما ذكر الحافظ في فتح الباري (٢٧٥/٩).



والحياة الزوجية لا تقوم بهذا، الحياة الزوجية عبارة عن انسجام وتوافق، الله تعالى يقول: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: ٢١]، المرأة جزء من نفسك، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. هذا السكون والمودة والرحمة هي أركان الحياة الزوجية؛ كما صورها القرآن الكريم.

والله تعالى يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وانظر إلى كلمة (اللباس) ماذا تعني؟ وبماذا توحى؟ الرجل للمرأة والمرأة للرجل بمنزلة اللباس بما توحى به كلمة (اللباس) من الستر، والوقاية، والدفع، والتجميل، والزينة، والقرب، والصلوق، فلا يستغني الرجل عن المرأة، ولا تستغني المرأة عن الرجل! هذه حقوق.

### الحقوق الجنسية:

ومن الحقوق حق المعاشرة الجنسية، لا يجوز للرجل أن يهمل المرأة، ولا يجوز للمرأة أن تمتنع عن الرجل إلا بعذر، والله تعالى يقول: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ وَفَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

حتى في أيام رمضان: أيام الصيام وأيام الارتقاء الروحي؛ يقول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فهكذا أتاح الإسلام حتى في ليالي هذه العبادة أن يعاشر الرجل امرأته، ولا حرج في ذلك شرعاً؛ إلا في أوقات معينة: أيام الحيض،

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ولذلك منع النبي ﷺ الرجل أن يتصل بامرأته: أي يجامعها، ولكن لا مانع أن يستمتع بها خارج إطار الجماع.

كان اليهود إذا حاضت المرأة ابتعدوا عنها، فيقيم الرجل في حجرة وهي في حجرة، لا يأكل معها، ولا يشرب معها؛ وكأنها نجسة، إذا أكلت من قصعة لا يأكل منها، وإذا شربت من إناء لا يشرب منه، وكان النصارى على عكس ذلك، فجاء الإسلام بهذه المنزلة الوسط، شرع للرجل أن يعاشر امرأته ويستمتع بها؛ ولكن بعيداً عن الجماع.

حينما قال النبي ﷺ للسيدة عائشة: «ناوليني الخُمرة هذه». فقالت: يا رسول الله إني حائض. قال لها: «إن حيضتك ليست في يدك»<sup>(١)</sup>. فهذا من بقايا التأثير باليهود، ولذلك قالت عائشة بعد ذلك: كنت أشرب وكان النبي ﷺ يشرب من الإناء الذي أشرب فيه ويضع فاه موضع في<sup>(٢)</sup>. من ملاطفته ﷺ أنه يشرب من المكان الذي شربت منه ليشعرها بحبه.

### الملاطفة حق متبادل:

ونجده ﷺ يلاطفها فيما هو أكثر من ذلك؛ فكان يسابقها وتسابقه، ويقول لها: «هذه بتلك». سابقها مرة أول ما تزوجها فسبقته وكانت صغيرة السن، خفيفة اللحم، ثم بعد ذلك سمت وثقلت فسبقها النبي ﷺ

(١) رواه مسلم في الحيض (٢٩٨)، وأحمد (٢٤١٨٤).

(٢) رواه مسلم في الحيض (٣٠٠)، وأحمد (٢٤٣٢٨)، عن عائشة.

في العدو: في الجري، وكان عمره حوالي ستين سنة فسبقها فقال لها: «هذه بتلك»<sup>(١)</sup>. أي صرنا متعادلين، غلبتني مرة وغلبتك مرة، هذا كله من باب الملاطفة، فينبغي للزوج المسلم أن يلاطف زوجته، وينبغي للزوجة المسلمة أن تلاطف زوجها؛ فهما حقان متقابلان، وكل حق يقابله واجب، والأساس في ذلك: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) رواه أحمد (٢٤١١٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٧٩)، وابن حبان في السير (٤٦٩١)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٣١)، عن عائشة.

## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### اغتيال الشيخ محمد صادق الصدر:

في الأسبوع الماضي حدث حادث لا ينبغي السكوت عليه، وهو قتل المرجع الديني الشيعي: الشيخ محمد صادق الصدر، هذه قضية خطيرة أيّا كان القاتل، المعارضة تتهم النظام أنّه هو الذي قتل الرجل وولديه وصهره، والنظام يتهم المعارضة أو يتهم الأمريكان.

وهناك من يشير إلى أصابع الموساد في هذه القضية، التي تريد أن تشعل نار فتنة بين السنة والشيعة، وهذا ما أعرفه منذ سنين طويلة، أن هناك مؤامرة أيُّها الإخوة تكيد بها القوى المعادية للإسلام، تريد أن توقد نار حرب دينية بين السنة والشيعة، لم يفهم ما أشعلوا من حرب بين العراق وإيران باسم العرب والفرس، هذه المرة يريدونها باسم السنة والشيعة.

### الوعي بمكائد الكائدين للإسلام:

وينبغي أن نكون على وعي بكيد هؤلاء الكائدين للإسلام، وأن نفوت عليهم أغراضهم، ولا نكون من الغباء والغفلة؛ بحيث نستخدم كأدوات لتحقيق أهداف هؤلاء. فالشيعة يعيشون في بلاد أهل السنة، وأهل السنة يعيشون في بلاد الشيعة، هنا في قطر وفي بلاد الخليج يعيش الشيعة، كما يعيشون في أفغانستان وفي الهند، وفي بنجلاديش وفي باكستان، وفي العراق، وفي عدد من بلاد إفريقيا. ويعيش أهل السنة

في إيران، فلا بد أن يدرك الجميع أن عليهم أن يتعايشوا تعايشًا سلميًّا، ولن يعجزوا أن يجدوا من القواعد في دينهم وفي تراثهم؛ ما يجعلهم يعيشون بسلام وأمان.

لقد رأينا العالم يتقارب، تقارب النصارى مع اليهود وأصدروا وثيقة «تبرئة اليهود من دم المسيح»، وتقارب النصارى مع أنفسهم، المذاهب التي يُعتبر كل منها دين برأسه: الكاثوليكية، والبروتستانتية، والأرثوذكسية، كل هذه المذاهب تتقارب، فما بالنا نحن المسلمين وحدنا نتباعد؟ لحساب مَنْ؟ ولمصلحة مَنْ؟!

### خلافات في فروع العقائد:

نحن نخالف الشيعة في بعض فروع العقائد، ولكن الشيعة مهما كانوا هم مسلمون في الأصل، يؤمنون بأن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وقد قال لي بعضهم: إنهم لا يؤمنون بالقرآن. قلت له: يا أخي هذا ظلم، لم نرَ عندهم مصحفًا غير هذا المصحف، هذا المصحف هو الذي يطبعونه في مطابعهم، ويوزعونه على العالم، ويحفظونه لأبنائهم، ويذيعونه في إذاعاتهم وتلفازاتهم، ومنه يستمدون الأحكام في العقائد وفي الفقه. كتبهم العقدية تستدل بهذا القرآن، وكتبهم الفقهية تحتج بهذا القرآن، فلماذا نقول عنهم: إنهم لا يؤمنون بالقرآن؟ هذا ليس من الإنصاف في شيء.

### التحاور بالحجج والبراهين:

نحن نقول: الشيعة مسلمون، لهم عقائدهم التي نبذعهم فيها، ونحكم عليهم بالانحراف، ولكن هذا لا يجعلنا نقبل أن تمتد يد أحد منهم

لِيُقْتَلَ، لا ينبغي أن نتحاور بالرصاص وبالقنابل، وإنَّما نتحاور بالحجج وبالإقناع، بأن يلتقي أهل العلم، ويحاور بعضهم بعضًا، أمَّا أن يقاتل بعضنا بعضًا، هؤلاء جند محمد، وهؤلاء جند الصحابة، وهؤلاء كذا - كما يحدث في باكستان وغيرها - فهذه في الحقيقة فتنة، لا يستفيد من ورائها إلا أعداء الإسلام.

ينبغي أن تكون عندنا صيغة نستطيع أن نتعاش بها، وكما دعا العلامة الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ فِي قاعدة المنار الذهبية إلى هذا التعامل، تحت هذه القاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه<sup>(١)</sup>.

هناك أشياء كثيرة نتفق عليها، نتفق على محاربة الصهيونية، نتفق على محاربة الاستعمار، نتفق في قضايا المسلمين في البوسنة والهرسك، وفي كشمير، وفي كذا وفي كذا، نتفق على محاربة الإلحاد، وعلى مقاومة الإباحية والتحلل، وعلى مقاومة المظالم الاجتماعية، وعلى الوقوف مع المستضعفين في الأرض، نتفق على ألف قضية وقضية، فلنتعاون على هذه القضايا.

وهناك أشياء نختلف فيها، فليجلس أهل العلم بعضهم مع بعض في هذه القضايا، أو ندع الأمر فيها إلى الله، كما نختلف مع النصارى ومع أهل الكتاب ومع غيرهم، الله تعالى يقول: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]. هذا ما ينبغي أن يتبناه

(١) قاعدة المنار الذهبية، للعلامة محمد رشيد رضا. انظر: مجلة المنار (١٧/١٨٨)، نشر دار المنار، القاهرة.

المسلم في قضايا الخلاف، الخلاف بين المختلفين سيحكم الله فيه يوم القيامة، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

### طبيعة الاختلاف:

لا بد أن نصل إلى صيغة نتعايش بها، إذا كان الإسلام يعتبر النصارى أقرب إلى المسلمين من المجوس؛ كما حدثتنا سورة الروم، حينما حدث صراع بين الفرس والروم قديمًا: أكبر دولتين تتنازعان السيادة على العالم؛ مثلما كان يتنازع السوفيت والأمريكان في الزمن الماضي.

تنازعت دولة شرقية هي الفرس، ودولة غربية هي الروم وغلب الفرس الروم؛ ففرح المشركون وحزن المسلمون، لماذا حزن المسلمون؟ لأن الفرس كانوا مجوسًا يعبدون النار، ويقولون بإله للخير وإله للشر، أو إله للنور وإله للظلمة، أمّا الروم فكانوا نصارى؛ فهم أقرب إلى المسلمين؛ فحزن المسلمون وفرح المشركون، ونزل القرآن يقول: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ \* [الروم: ٢-٥].

يفرح المسلمون بانتصار الروم وهم نصارى على الفرس، وكلاهما في نظر المسلمين كفار برسالة محمد ﷺ، ولكن كفر دون كفر، بعض الكفار أقرب من بعض، فكيف نحن والشيعه؟! وخصوصًا أن هذا الرجل الذي قُتل وقتل ولداه معه: كان معروفًا بالاعتدال والتسامح، والدعوة إلى التقريب، ولم يُعرف عنه تعصب ضد أهل السنة!

ومساكين عائلة الصدر، كم من إنسان ظلم وقُتل في هذه الأسرة، قبل



ذلك قُتل العلامة محمد باقر الصدر صاحب الكتب الرائعة (اقتصادنا) و(فلسفتنا)، وموسى الصدر الذي اختفى منذ سنين، ولا يُعرف أهو حي أو ميت، هذه عائلة مبتلاة، ونحن نقف ضد القتل، وضد الاغتيال، وضد هذه المظالم أيا كان مصدرها.

### دعوة للتعايش:

نحن ندعو إلى التعايش، إذا كنا ندعو إلى التعايش بين الأديان والحضارات، وإلى حوار الأديان والحضارات، وإلى حوار النصارى وغيرهم، فكيف لا ندعو إلى التعايش بين المسلمين؛ مهما يكن بينهم من خلاف؟!

المصلحة الإسلامية اليوم وغداً تقتضي أن نتحاور فيما بيننا، وأن نتعايش سلمياً، وأن يعطي كلٌ منا الحق لأخيه، وأن تُبحث هذه الأمور بالمصارحة، وهذا ما قلته للإخوة في إيران؛ حينما زرتهم في العام الماضي، وقلته في ندوة التقريب بين المذاهب التي عُقدت في الرباط منذ سنوات، هذا ما ينبغي، أن نكشف بعضنا بعضاً، وأن يعطي بعضنا بعضاً الحق لأهل الحق.

لا يجوز لشيعة أن يظلم أهل السنة في بلده، ولا يجوز لسني أن يظلم الشيعة في بلده، ولا يجوز للشيعة أن يقتلوا علماء السنة كما يشاع في إيران، ولا يجوز لأهل السنة أن يقتلوا علماء الشيعة، لا يجوز هذا في منطق الإسلام، ولا في منطق المصلحة، ولا في منطق العقل.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يجمع كلمة



هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيله، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا سخيًا رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم آمين.

\* \* \*





## الزوجة الصالحة

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا عن الزواج والحياة الزوجية موصولاً، تحدثنا عن الزوج الصالح، الذي يقوم بحقوق زوجته ويتقي الله فيها، ولا يأكل لها حقاً.

واليوم نتحدث عن الزوجة الصالحة التي اعتبرها النبي ﷺ من مقومات السعادة، ومن نعم الله تعالى على زوجها، وقد روى عبد الله بن عمرو عنه ﷺ أنه قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»<sup>(١)</sup>. وفي الحديث الآخر: «من رزقه الله زوجة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي»<sup>(٢)</sup>.

والزوجة الصالحة كما جاء عن النبي ﷺ هي ذات الدين والخُلُق<sup>(٣)</sup>، وهي خير ما يكثر المرء لدينه ودنياه وآخرته، عليك بذات الدين والخلق، تربت يمينك!

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) سبق تخريجه ص ٦٠.

(٣) رواه أحمد (١١٧٦٥)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وابن أبي شيبة (١٧١٤٩)، وابن حبان (٤٠٣٧)، كلاهما في النكاح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٢٦): رجاله ثقات. عن أبي سعيد الخدري.

**خير ما يكتنز الرجل:**

لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. قال النبي ﷺ: «تَبًّا لِلذَّهَبِ تَبًّا لِلْفِضَّةِ، تَبًّا لِلذَّهَبِ تَبًّا لِلْفِضَّةِ، تَبًّا لِلذَّهَبِ تَبًّا لِلْفِضَّةِ، تَبًّا لِلذَّهَبِ تَبًّا لِلْفِضَّةِ». قالوا: يا رسول الله فأَيُّ المَالِ نَتَّخِذُ؟ قال: «لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ لِسَانًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَزَوْجَةً تَعِينُهُ عَلَى أَمْرِ دِينِهِ»<sup>(١)</sup>.

وسأله عمر رضي الله عنه بعد أن شقَّ على الصحابة نزول هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾. فقال: «يا عمر، أَلَا أَخْبَرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ، وَإِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا حَفَظَتْهُ»<sup>(٢)</sup>.

هذه هي المرأة الصالحة، «إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ»؛ لِأَنَّهَا بِشَوْشَةِ الْوَجْهِ، لَا تَقَابِلُهُ بِالنَّكَدِ وَالْغَمِّ، وَلَكِنْ تَقَابِلُهُ بِوَجْهِ بِشَوْشٍ، وَلِسَانٍ طَيِّبٍ، وَكَلِمَةٍ تَجْعَلُ الْجِرَاحَ تَلْتَأَمُ. «وَإِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ»، وَهَذَا أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ، أَنْ تَطِيعَ زَوْجَهَا فِي الْمَعْرُوفِ؛ فَإِذَا أَمَرَهَا بِمَعْصِيَةٍ فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ!

**تعارض حق الربِّ مع حق الزوج:**

إذا تعارض حق الخالق وحق الزوج فمن يُقَدِّم؟ لا شك أن حق الله مُقَدِّمٌ عَلَى حَقِّ عِبَادِهِ، فَلَوْ أَمَرَهَا أَنْ تَخْلَعَ حِجَابَهَا؛ فَتُكْشَفَ رَأْسُهَا، أَوْ تُكْشَفَ ذِرَاعُهَا أَوْ سَاقُهَا، أَوْ تُبْلَسَ لِبَاسُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَظْهَرُ عَوْرَتُهَا؛

(١) سبق تخريجه ص ١٤٥.

(٢) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٦٤)، وأبو يعلى (٢٤٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود.

(٣٦٣)، عن ابن عباس.

فلا يجوز لها أن تطيعه في هذا، وليس من حق الزوج أن يأمرها بهذا، ولو أمرها أن تصحبه إلى حفلات داعرة فاجرة؛ فليس من حقه هذا، ليس من حقه أن يُطاع في معصية الله!

لو أمرها ألا تقوم الليل وهو محتاج إليها فلا مانع من ذلك، ولو أمرها ألا تصوم تطوعاً تطيعه. جاءت امرأة صفوان بن المعطل تشكو إلى النبي ﷺ زوجها صفوان تقول: إنّه لا يدعني أصلي يا رسول الله، ويفطرني وأنا صائمة. فقال النبي ﷺ: «ما قولك يا صفوان؟» قال: يا رسول الله، إنّها تصلي بالسورتين في ركعة. فقال النبي ﷺ: «والله لو صلى الناس بسورة واحدة لكفّتهم». أي لا داعي أن تطيلي الصلاة وزوجك حاضر، قال صفوان: وأمّا قولها: إنّني أفطرها وهي صائمة فإنها تعتمد إلى الصيام وأنا حاضر، وأنا شاب لا أصبر! فقال النبي ﷺ: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد - أي حاضر غير مسافر - إلّا بإذنه»<sup>(١)</sup>. إذا أذن لها صامت، وإلا فحقه مُقدّم على صيامها التطوعي، تطيع المرأة زوجها في هذا.

### وصف المرأة الصالحة:

يقول النبي ﷺ في وصف المرأة الصالحة: «إذا صلت المرأة خمسها - صلواتها الخمس - وصامت شهرها - شهر رمضان - وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها: ادخلي الجنة من أي باب شئت»<sup>(٢)</sup>. وذلك

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٩٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٢٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٦٦١)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والطبراني في الأوسط (٨٨٠٥)، وقال

الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦٣٤): فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن عبد الرحمن بن عوف.

لأنّها أدت حق الله وحق الزوج، حق الخالق وحق الخلق، فلهذا تُخَيَّر بين أبواب الجنة؛ أيّها شاءت أن تدخل منه دخلت.

### قوامة الرجل:

جعل الإسلام الرجل هو القوَّام على الأسرة كما ذكرنا من قبل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]. فلا يجوز أن تنعكس الآية كما نرى في بعض البيوت؛ فتكون المرأة هي صاحبة الكلمة، وهي الأمرة الناهية، وزوجها (طرطور) لا يستطيع أن يأمرها بشيء، ولا ينهاها عن شيء، لا، الرجل هو المسؤول عن البيت، والنبى ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل راعٍ في أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>. الرجل راع؛ فلا بد أن يقوم بحق هذه الرعاية، أنت راعٍ وأهل بيتك رعيةٌ مسؤولون منك؛ فلا تفرط في هذه الرعاية.

### قوا أنفسكم وأهليكم نارا:

وليست الرعاية بالكلام، هي واجبات وحقوق يجب أن تؤدَّى ويجب أن تُلاحَظ وتُرعَى، «فالرجل راعٍ في أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته»، إذا وجد على امرأته تقصيرًا في واجباتها، سواء واجباتها نحو ربها؛ إذا كانت لا تصلي، أو تتكاسل عن الصلاة؛ فينبغي أن يأمرها بالصلاة، الله تعالى يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]، ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

احفظ نفسك واحفظ أهلك من النار، وأول من يجب أن تحفظهم وتقيهم من النار زوجتك، أنت مسؤول عنها، إذا وجدتها ترتكب بعض المحرمات فانهها، انهها برفق أولاً، ثم شدد عليها ثانية، وأبرز مسؤوليتك التي منحك الله إياها.

لا يجوز أن تتهاون في المحرمات، ولا في حقوق الزوجية الأساسية، وإلا فإذا تهاونت في أول الأمر فسرعان ما تضيع حقوقك كلها، وتعرض الأسرة بعد ذلك للانحيار، على أن الطاعة للزوج وللبر إنما تكون في المعروف، لا يُطاع مخلوق في معصية الخالق.

### وتعاونوا على البر والتقوى:

ومن واجب الزوجة أن تعاون زوجها على الحياة، على البر والتقوى، الله تعالى أمر المؤمنين أن يتعاونوا، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وأول من يجب عليهم التعاون على البر والتقوى الرجل وزوجته، كل منهما عليه أن يعين الآخر، ينصحه حتى لا يقع في المعصية.

وهكذا كانت نساء السلف الصالح رضوان الله عليهم، كانت إحداهن تقول لزوجها إذا خرج للكسب ليضرب في الأرض؛ ليبتغي من فضل الله، تقول له: يا أبا فلان، إياك وكسب الحرام؛ فإننا نصبر على الجوع والطوى، ولا نصبر على حر النار وغضب الجبار<sup>(١)</sup>. هذه الكلمة من زوجته تجعله يفكر مرة ومرة؛ إذا لاحت له فرصة الكسب من حرام، أو مما فيه شبهة الحرام.

(١) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).



أَمَّا إِذَا قَالَتْ لَهُ: أَنْتَ مُتَأَخِّرٌ عَنْ كُلِّ النَّاسِ، فَلَا تَجْمَعُ إِلَّا الْآلَافَ،  
وَفَلَانٌ جَمَعَ الْمَلَائِكِينَ، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ تَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَرَامًا. مِثْلَ هَذِهِ  
الزَّوْجَةِ تَدْفَعُ زَوْجَهَا إِلَى أَكْلِ السُّحْتِ، وَتُجَرِّئُهُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ!

أَمَّا الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ فَهِيَ الَّتِي تُحْذِرُ زَوْجَهَا مِنَ الْحَرَامِ، وَتُحَرِّضُهُ  
عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأًا قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى  
رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ وَجَدَ زَوْجَتَهُ نَائِمَةً، فَأَمَرَهَا أَنْ تَقُومَ لِتُصَلِّيَ مَعَهُ، فَإِنْ لَمْ تَقُمْ  
نَضَحَ وَجْهَهَا بِالْمَاءِ - رَشَّهَا مِنْ بَابِ الْمَدَاعِبَةِ؛ لِتَقُومَ فَتُصَلِّيَ مَعَهُ - وَرَحِمَ  
اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ لَمْ يَقُمْ  
نَضَحَتْ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ»<sup>(١)</sup>. تُحَرِّضُهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتُحَرِّضُهُ عَلَى فِعْلِ  
الصَّالِحَاتِ وَاسْتِبَاقِ الْخَيْرَاتِ، هَذِهِ هِيَ الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ، مُعَوِّنٌ لَزَوْجِهَا  
عَلَى الْخَيْرِ، مَعَهُ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ، تَعِينُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ.

كَانَتِ الزَّوْجَةُ فِي زَمَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ تَحْرِضُ زَوْجَهَا عَلَى الْجِهَادِ،  
وَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِلْجِهَادِ وَيَأْتِي الْمَثْبُطُونَ وَالْمَعْوَقُونَ يَقُولُونَ لَهَا: مَا لِأَبِي  
فَلَانٍ قَدْ ذَهَبَ وَتَرَكَكَ؟ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلِينَ؟ وَمِنْ أَيْنَ تَعِيشِينَ؟ فَتَقُولُ لَهُمْ  
فِي ثِقَةِ الْمُؤْمِنَةِ، وَإِيمَانِ الْوَائِقَةِ: إِنَّ أَبَا فَلَانٍ - زَوْجَهَا - مِنْذُ تَزَوَّجْتَهُ عَرَفْتَهُ  
أَكَّالًا، وَمَا عَرَفْتَهُ رَزَاقًا، وَلَنْ ذَهَبَ الْأَكَّالُ لَقَدْ بَقِيَ الرَّزَاقُ<sup>(٢)</sup>.

### إِعَانَةُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ لَزَوْجِهَا:

هَذِهِ هِيَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ تَعِينُ زَوْجَهَا، وَتَقِفُ مَعَهُ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا،  
وَقَدْ رَأَيْنَا مِثَالًا بَارِزًا لَذَلِكَ فِي أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى: خَدِيجَةَ

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٧٤١٠)، وَقَالَ مَخْرَجُوه: إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ. وَأَبُو دَاوُدَ فِي الصَّلَاةِ (١٣٠٨)، وَابْنُ مَاجَةَ  
فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ (١٣٣٦)، وَابْنُ حِبَانَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ (٢٥٦٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٢) إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ (٥٨/٢).

بنت خُوَيْلِد، كانت نعم الزوجة لزوجها، ونعم المعوان له، كان يذهب في شهر رمضان قبل البعثة يتعبد في غار حراء لله تعالى، فكانت خديجة تذهب إليه بالزاد ما بين الحين والحين، فتصعد إلى غار حراء، وهو أمر يكلف الرجال جَهْدًا، ولكنها كانت تذهب إليه بالزاد.

ولما جاءه الوحي لأول مرة وقال له جبريل: «اقرأ». فقال: «ما أنا بقارئ». وغطه وضمه ضمة قوية إلى صدره، حتَّى بلغ منه الجَهْد، وعاد إلى خديجة يرتجف فؤاده، ويقول: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، لقد خشيت على نفسي». فماذا قالت خديجة؟ هل لطمت خدها، أو شقت جيبها، أو قالت: يا ويلتاه! ماذا حدث للرجل؟! هل أصابه مس من الجن؟ ربما لو كانت واحدة من نساء زماننا؛ لقاتل مثل ذلك، ولكن هذه المرأة العاقلة الحكيمة قالت بالفطرة السليمة، وبالبصيرة النيرة: والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إِنَّكَ لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق أو نوائب الدهر<sup>(١)</sup>. أي إن مثل هذا في سنن الله لا يمكن أن يُخزَى، لا يخزي الله من يقوم بهذه الأعمال الخيرة، وصاحب هذا الخلق، فصاحب هذه النفس الكريمة لا يخزيه الله أبدًا، عرفت ذلك من سنن الله في الكون، وصدقت.

ولم تكتفِ خديجة بهذا، لقد قامت بخطوة عملية وأخذته ﷺ، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل؛ فقص عليه خبره، فقال: يا ابن أخي، هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك؛ فَأَنْصُرَكَ نَصْرًا مَوْزَرًا. فقال ﷺ ببراءة: «أَوْ مَخْرَجِي هُمْ؟!» أيخرجونني وأنا الأمين عندهم، وأنا المحبب إليهم؟ قال: ما جاء

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

قط رجل بمثل ما جئت به إلا عودي. لا بد أن يُعَادَى وأن يُقاوَم وأن يُحَارَب. هذه هي المرأة الصالحة تعين زوجها وتقف معه.

### التجمل والتطيب:

المرأة الصالحة هي التي تتجمل لزوجها: تتزين له، وتطيب له، وتكون معه في أحسن حال، وإذا دعاها إلى فراشه لم تمتنع ولم تتمرد؛ وإلا كانت ناشزة، والنبي ﷺ لا يجيز للمرأة أن تهجر فراش زوجها، ويقول: «إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَاتَتْ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا؛ لَعْنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك لا يجوز للرجل أن يهجر فراش امرأته باستمرار، فالحياة الزوجية رباط بين زوجين، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]، والإنسان له غرائزه المعتبرة، والله تعالى أجاز الجماع حتى في ليالي الصيام، قال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

كان الجماع بعد العشاء ممنوعاً في أول الصيام، ثم من الله على المسلمين وشرع لهم ذلك، ما أروع التعبير القرآني وما أبلغه عن الصلة بين الرجال وزوجاتهم، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، ما توحىه كلمة اللباس! فالثوب للإنسان يوحى بمعنى اللصوق، والزينة، والستر، والدفع، وهكذا ينبغي أن يوفر كل منهما لصاحبه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٩٤)، ومسلم في الحج (١٤٣٦)، عن أبي هريرة.

هذه المعاني، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، فلا ينبغي للرجل أن يهجر امرأته ولا للمرأة أن تهجر زوجها، ولكن النبي شدّد على المرأة أكثر؛ لأن المرأة تستطيع أن تصبر عن الرجل، والرجل لا يستطيع أن يصبر عن المرأة، ولهذا قال: «لو دعاها وهي على ظهر قتب»<sup>(١)</sup> - في هودج على ظهر بعير - ينبغي لها أن تطيعه، و«لو على التنور ينبغي لها أن تطيعه»<sup>(٢)</sup>. هذا ما شرعه الإسلام.

ومن أجل هذا شرع الإسلام للمرأة أن تتزين لزوجها، وأن تتجمل له، كما قال ابن عباس: إنني أزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي امرأتي<sup>(٣)</sup>. تتزين بما يقتضيه العرف، لم يحدد الإسلام نوعاً من الزينة، كان العرب يستعملون الخضاب والكحل، والآن هناك أنواع أخرى من الخضاب، وأنواع أخرى من الكحل، لا مانع منها، تستطيع أن تستخدم ما ليس محرماً وما لا يمنع الوضوء ويبطل الصلاة؛ مثل ما يسمى (المناكير) الذي يوضع على الأظافر؛ فإن هذا يمنع صحة الوضوء؛ لأنّه حائل دون وصول الماء إلى الأظافر، فلهذا لا يكون الوضوء معه صحيحاً.

من حق المرأة أن تتزين وتتعطر في بيتها، وإن كان كثير من النساء للأسف يتزين ويتعطن عندما يُردن الخروج إلى الشارع أو إلى زيارات، ولكنها في البيت تكون على أسوأ حالها، وهذا لا يجوز!

(١) رواه الطبراني (٢٠٠/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦٤٣): رجاله رجال الصحيح؛ خلا المغيرة بن مسلم، وهو ثقة. عن زيد بن أرقم.

(٢) رواه أحمد (١٦٢٨٨)، وقال مُخَرَّجوه: حديث ضعيف بهذه السياقة. والترمذي في الرضاع (١١٦٠)، وقال: حسن غريب. وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٢٠٢)، عن طلق بن علي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الطلاق (١٩٦٠٨).

## التزين الذي لا يغير فطرة الله:

ينبغي أن تكون الزينة الحقيقية للمرأة في بيتها ولرجلها، وتزين في حدود ما أحل الله، فلا تكون ممن لعنهن النبي ﷺ، فقد لعن الواشمة والمستوشمة، ولعن الواصلة والمستوصلة<sup>(١)</sup>، ولعن النامصة والمتنمصة، ولعن المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله<sup>(٢)</sup>.

التزين مطلوب، ولكن بما لا يغير خلق الله، فلا يجوز الوشم، ولا يجوز وصل الشعر بشعر آخر، أو بما يسمى الآن الشعر الاصطناعي (الباروكة) وهذه الأشياء، لا ينبغي للمسلمة أن تفعل ذلك، ولا يجوز النمص وهو إزالة شعر الحاجب أو ترقيقه إلى حد كبير كما تفعل كثير من النساء في عصرنا تقليدًا للمرأة الغربية.

كثير من نساء العصر تقلدن الأجنبيةات في زيهن وزينتهن، والمسلمة لا يجوز أن تكون مقلدة وأسيرة لغيرها، ينبغي أن تكون المسلمة معتزة بشخصيتها، معتزة بدينها وقيمها وأعرافها، ولا تنماع في غيرها، وتذوب في الأخريات كما يذوب الملح في الماء.

النمص محرم، والتفلج للحسن كما كانت تفعل نساء العرب، فقد كان العرب يحبون الفلج: الفرق بين الأسنان بعضها وبعض، إذا كان هذا فطريًا فلا مانع، أمّا أن تتكلف المرأة ذلك وتأتي بالمبرد وتفعل ذلك؛ فهذا لا يجوز!

ومثل هذا يُقال في عمليات التجميل الحديثة، لا يجوز للمرأة أن تقوم بعمل تجميل إلا إذا كان هناك تشويه معين في خلقتها، شيء غير

(١) مُتَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٥٩٤٠)، ومسلم (٢١٢٤)، كلاهما في اللباس، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٥)، عن ابن مسعود.

عادي وغير طبيعي، كأن تكون بطنها كبرت وأصبحت عائقًا لها في حياتها الزوجية وحياتها العملية؛ فلا مانع أن تعمل عمل تجميل لتزيل هذه الدهون أو نحو ذلك، أمّا المبالغات التي تصنعها الممثلات والمطربات وأمثالهن لتجملن تجميلًا باطلًا فهذا لا يجوز، وهو نوع من التزوير، ولذلك سماه النبي ﷺ زورًا<sup>(١)</sup>، لأنّه غش وخداع.

### مراعاة الزوجة حال زوجها:

ومن واجب المرأة أن تصبر على زوجها إذا أصابه شيء من العسر، فالحياة سجال، والدهر قُلْبٌ يوم لك ويوم عليك، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، والناس تعتورهم حالات، لا يملكون لها دفعًا: عسر ويسر، وغنى وفقر، وسراء وضراء، ونعماء وبأساء، فعلى المرأة التي رأت السراء في حياة زوجها: أن تصبر معه على الضراء، وألا تكلفه ما لا يطيق، وأن تقف معه في الشدة كما كانت معه في الرخاء!

إننا نعيب بعض الأزواج الذي يأكل زوجته لحمًا ويرميها عظمًا، ونعيب أيضًا بعض الزوجات التي تستمتع بزوجها أيام النعمة والرخاء واليسر؛ ولكنها لا تطيق معه صبرًا أيام الشدة والعسر، الزوجة الصالحة حقًا والأصيلة حقًا هي التي تصبر على معاناة زوجها، ولا تكلفه ما فوق طاقته.

بعض الزوجات يطلبن من أزواجهن ما لا يستطيعون، وخصوصًا في عصرنا الذي أصبحت فيه المباهاة بين النساء بعضهن وبعض أمرًا شائعًا،

(١) إشارة إلى حديث معاوية المتفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٨)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٢٧).



أصبحت طلبات النساء كثيرة: الأزياء، والمجوهرات، وأدوات الزينة وغير ذلك، هناك أشياء لا لزوم لها، هناك كثير من النساء عندهن خزانات مليئة بالثياب والفساتين، والقمصان ونحوها؛ وقد تمر السنوات ولا تلبس منها شيئاً، لِمَ هذا كله؟ لِمَ هذا الإسراف والتبذير من المرأة المسلمة؟ قد يجوز ذلك للمرأة الغنية وخصوصاً إذا كانت تشتري من مالها، أمّا أن تحاول المرأة الأخرى أن تقلدها في ذلك، وأن تكون مثل فلانة زوجة فلان الثري والغني فهذا هو الخطر!

### حال النبي وأزواجه:

وقد حاول ذلك نساء النبي ﷺ في أعظم البيئات وأطهرها، في بيت النبوة حدث شيء مثل هذا، بعد أن ارتفعت كلمة الإسلام، وعلت راية الإيمان في الجزيرة العربية وأصبح النبي ﷺ سيّد الجزيرة: بدأ نساؤه يشتكين من عُسر النفقة، وأن حياتهن حياة شظف.

كان النبي ﷺ يشد الحجر على بطنه من الجوع<sup>(١)</sup>، وكان كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن كان ليمر الهلال ثمّ الهلال ثمّ الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين، وما يُوقد في أبيات رسول الله نار. قال لها ابن أختها عروة: فعلام كنتم تعيشون يا خالة؟ قالت: يا ابن أختي، إنّما هما الأسودان التمر والماء<sup>(٢)</sup>. سمي الماء أسود لأنّه كان من مياه الآبار؛ والماء يتلون بشكل المكان الذي هو فيه، والآبار عميقة فيرى الماء أسود.

(١) عن جابر قال: لما كان يوم الخندق نظرت إلى رسول الله ﷺ، فوجدته قد وضع حجراً بينه وبين إزاره، يقيم به صلبه من الجوع. رواه أبو يعلى (٢٠٠٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٤٧): رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا على ضعف في إسماعيل بن عبد الملك.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٦٧)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٢).



وكان فراشه ﷺ من آدم حشوه ليف<sup>(١)</sup>، جلد محشو بليف النخيل، وكان ينام على الحصير أو على الأرض، ودخل عليه عمر رضي الله عنه فوجد الحصير يؤثر في جنبه فقال: يا رسول الله، كسرى وقيصر ينامان على الديباج والإستبرق، وأنت تنام على الحصير حتى يؤثر في جنبك؟! قال: «يا عمر، ما لي وللدنيا، إن مثلي ومثل الدنيا؛ كمثل راكب في يوم صائف قال - أي قضى وقت القيلولة - تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها»<sup>(٢)</sup>.

كان النبي ﷺ يعيش هذه الحياة، ولكن نساءه سئمن هذه الحياة فقلن: يا رسول الله، ألا توسع علينا، نساء كسرى وقيصر يعشن في كذا وكذا، ونحن نعيش هذه العيشة! طالبن أن تُغيّر حياتهن، زينة ومتعة ونفقة واسعة، فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن هجرهن النبي ﷺ، ثم نزلت آيات التخيير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا \* وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]. فكلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة؛ على ما بالحياة من شظف وتقشف، ولكنهن آثرن الله، وآثرن رسوله، وآثرن الدار الآخرة، ولهذا كان لهن الفضل العظيم، أصبحن أمهات المؤمنين، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهِنَّ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٨٢)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٢٧٤٤)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. وابن حبان في التاريخ (٦٣٥٢)، والحاكم

في الرقاق (٣٠٩/٤)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

## التعاون بين الزوجين:

لا بد للزوجة أن تعاون زوجها، وأن تصبر عليه، كما أنه مأمور أن يصبر عليها، الله تعالى قال للأزواج: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. هذا يُقال للمرأة أيضًا: عاشري زوجك بالمعروف، فإن كرهته فعسى أن تكرهه شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا.

وكما قيل للرجل: «لا يفرك مؤمن مؤمنة - لا يبغضها ولا يكرهها - إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»<sup>(١)</sup>. هكذا يقال للمرأة أيضًا: إن كرهت من الرجل شيئًا ترضين منه آخر؛ ما دام من أهل الإيمان. لأن الله لا يمكن أن يخلق إنسانًا كله عيوب، هناك عيوب وهناك مزايا، هناك سيئات وهناك حسنات، فعلى الإنسان أن يرعى هذا ويرعى هذا، وينظر إلى هذا وينظر إلى هذا، حتى تكون نظره عادلة.

هذا هو الذي ينبغي على المرأة، وكما ذكرنا من قبل قول سيّدنا عمر: إذا كانت إحداكن لا تحب زوجها فلا تخبره بذلك؛ فإن أقل البيوت ما بُني على الحب، وإنما يتعاشر الناس بالشرف والإسلام، وبالخلق والدين<sup>(٢)</sup>.

ليس كل زوج وزوجته قيسًا وليلي، لا، كثير من الناس يتزوج زواجًا عاديًا ويعيش عيشة هادئة، فيها مودة وفيها محبة؛ غير محبة العشق، محبة العشرة هي التي تدوم، وأقل البيوت ما بُني على الحب، حتى إن

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأحمد (٨٣٦٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (١٧٨)، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، نشر مكتبة السوادى للتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.



الإسلام أجاز للرجل في هذه الحالة أن يكذب لمصلحة الحياة الزوجية، الحياة الزوجية حياة مقدسة؛ فلا ينبغي أن نسارع في هدمها بأدنى سبب، وإنّما نحافظ عليها، تلك بعض الصفات المهمة للزوجة الصالحة، ولعل لنا عودة إلى هذا الموضوع مرة أخرى إن شاء الله.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن ينير بصائرنا، وأن يهدينا سواء السبيل.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*





## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### أحوال العراق في ظل الحصار:

منذ أكثر من خمس سنوات وإخواننا في العراق يعانون حصارًا مريعًا، هذا الحصار الذي ضُرب عليهم جعل الشعب يعيش حياة معاناة، لا يجد فيها مقومات الحياة العادية، غلت الأسعار، ورخص الدينار، أصبح الدولار بأكثر من ألفين وخمسمائة دينار، وراتب الإنسان هناك ما بين ثلاثة آلاف وستة آلاف دينار، وثمان الدجاجة ثلاثة آلاف دينار، براتب الرجل كله أو بنصفه إن كان من كبار الموظفين، ولهذا حذف الناس اللحوم من حياتهم، ما عادوا يأكلون اللحوم لأنّها فوق طاقتهم.

أصبح الناس يبيعون أثاث بيوتهم، يبيعون الستائر ويلصقون الورق على زجاج النوافذ، ويخلعون الأبواب الداخلية من بيوتهم ويبيعونها ليجدوا لقمة العيش، بل ظهر الفساد هناك لأن الجوع لا يرحم، وصراخ المعدة أعلى صوتًا من نداء الضمير، ولذلك اضطر بعض النساء هناك أن يبعن شرفهن، وخصوصًا إذا كانت المرأة أرملة وعندها أطفال كيف تطعمهم؟ ومن أين لها طعامهم؟ بل قال لي بعض الإخوة: إن بعض العائلات باعت أولادها. هذا ما يحدث!

وهناك الآلاف ومئات الآلاف يموتون سنويًا من سوء التغذية، ومن الأمراض القاتلة، التي لا تجد لها دواء، الناس يذهبون إلى المستشفيات ولا يجدون الدواء، يحتاج الناس للجراحة فلا يستطيعون أن يقوموا بالجراحة؛ لأنّها تستلزم مواد التخدير وخيوطًا طبية؛ ولا يوجد شيء من

هذا! الموت في العراق في هذه السنوات أصبح خمسة أضعاف الموت في السنوات السابقة؛ وخصوصًا بين الأطفال الصغار الذين لا يجدون الحليب، ولا يجدون الطعام الذي يغذيهم.

تنتشر الأمراض؛ فتهلك الناس آلافًا آلافًا، الآن في شمال العراق في المنطقة الكردية انتشر وباء الكوليرا، وهناك حوالي سبعة آلاف وأربعمائة شخص في المستشفيات، ولا يجدون ما يعالجهم، ولا يجدون المصل الواقي لبقية الناس من الملايين الأخرى. والأطباء يقولون: إن وباء الكوليرا لا يظهر عادة إلا في الصيف، فإذا ظهر في الشتاء دل على أن الأمر مستحكم، وإذا بقي إلى الصيف فإنه يهلك الناس إهلاكًا عامًا. الناس يحتاجون إلى المصل فلا يجدونه!

هؤلاء إخوتنا: آباؤنا وأمهاتنا، وإخواننا وأخواتنا، وأبنائنا وبناتنا، ليس العراق صدام حسين، لا، سيذهب صدام اليوم أو غدًا، ولكن يبقى العراق، العراق جزء منا، أنفك منك وإن كان أجده، مهما حدث من العراق في حرب الخليج، أتظل حرب الخليج تحكمنا أبد الدهر، ألا نتحرر من هذه العقدة؟ «المسلم أخو المسلم»<sup>(١)</sup>، «والله في عون العبد؛ ما دام العبد في عون أخيه»<sup>(٢)</sup>، و«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»<sup>(٣)</sup>، كيف نسكت على ما يصيب إخواننا هؤلاء؟ وإلى متى يظل هذا الحصار؟!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في الذكر (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن

النعمان بن بشير.



الأمم المتحدة تعاقب الشعب العراقي، وما أظن أنه تعاقبه من أجل الكويت، لا، الأمر ليس أمر الكويت، إنها تعاقبه لأمر آخر؛ لأنه ضرب إسرائيل بالصواريخ، ولأن قوة العراق كانت قوة للأمة العربية، وهم الذين أغروا حاكم العراق بهذا الغزو، هم الذين حرّضوه، وفتحوا له الطريق ليقع في الفخ؛ لتُضرب الأمة وتخسر أموالها، بسبب هذا الجنون.

يا أيُّها الإخوة، لا يجوز أن نفرط في إختوتنا في العراق، العراق جزء من وطننا العربي والإسلامي؛ يجب أن يبقى سالمًا، وأن يبقى موحدًا، لا نقبل أن ينفصل بعض العراق عن بعض، كفانا تقسيمًا وتمزيقًا في عالمنا العربي، كيف نقبل أي زيادة في التقسيم والتمزيق؟!

لهذا نرفض أن ينفصل شمال العراق أو ينفصل جنوب السودان، أو ينفصل أي جزء من وطننا العربي عن الوطن الأم، يجب أن يبقى العراق، ويجب أن يُرفع الحصار عن العراق، يجب أن ينادي السياسيون: كفى هذا الشعب عقوبة، أنعاقب شعبًا من أجل حاكم؟ والله إنَّ الحكام لا ينالهم أذى من وراء هذا الحصار، الحكام حاجتهم مقضية، ومطالبهم مُجابهة، وكل ما يبغون ميسر، إنَّما تقع النكبة على الشعب المسكين، فكيف نصبر على هذا؟!

يا أيُّها الإخوة، ينبغي أن نمد أيدينا إلى إختوتنا في العراق، وخصوصًا إختوتنا الآن في شمال العراق في المنطقة الكردية، حيث يتلى الناس بهذا الوباء الجائع المدمر: وباء الكوليرا، فعلينا أن نبذل ما نستطيع لإنقاذ إخواننا وإسعافهم. والله يحب إغاثة اللهفان، ومن لا يهتم لأمر المسلمين فليس منهم، العراق منا وشعبه منا، وكما قال الشاعر العربي قديمًا:

قومي همؤ قتلوا أميم أخي      فإذا رميتُ يُصيبني سَهْمِي  
فلئن عَفَوْتُ لأَعْفُونَ جَلًّا      ولئن رَمَيْتُ لأُوْهِنَنَّ عَظْمِي<sup>(١)</sup>

فكيف نوهن عظمنا بأيدينا؟! كيف نصبر على قتل إخواننا وأبنائهم وأطفالهم أمام أعيننا ونحن ساكتون، أو غاضو الطرف عن هذا الأمر؟! لا يجوز هذا، علينا أن نبذل لإخواننا في العراق، وأن ندعو الله تعالى أن يرفع عنهم الحصار، وأن يكشف عنهم الغمة، وأن يفرج عنهم الكربة.

اللهم ارفع الحصار عن إخواننا في العراق، اللهم اكشف غمّتهم، اللهم فرّج كُربتهم، اللهم أنقذهم مما هم فيه. اللهم انصر الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصرهم على أعدائهم الظالمين، اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.

\*\*\*

(١) من شعر مسكين الدارمي، انظر: الأمثال لأبي عبيد ص ١٨١، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، نشر دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.





## صفات الزوجة الصالحة

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ما زلنا نتحدّث عن مشكلات المجتمع، ومن أهمّ هذه المشكلات: الزواج، وكيف عسّر المسلمون ما يسّره الله تبارك وتعالى، وصعّبوا في الأمر السهل، وعقّدوا ما بسّطه الشرع.

### الترغيب في الزواج:

الشرع أمر بالزواج ورغب فيه، وحثّ عليه، وجعله نعمة من النعم، وجعل المرأة الصالحة من خير متاع الدنيا، بل جعلها من أهم أسباب السعادة ومقوماتها.

والزواج - كما ذكرنا في الخطبة الماضية - وراءه مقاصد، ووراءه آثار: في النفس، وفي الأسرة، وفي المجتمع، لهذا ذهب من ذهب من علماء المسلمين إلى أنّ الزواج فرض لكلّ قادر عليه، هكذا قال الإمام ابن حزم، واستدلّ على ذلك بالحديث النبوي الذي رواه

ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»<sup>(١)</sup>. فقال: هذا الأمر للوجوب<sup>(٢)</sup>.

فكلُّ من يقدر على الزواج يجب أن يتزوج، ولكنَّ جمهور العلماء قالوا: الزواج قد يكون واجبًا، وقد يكون سنَّةً ومستحبًّا، وقد يكون حرامًا.

### متى يكون الزواج واجبًا؟

الزواج واجب وفريضة على القادر عليه، التائق إليه، الذي يخاف على نفسه أن يقع في الكبيرة والفاحشة، ويقع في العنت والمشقة الشديدة بكبت نفسه، فهذا يجب عليه أن يتزوج، ما دام قادرًا على الزواج، ومشتاقًا إليه، فعليه أن يتزوج، ويمنع نفسه من الحرام، و«ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب»، فهذا يجب عليه أن يمتنع عن الحرام، والزواج هو الوسيلة إلى ذلك، فعليه أن يتزوج.

### متى يكون الزواج مُستحبًّا؟

وهناك في أحيان كثيرة يكون الزواج سُنَّةً، إذا كان لا يخاف على نفسه الوقوع في الحرام، ولكنه يقدر أن يتزوج، فلماذا يتأخر؟ لماذا يتخلف السُنَّة بعد الأخرى وهو قادر على الزواج؟

فهذا يُسنُّ له أن يتزوج؛ لما وراء الزواج من مقاصد عظيمة.

فمن المقاصد العظيمة للزواج: تحصين النفس، وغض البصر،

(١) سبق تخريجه ص ٥٨.

(٢) المُحلى لابن حزم (٣/٩)، مسألة (١٨١٩).

وإحصان الفرج، وتكثير العشيرة، وإيجاد المودة بين الناس، وإنجاب النسل الصالح، والذرية الطيبة، وهذا من مقاصد الزواج، ولذلك يكون الزواج في حقه سنة.

### متى يكون الزواج حراماً؟

وقد يكون الزواج حراماً لدى بعض الناس، إذا كان الشخص عاجزاً عن القيام بأعباء الزواج وواجباته، سواء أكان هذا العجز عاجزاً مالياً؛ لا يستطيع أن يؤدي النفقة.. لا يستطيع أن يقوم بحق المرأة.. لا يستطيع أن يقوم بواجبات البيت، وهو راع ومسئول عن رعيته، والنبي ﷺ يقول: «كفى إثماً أن تحبس عمن تملك قوته»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه»<sup>(٣)</sup>.

إذا كان لا يستطيع أن يقوم بحق رعيته من النفقة، فهذا يحرم عليه أن يتزوج، وكذلك إذا كان عاجزاً عجزاً جنسياً، فليس الزواج نفقة ومالاً فقط، إذا كان لا يستطيع أن يقوم بحق المرأة، وأن يحرصها ويغفها، فلا يجوز له أن يتزوج، إلا إذا بين ذلك للمرأة، وعرفت ما فيه من عيب، ورضيت به على علته، هنا تتزوجه عن بينة، وتقبله على ما فيه، فلا حرج في ذلك.

وعلى المرأة كذلك أن تبين للرجل هذا الأمر، إن كان بها عيب من العيوب، أعرف رجلاً تزوج بامرأة، فلمّا دخل بها وجد بها عيباً خلقياً،

(١) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٥)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الزكاة (١٦٩٢).

(٣) سبق تخريجه ص ١٠٢.

وهي تعرف ذلك من نفسها لأنّها طيبة، ولكنّها خبّأت ذلك عنه، وغشّته وخدعته، والغشُّ ليس من الإسلام، قال النبي ﷺ: «من غشناً فليس منا»<sup>(١)</sup>.

فكان لا بدّ من الطلاق والفراق، ولا بدّ من فسخ هذا التّكاح، فلا بدّ أن يكون الزواج عن بينة، وعن مناصحة، بحيث يُبيّن كلّ منهما لصاحبه ما به من عيوب وآفات.

هذا هو شأن الزواج.

### حُسن اختيار الزوجة:

إذا أراد المسلم أن يتّجه للزواج، فعليه أن يُحسن الاختيار، أن يختار لنفسه شريكة الحياة، وربّة البيت، وأمّ الأولاد، شريكة عمره، إنّها لن تعاشره يوماً ولا يومين، ولا شهراً ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، إنّهُ العمر كلّهُ، فلا بدّ أن يفتح عينيه واسعتين قبل الزواج، لا بدّ أن يُحسن اختيار شريكة حياته.

وهنا نجد الشرع وضع أمامنا جملة صفات:

أول هذه الصفات: الخلوّ من العيوب المانعة.. ألا يكون بها عيب من هذه العيوب.

### وثاني هذه الصفات: الدين:

أن تكون ذات دين، أن تخشى الله تعالى وتراقبه، قبل أن تخشى زوجها، أو تراقب النَّاس، تراقب الله ﷻ.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، وأحمد (٧٢٩٢)، عن أبي هريرة.

فهذه هي المرأة التي تؤتمن على الزوج إذا غاب، وعلى الأولاد إذا رزقت بأولاد، وعلى مال زوجها إذا كان ذا مال.

هذه المرأة هي التي تسرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، وتحفظه إذا غاب، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

ويقول النبي ﷺ: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»<sup>(١)</sup>.

اظفر بذات الدين، اجعل محورك الأول هو الدين، فإياك أن يغررك المال، أو يخدعك الجمال، أو تغريك المظاهر، وتنسى دين المرأة.

إذا كانت المرأة غير دينة فلا أمان لها، لا يمكن أن تأمنها، لا حاضراً ولا غائباً، فابحث عن ذات الدين، «اظفر بذات الدين تربت يداك»، ابحث عن المرأة الصالحة، كما قال النبي ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»<sup>(٢)</sup>، فهي التي تؤتمن على الرجل، وعلى العرض، وعلى المال، وعلى الولد.

### وثالث صفات هذه المرأة: أن تكون ذات خلق:

أي: أن تكون حسنة الطباع، مهذبة الأخلاق، ودوداً تتودد إلى زوجها، وتتحبب إليه، لا تستكبر عليه، ولا تترفع عليه، ولا تزعم أنها أرقى منه منزلة، أو أزكى منه نسباً، أو أعلى منه جاهاً...

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

لا، لا بدّ أن تكون امرأة كريمة، ولذلك في حديث آخر أنّه ﷺ قال: «فخذ ذات الدين والخُلُق تربت يمينك»<sup>(١)</sup>.

الدين والخُلُق.. أن تتحلّى بمكارم الأخلاق، وقال ﷺ: «تزوّجوا الوُدود الوُلود»<sup>(٢)</sup>. فهذا الوُد يدلُّ على كرم أخلاقها، وحُسن طباعها، ولطيف مُعاشرتها.

### ثمّ هناك صفة رابعة: أن تكون من منبَتٍ طيّب:

من أسرة طيّبة، من بيت كريم، وقد جاء في الحديث: «تخيّروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم»<sup>(٣)</sup>، كما يقول النَّاس: «العرق يمدُّ لسابع جدٍّ»؛ فالولد يرث من أجداده وجدّاته، من ناحية الأب، ومن ناحية الأمّ: الذكاء والغباء يورث، والصفات النفسيّة والعقليّة تورث، فاحرص أن يرث أولادك الخير، ولا يرثوا الشرّ، أن يرثوا الفضيلة، ولا يرثوا الرذيلة، أن يرثوا الذكاء، ولا يرثوا الغباء.

### تخيروا لنطفكم:

وقد حذر السلف رضوان الله تعالى عليهم من خضراء الدّمن، وخضراء الدّمن: الحشيش الأخضر الذي ينبت في المزابل والأماكن القذرة، منظره حسن، ولكن رائحته كريهة، ولذلك قالوا: إياكم وخضراء الدّمن: المرأة الحسناء في المنبت السوء. فاحذر من ذلك، وحاول أن تختار البيت الكريم، والأصل الطيّب، والأسرة الطيّبة.

(١) سبق تخريجه ص ١٤٦.

(٢) رواه أحمد (١٢٦١٣)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وسعيد بن منصور في الوصايا (٤٩٠)، وصحّحه ابن حجر في فتح الباري (١١١/٩)، عن أنس.

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والدارقطني (٣٧٨٨)، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٠٢)، عن عائشة.



وليس الأصل الطيب بالغنى والمال.

لا.. قد يكون الأصل ذا مال كثير، وذا غنى، ولكن الأخلاق والطباع رديئة وسيئة.

الأصل الطيب هو الذي يربي أولاده وبناته على الفضائل، ويجنبهم الرذائل، ويعودهم منذ نعومة الأظفار مكارم الأخلاق.

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودُه أبوه  
وما دان الفتى بحبًّا ولكن يعوده التدوين أقربوه<sup>(١)</sup>  
لا بدّ للمسلم أن يُحسن الاختيار، من البيت الطيب، والمنبت الطيب.

**وهناك - أيضًا - صفة خامسة: وهي أن تكون بكرًا:**

ابحث عن البكر، وخصوصًا إذا كنت تتزوج أول مرة، ولهذا قال النبي ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: «بكرًا أم ثيبًا؟». قلت: بل ثيبًا.

قال: «فهلّا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضحكها وتضحك!».

قال: فقلت له: إنّ عبد الله هلك، وترك بنات، وإنّي كرهت أن أجيئن بمثلهنّ، فتزوجت امرأة تقوم عليهنّ وتصلحنّ<sup>(٢)</sup>.

وفي بعض الروايات أنّ النبي ﷺ قال: «فهلّا بكرًا تعضّها وتعضّك»<sup>(٣)</sup>.

(١) من شعر أبي العلاء المعري، كما في اللزوميات (٤١٣/٢)، تحقيق أمين الخانجي، نشر مكتبة الخانجي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النفقات (٥٣٦٧)، ومسلم في الرضاع (٧١٥).

(٣) رواه الطبراني (١٤٩/١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٤٧): رواه الطبراني عن الربيع بن كعب بن عجرة عن أبيه، ولم أجد من ترجم الربيع، وبقية رجاله ثقات، وفي =



لقد مات عبد الله، والد جابر، وترك لجابر أخوات صغيرات، ترك له تسع أخوات، فأراد جابر أن يتزوج امرأة تكون لهنّ بمثابة الأمّ، لا يريد أن يتزوج طفلة صغيرة مثلهنّ، إنّما أراد أن يتزوج ثيبًا مُجَرَّبَةً، تستطيع أن تُشرف عليهنّ، فهو ضحّى بنفسه، ولم يتزوج بكرًا من أجل أخواته.

وهذا شأن الرجال الفضلاء، بعض الإخوة يُؤخّر زواجه من أجل أخواته البنات الصغيرات، إلى الثلاثين، وما بعد الثلاثين، فهو مشكورٌ ومأجورٌ ومعدورٌ، أمّا إذا لم يكن عند الإنسان هدف مُعيّن، فليبحث عن البكر.

**كذلك هناك صفة سادسة، ينبغي أن يبحث عنها: وهي أن تكون ولودًا:**

كما قال النبي ﷺ: «تزوجوا الودود الولود؛ فإنّي مُكاثِرٌ بكم الأمم يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

سيكاثرون ويفخر النبي ﷺ بنا الأمم يوم القيامة، أمّة محمّد ﷺ، أمّة التوحيد كثرت وفاقت الأمم عددًا، فهي فائقة في المعنى، وفائقة في الكيف، وفائقة في الكمّ - أيضًا، تزوجوا الودود الولود، أي: التي ليست عقيمًا.

### الفحص الطبي قبل الزواج:

وهذا يُعرف بالنظر إلى قريباتها، فأخواتها ينجبن، أو عمّاتها، أو خالاتها.. وهكذا، وفي عصرنا يمكن أن يُعرف هذا بالفحص الطبي قبل الزواج، وهذا أمر معلوم الآن، والشرع لا يمانع من ذلك، بل قد يوجب ذلك إيجابًا إذا كان وراءه مصلحة.

= بعضهم ضعف، وقد وثّقهم ابن حبان. وضعّفه الألباني في الضعيفة (١٦٢٩)، عن كعب بن عجرة.

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٢.



قد تكون هناك عيوب مَرَضِيَّة وراثيَّة، تَحُول بين الزوج وبين الاستمتاع بهذه الزوجة، فعليه أن يعرف أنَّ زوجته مصابة بمرض كذا، وعلى الزوجة أن تعرف أنَّ هذا الرجل الخاطب مصاب بمرض كذا، إذا قبل كلُّ منهما أن يقترن بصاحبه على ما به، فهو وما اختار لنفسه.

قد يكون هناك رجل مناسب لامرأة، وليس مناسبًا لأخرى، قد يكون عند المرأة عيب معيَّن بالنسبة لهذا الرجل، لهذه الفصيلة من الدم، ولكن لفصيلة أخرى تكون مناسبة، فتكون مناسبة لفلان وليست مناسبة لفلان، فلا مانع إذن أن نأخذ بالفحص الطبيِّ قبل الزواج؛ لنعرف الأمراض الوراثيَّة، والآفات التي تَعُوق الشعور بالسعادة من الزواج، لا حرج في ذلك، بل هذا واجب - في الحقيقة - إذا تدبَّرنا الأمر وتبيَّناه في ضوء مقاصد الشرع الحميد.

### وهناك صفة سابعة: وهي الجمال:

أن تكون المرأة على قدر من الجمال، بحيث يقتنع بها الرجل، بحيث تسرُّه إذا نظر إليها. ليس من الضروري أن تكون ملكة من ملكات الجمال، فهذا الجمال الباهر الفاتن لا يتوفَّر دائماً، وقد يكون نقمة على صاحبه؛ يسيء بها الظنَّ، ويشك فيها لأدنى شيء، إنَّما الجمال الوسط المعقول، الَّذي يقتنع به الشخص.

### النَّاس متفاوتون في نظرهم للجمال:

والجمال أمر ذاتي، وأمر نسبي؛ قد تكون المرأة جميلة عندك، وليست جميلة عند صاحبك.

النَّاس متفاوتون في هذه النظرة، والشعوب تتفاوت؛ قد يرى بعض

النَّاسُ أَنَّ الْمَرْأَةَ السَّمْرَاءَ لَيْسَتْ جَمِيلَةً، وَلَكِنَّ آخَرُونَ لَا يَرُونَ السُّمْرَةَ عَيْبًا، وَبَعْضُ النَّاسِ يَعْجَبُ بِالْمَرْأَةِ الشَّقْرَاءِ، أَوْ خَضِرَاءِ الْعَيْنِينَ، أَوْ زُرْقَاءِ الْعَيْنِينَ، وَآخَرُونَ لَا يَرُونَ ذَلِكَ.

وهذه النظرة المتفاوتة للجمال من رحمة الله بالنَّاسِ، حيث جعل أمر الجمال أمرًا غير حَدِّيٍّ؛ أمرًا متفاوتًا، يتفاوت فيه البشر جميعًا، ولولا اختلاف الأنظار لبارت السلع، كما يقولون، فهذا من رحمة الله ﷺ بخلقه.

المهمُّ أن يكون الرجل الخاطب مقتنعًا بهذا القدر من جمال المرأة التي يريد أن يتزوَّجها، كما جاء في الحديث، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟

قال: «لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً تَعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ»<sup>(١)</sup>.

فهذه هي المرأة الصالحة، التي تسرُّ زوجها إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، وتحفظه إذا غاب عنها، سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟

قال: «الَّتِي تُسِرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تَخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»<sup>(٢)</sup>.

فهذا هو المطلوب في المرأة التي يختارها الإنسان المسلم لنفسه.

(١) رواه أحمد (٢٢٤٣٧)، وقال مخرَّجوه: حسن لغيره. والترمذي في التفسير (٣٠٩٤)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في النِّكَاح (١٨٥٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٥٠٥)، عن ثوبان.

(٢) رواه أحمد (٧٤٢١)، وقال مخرَّجوه: إسناده قوي. والنَّسَائِي (٣٢٣١)، والحاكم (١٦١/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في النِّكَاح، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٨٣٨)، عن أبي هريرة.



### اختيار الإنسان الصّالح:

وإذا كان على المسلم أن يُحسن الاختيار لمن يتزوّجها، لمن تكون شريكة حياته، فعلى المسلمة - أيضًا - أن تختار، وعلى وليّها أن يُحسن الاختيار لها، لا بدّ أن يختار لابنته ولمولّيته الزوج الصّالح، الذي يصون عرضها، ويحفظ شرفها، ولا يُسيء إليها، ولا يؤذّيها في معاملة، إن عاشرها عاشرها بمعروف، وإن فارقتها فارقتها بمعروف.

هذا هو الإنسان الصّالح، الذي جاء فيه الحديث: «إذا أتاكم من ترضون خلّقه ودينه فزوّجوه، إلّا تفعلوا تَكُنْ فتنة في الأرض وفساد عريض»<sup>(١)</sup>.

### أن يكون ذا دينٍ وخلُق:

الدين والخلُق.. ليكن هذا المحور الأساسي، كما قلنا: الدين والخلُق المحور الأساسي في اختيار المرأة؛ فالدين والخلُق - أيضًا - هما المحور الأساسي في اختيار الرجل، في اختيار شريك ابنته، شريك العمر، إيّاك أن يغرّك المال، وتخدعك المظاهر والأسماء والألقاب، وتزوّج ابنتك ممّن لا دين له، ممّن يشرب الخمر، ويمارس الفجور، ولا يعرف لله حقّاً؛ فالذي يخون الله ولا يؤدّي حقّه، جدير أن يخون زوجته ولا يؤدّي حقّها.

للأسف كثير من الناس لا يبالي، يعلم أحدهم أن خاطب ابنته من شرّاب الخمر، ورّواد الفجور، ولا يبالي، ولكن يقول: كلُّ الناس هكذا.

لا، ليس كلُّ الناس هكذا.

(١) سبق تخريجه ص ٩٦.

### معيار الاختيار عند السلف:

كان السلف - رضوان الله تعالى عليهم - إذا تقدّم لأحدهم من يخطب ابنته يسأل عنه، وأوّل ما يسأل، يسأل عن دينه، وأوّل ما يسأل عن دينه، يسأل عن صلاته: أيؤدّي الصلوات في أوقاتها؟ أيؤدّيها في المسجد؟ أيشهد النّاس له بالإيمان؟ هل عرف عنه أحد منكراً؟ هل رآه على منكر في ليل أو نهار؟ إذا شهد النّاس له بالخير، فالسنة الخلق أقلام الحقّ، والنّاس شهداء الله في الأرض، هنالك يُقبل عليه.

ينبغي أن تختار لابنتك الإنسان الصالح؛ سئل الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال له رجل: إن عندي ابنة لي وقد خُطبت إليّ فمن أزوجها؟

فقال: إذا زوّجت ابنتك، فزوّجها ذا دين، إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها<sup>(١)</sup>.

لماذا لم يظلمها؟

لأنّه يخاف الله فيها، حتّى عند الكراهية يتّقي الله فيها، الله تعالى يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

هذا هو الذي ينبغي. ابحث عن الرجل الطيّب، عن الإنسان الصالح. كثيراً ما تأتيني رسائل، وكثيراً ما تلاحقني هواتف، تقول: تقدّم شاب صالح إلى أسرة ولكنهم رفضوه، رفضوه لأنّ منزلة أسرته أقل من منزلتهم، أو رفضوه لأنّ لونه أسمر، ورفضوه لأنّه كذا وكذا.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العيال (١٢٥)، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف، نشر دار القلم، الرياض، ط ١، ١٩٩٠م.



### قصة زواج سالم مولى أبي حذيفة:

الصَّلاح هو أهُمُّ شيءٍ، خذ الرجل الصَّالح لابنتك، اخطب لابنتك الرجل الصَّالح، كما كان السَّلف يفعلون، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من قمم قریش، من بني عبد شمس، من بني عبد مناف، زوّج ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة من سالم مولاه<sup>(١)</sup>.

سالم هذا كان مولى لامرأة من الأنصار، كان عبداً وأعتقته هذه المرأة، ثمّ تبّناه أبو حذيفة، وأصبح كأنّه واحد من أولاده، إلى أن حرّم الله التَّبني، فزوّج سالمًا من ابنة أخيه، وهو مولى، ولكن من هو سالم؟ هو الَّذي تُضرب به الأمثال، سالم قارئ القرآن، سالم أحد العلماء، سالم الَّذي وقف يوم اليمامة وقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُوتيت من قبلي<sup>(٢)</sup>. سالم هو الَّذي قال فيه عمر بن الخطّاب: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا لاستخلفته<sup>(٣)</sup>.

انظروا كيف زوّج أبو حذيفة سالمًا مولاه من ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة.

هكذا كان الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم، ما كانوا يجدون غضاضة في مثل هذا الأمر.

وذهب بلال بن رباح ومعه أخ له من الصَّحابة، اسمه: أبو رويحة، أخى بينهما رسول الله ﷺ، فنزل دارًا في خولان، فأقبل هو وأخوه إلى قوم من خولان، فقال: قد أتيناكم خاطبين، وقد كنّا كافرين فهدانا

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٠٠٠)، عن عائشة.

(٢) تاريخ الطبري (٢٨٨/٣).

(٣) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٧/٤).

الله وَحْدَكَ ، ومملوكين فأعتقنا الله وَحْدَكَ ، وفقيرين فأغنانا الله ، فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إِلَّا بالله. قال: فزوجوهما<sup>(١)</sup>.

هكذا كان الصَّحابة - رضوان الله تعالى عليهم، وكذلك كان التابعون.

### زَوْج ابنته أحد تلاميذه:

سعيد بن المُسيَّب سيّد التابعين وفقههم، أحد الفقهاء السبعة، وأفضل التابعين في رأي الإمام أحمد بن حنبل، من أبناء قريش، وزوج ابنة أبي هُرَيْرَةَ الصحابيِّ الجليل، خطب إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ابنته لابنه وليّ العهد الوليد بن عبد الملك فرفض أن يزوجه، وأوذي في سبيل ذلك، لم يرضَ أن يزوّج ابنته من لا يرضى عن دينه، ثمّ زوّجها لكثير بن المطلب بن أبي وداعة أحد طلابه الذين يطلبون العلم عنده.

ابن أبي وداعة كان طالبًا للعلم عند سعيد بن المُسيَّب، وماتت امرأته، فلمّا علم أنّه عاش بلا امرأة، قال له: أزوّجك ابنتي.

فقال له: ليس عندي شيء.

قال: زوّجتكها بدرهم.

وذهب ابن أبي وداعة إلى بيته، وما هي إِلَّا ساعات، حتّى وجد بالليل من يطرق عليه الباب، قال: من؟

قال: سعيد.

(١) رواه أبو نُعيم في معرفة الصَّحابة (٢٤٣٦)، عن أبي الدرداء. تحقيق عادل بن يوسف العزاوي، نشر دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



قال: فخطر ببالي كلُّ سعيد في الدنيا، إلَّا سعيد بن المُسيَّب؛ فإنَّه لم يُر أربعين سنة إلَّا بين بيته والمسجد ففتحتُ الباب، فإذا هو سعيد بن المُسيَّب، وإذا ابنته معه، وقال: هذه هي عروسك قد جئتُ بها إليك.

وليس في بيت ابن أبي وداعة شيء، فجعل ينادي على الجيران: يا أبا فلان، ويا أمَّ فلان، إنَّ سعيد بن المُسيَّب زوّجني ابنته، وليس عندي شيء، فهذا يأتيه بالتمر، وهذا يأتيه باللبن، وهذا يأتيه باللحم، وهذا يأتيه بكذا، وهذا يأتيه بكذا، وهكذا كان السلف - رضوان الله تعالى عليهم<sup>(١)</sup>.

### دعوا التشديد وعودوا إلى التيسير:

علينا - أيُّها الإخوة - أن نعود لهذه البساطة، لا نعقد الأمور، ينبغي أن نيسر على أبنائنا وبناتنا، إنَّ ما فعله اليوم من أمور لا يرضاها الله، ولا يرضاها رسوله، نكلّف أنفسنا تكاليف مُرهقة، يتكلّف النَّاسُ آلافًا وآلافًا، ما لنا بها من حاجة، والفقير يقلد الغني، والضعيف يقلد القوي، لم هذا كله؟!!

كان النَّاسُ في السابق يعقدون العقود، ويُقيمون ولائم الزواج في بيوتهم، أصبحوا الآن يقيمونها في الفنادق، تكاليف جديدة، كان النَّاسُ يرضون بالتيسير في تأثيث البيوت، أصبح الآن لا بدَّ من الأثاث الفاخر. كان النَّاسُ يغتُون لأنفسهم، نساء الحي يغني بعضهنَّ لبعض، أصبحوا الآن يأتون بالفرق من الخارج.

حدَّثني إحدى الأخوات أنَّ أسرة كبيرة، جاءت بفرقة من الخارج، من هؤلاء الكاسيات العاريات، أو العاريات غير الكاسيات، يغنين

(١) رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء (١٦٧/٢، ١٦٨).

ويرقصن، ويرتكبن المنكرات، حتّى إنّ بعض النساء الصالحات تركن العرس وخرجن؛ احتجاجاً على هذا الأمر.

وهذه فتنة جديدة، ما كان الناس يعرفونها من قبل، وخصوصاً الأسر الصالحة، والأسر المرموقة.

### الزواج الجماعي:

ينبغي أن يُسّر في أمر الزواج.. الآن ابتكر الناس - والله الحمد - في بلاد شتّى الزواج الجماعي، يتزوّج خمسون أو مائة أو ثلاثمائة، أو ما شاء الله، في ليلة واحدة، في عرس جماعي.. التكاليف واحدة، والمدعوون من أقارب الجميع.

وقد عرفت أنّ أمير قطر حفظه الله قد وافق على إقامة عرس جماعي، خمسون في ليلة واحدة، والدولة ستساعد في تكاليف هذا العرس الجماعي، والتجار سيساعدون، والأغنياء سيساعدون؛ وذلك لنربط الناس على سنّة الله، وعلى سنّة رسوله، بدل أن يبحث الناس عن الحرام، ويمشون وراء المنكرات، يعبّون منها.

علينا أن نُسّر طريق الحلال، ونعوّق طريق الحرام؛ فالمشكلة في عصرنا أنّ طريق الحرام أصبح ميسّراً، له ألف باب وباب، وألف طريق وطريق، وطريق الحلال أصبح معسّراً، دونه ألف حجاب وحجاب، فعلى أن تُزيل هذه الحُجُب عن الحلال، ونفتّح الأبواب للحلال، ونساعد في هذا الأمر.

فجزى الله خيراً كلّ من ساهم في مثل هذه الأمور، كلّ من يسّر في أمر الزواج هو مشكور عند الله، ومحمود عند الناس.



أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَفْقَهُنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يُنِيرَ بَصَائِرَنَا، وَأَنْ يَعْلَمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

قال لي كثير من الإخوة: كنّا نتوقّع في الجمعة الماضية أن تُعلّق على الحدث الكبير الذي حدث في هذه المنطقة، وهو مقتل «رابين».

فقلتُ لهم: كان هذا متوقّعا، ولكنّي رأيتُ أن أنبّه على المؤامرة الكبرى التي تحاك للسودان الشقيق، فهذه في نظري أولى.

### نظرات في مقتل «رابين»:

أمّا «رابين» فقد ذهب ولقي مصيره المحتوم، الذي لا بدّ منه، وأفضل تعليق على مقتل «رابين»، هو ما قاله أحد الفلسطينيين، شيخ كبير من أبناء فلسطين سأله أحد المذيعين، قائلاً: ما رأيك في مقتل «رابين»؟

قال له: يا بني هذا رجل قتل، والقاتل لا بدّ أن يُقتل، وهذا رجل قتل كثيراً وكثيراً.

فقلتُ: والله إنّ هذا الرجل قد نطق بالحكمة وفصل الخطاب، وأصاب كبد الحقيقة.

القاتل يُقتل ولو بعد حين، من قتل فإنّ جزاءه القتل، الأصل أن يُقتل قصاصاً، ولكن إذا أفلت من القصاص، من عدالة الدنيا، فإنّ القدر سيقتصّ منه، ولو أفلت في الدنيا، فلن يُفلت في الآخرة، هذا رجل قتل وقتل وقتل.. خمسون سنة وهو يقتل، ويساهم في القتل، قبل قيام إسرائيل، وبعد قيام إسرائيل، في كلّ المجازر الكبرى كان له يد، وكانت له ذراع.

في مجازر «دير ياسين»، ومجازر «صبرا وشاتيلا»، في المجازر التي حدثت بعد ذلك، مجازر الانتفاضة، تكسير عظام أطفال الحجارة، هؤلاء الأشبال الذين كُسرت عظامهم، وقُتل من قُتل منهم.. مذبحة الحرم، أو مذبحة مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام، في رمضان، هذه المذبحة الشنيعة المعروفة، آخر هذه الأشياء: قتل أخينا الدكتور: «فتحي الشقاقي».

### لكل ظالم نهاية:

فهذا رجل قُتل وقُتل، فلماذا يُستغرب أن يُقتل؟

هذه سُنَّة الله في القتالين، كان السلف يقولون: إِيَّاكَ ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم؛ فإنَّهما يسريان بالليل والنَّاس نيام<sup>(١)</sup>.  
فلعل هناك يتيماً بكى، أو مظلوماً دعا، أو أمّاً فقدت وحيدها، أو أرملة فقدت زوجها وحبیبها، أو ابناً فقد أباه، أو أخاً فقد أخاه، في تلك الحروب المتصلة.

لعلَّ واحداً من هؤلاء دعا دعوة خالصة، اهتزَّت لها قوائم العرش، فانتقم الله لهؤلاء المظلومين.

الظالم لا يمكن أن يذهب بظلمه؛ النَّبِيُّ ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢]<sup>(٢)</sup>.

الله تعالى يُملي، كما قال: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]، الله يمهِّل ولا يهمل، دعاء المظلوم لا يضيع هدراً؛ حينما بعث النَّبِيُّ ﷺ

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٢١/١)، من قول أبي الدرداء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البرِّ والصَّلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

معاذ بن جبل إلى اليمن، كان في وصيته له: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»<sup>(١)</sup>.

ويقول رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يَفْطُرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»<sup>(٢)</sup>.

دَعَوَاتُ الْمَظْلُومِينَ لَمْ تَذْهَبْ سُدًى، وَلَمْ تَضَعْ هَبَاءً، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

سَهَامُ اللَّيْلِ صَائِبَةُ الْمَرَامِي إِذَا وَتَرْتُ بِأَوْتَارِ الْخُشُوعِ  
يُصَوِّبُهَا إِلَى الْمَرْمَى رِجَالٌ يُطِيلُونَ الشُّجُودَ مَعَ الرُّكُوعِ  
إِذَا أُوتِرْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ سَهْمًا فَمَا يُغْنِي التَّحْصُنُ بِالْدَّرُوعِ<sup>(٣)</sup>

### هَلَاكُ الظَّالِمِينَ نِعْمَةٌ تَدُلُّ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِ:

الظَّالِمُ لَا بَدَّ أَنْ يَلْقَى جَزَاءَهُ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَفْرَحَ النَّاسُ بِذَهَابِ الظَّالِمِينَ؛ لِأَنَّهَا نِعْمَةٌ تَدُلُّ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَقُطِّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، قَطَعَ دَابِرُ الظَّالِمِينَ دَلِيلٌ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لِهَذَا الْكَوْنِ، فَهَذَا الْكَوْنُ لَيْسَ سَائِبًا، بَلْ هُنَاكَ مَنْ يُشْرَفُ عَلَيْهِ، وَمَنْ يُنْظَمُ أَمْرُهُ، وَمَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ فِيهِ خَافِيَةٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ سِرٌّ وَلَا عِلَانِيَةٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.  
(٢) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرجه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.  
(٣) القائل هو إبراهيم الدسوقي صاحب الضريح المشهور في مصر، كما في روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين للشيخ أحمد بن محمد الوتري ص ٥٠، نشر المطبعة الخيرية، القاهرة سنة ١٣٠٦هـ.



### هالك «رابين» بأيدي قومه:

هذه نظرة أولى لهذا الموضوع، والنظرة الثانية: أنه من فضل الله تعالى علينا - نحن المسلمين - أن «رابين» لم يهلك بأيدينا، وإنما هلك بأيدي قومه، سلط الله اليهود بعضهم على بعض، وقد كان السلف - رضوان الله تعالى عليهم - يقولون: اللهم أشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين، اللهم سلط الكافرين على الكافرين، وأخرجنا من بينهم ظافرين.

فالحمد لله أن اليهود سلط بعضهم على بعض، ولأول مرة يقتل يهودي يهوديًا آخر، هذا ما نراه، وهذا الذي قتله ليس وحده، وإنما وراءه كثيرون من خريجي الكليات الدينيّة، والجامعات العبريّة، الذين يرضعون لبان هذا العنف، وهذا التطرف.

### أحلام إسرائيل:

فهم يرون أن كل أرض يدخلها الإسرائيليون تُصبح أرضاً لهم؛ فأرض الضفة الغربيّة التي يسمونها: «يهودا والسامرة» لهم، كيف يتركونها بعد أن احتلوها؟

هؤلاء ما زالوا يعيشون في أحلامهم الكبرى؛ فالأحزاب الدينيّة والجامعات اليمينيّة في إسرائيل ترى أنه لا بدّ أن يظلّ مشروع إسرائيل الكبرى قائماً، من نهر الفرات الكبير، إلى نهر النيل، كما يقولون إنّ هذا مكتوب عندهم في التوراة.

وقد حدّثني دبلوماسي مصري عارف بالأمور، أن إسرائيل حينما وقّعت على «كامب ديفيد»، وأرادوا أن يقيموا علاقات بينهم وبين مصر، حرصت إسرائيل على أن تكون سفارتها في محافظة الجيزة، وليس في



القاهرة، وبعد بحث عُرف أنَّ إسرائيل ترى أنَّ أرضها إلى الضفة الشرقية لنهر النيل، فإذا جعلت سفارتها في هذه الضفة، فكأنَّها في أرض إسرائيل، والمفروض أن تكون في أرض مصر، ولذلك حرصت على أن تكون سفارتها في الضفة الأخرى لنهر النيل، في الجيزة.

هذا هو العنف، الذي يُلقَّنه بنو إسرائيل: صغارهم وكبارهم، ولذلك كانت النتيجة هي هذه، وما زال هناك من بين بني إسرائيل أنفسهم من يفرح بقتل «رايين»، ومن ذهبوا ليولوا على قبره، ومن بصقوا عليه، إلى آخر ما ذكرته وكالات الأنباء.

### العنف ليس في بلاد المسلمين وحدهم:

والنظرة الثالثة في هذا الأمر هي: أنَّ التطرُّف والعنف ليس في بلاد المسلمين وحدهم؛ إنَّ الغرب يحاول أن يجعل العنف والتطرُّف من خصائص الإسلام والمسلمين، وإذا ذكر الإرهاب يقال: الإرهاب الإسلامي، وإذا ذكر التطرُّف يقال: التطرُّف الإسلامي، وهذا ظلم للإسلام، وظلم للأمة الإسلامية؛ فالتطرُّف في كلِّ مكان، والإرهاب في كلِّ مكان، والعنف في سائر أرض الله.

ألم تشهد أمريكا نفسها ألواناً من العنف قام بها الأمريكان السود في «لوس أنجلوس»، وألواناً من العنف قام بها الأمريكان البيض في «أوكلاهوما»؟ وأوروبا فيها عنف، وآسيا فيها عنف، والبلاد المختلفة فيها عنف.

### للعنف في بلاد المسلمين مبرراته:

ولعلَّ العنف في البلاد الإسلامية معظمه مبرَّر، والعنف في تلك البلاد ليس مبرَّراً؛ لأنَّها بلاد ديمقراطية.. تعيش في كنف الحرية،

وحقوق الإنسان فيها مرعية، ويستطيع الإنسان فيها أن يصل إلى رئيس الدولة إن أراد، وأن ينتقده بصراحة، ولا يؤخذ إلى غيابات السجون، ولا يُحاكم محاكمة عسكرية، ولا شيء من ذلك، كما يفعل في بلاد المسلمين.

فالعنف في تلك البلاد غير مبرّر، ولكنّ العنف في بلاد المسلمين له مبرراته، ومعظمها آتٍ من الخارج، من التحريض الذي يوقع بين الحكّام والشعوب، ويفسد العلاقة، ويزرع الشوك، ولذلك يقع ما يقع..

العنف ليس من طبيعة المسلمين وحدهم، العنف في العالم كلّ، والإرهاب في العالم كلّ، فلماذا يوصف المسلمون وحدهم بهذا الأمر؟ هذا ظلم للإسلام، وظلم للأمة الإسلامية.

### العنف كامن في طبيعة إسرائيل:

لقد أثبت هذا الفتى (ريجال عامير) أنّ العنف كامن في طبيعة إسرائيل، وهو فعلاً؛ فإنّ إسرائيل ما قامت من أوّل يوم إلّا على العنف، بل من قبل أن تقوم، منذ العصابات الصهيونية، التي قتلت ما قتلت، ودمّرت ما دمّرت، وسفكت ما سفكت، وانتهكت ما انتهكت، كلّ هذا قام على العنف، رأيناه وعاشناه، ولمسناه بأيدينا، وأبصرناه بأعيننا.

فهذا العنف كامن في طبيعة إسرائيل، والتعاليم التوراتية والتلمودية تغرس هذا في العقول والنفوس، فلماذا يتّهمون المسلمين وحدهم بالعنف والإرهاب؟

وعامة المسلمين يستنكرون ذلك، جمهور المسلمين مسالمون،

لا يريدون لأحد سوءًا، ولا يُضْمرون لأحد شرًّا، إنَّما يسالمون من سالمهم، ويعادون من عاداهم، وهذا هو الإسلام، ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

### الدعاء:

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا من أرض الإسلام، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين ولبنان، وانصر إخواننا المجاهدين في البوسنة والشيستان، وانصر إخواننا المجاهدين في كشمير والسودان، وانصر إخواننا المجاهدين في الفلبين وفي كل مكان.

اللهم خذ بأيدي إخواننا المضطهدين والممتحنين، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم.

اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\* \* \*



## الزوج الصالح في الإسلام<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

منذ عِدَّةَ جَمْعٍ تَحَدَّثْنَا عَنِ الزَّوْجِ الصَّالِحِ، الزَّوْجِ السَّعِيدِ، هَذَا الزَّوْجِ الَّذِي يُبْنَى عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، وَيَقُومُ عَلَى أَسْسِ إِسْلَامِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، تَرَاعِي تَعَالِيمَ هَذَا الدِّينِ مِنْذُ التَّفَكِيرِ فِي الزَّوْجِ، قَبْلَ أَنْ يَخْطُبَ الرَّجُلُ، وَبَعْدَ أَنْ يَخْطُبَ لَا بَدَّ أَنْ يَتَحَرَّى مَنْ يَخْتَارَهَا لِتَكُونَ زَوْجَةً، وَلَا بَدَّ أَنْ تَتَحَرَّى الْمَرْأَةُ مَنْ تَخْتَارَهُ وَتَوَافِقَ عَلَيْهِ لِيَكُونَ زَوْجًا لَهَا، وَمَنْ يَخْتَارَهُ لَهَا أَهْلَهَا لِيَسَاعِدُوهَا عَلَى حَسَنِ الْاخْتِيَارِ.

وَالْيَوْمَ نَتَحَدَّثُ عَنِ الزَّوْجِ الصَّالِحِ، أَوِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، كَثِيرًا مَا تَحَدَّثْنَا عَنِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، مَنْ أُوتِيَهَا فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالَّتِي اعْتَبَرَهَا بَعْضُهُمْ هِيَ حَسَنَةُ الدُّنْيَا، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، قَالَ بَعْضُهُمْ: حَسَنَةُ الدُّنْيَا هِيَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ. وَاعْتَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عُنَاوِرِ السَّعَادَةِ، وَأَرْكَانِ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ: الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ<sup>(٢)</sup>.

(١) أَلْقَيْتُ بِمَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٩ يُونِيُو ٢٠٠٠مُ الْمَوْافِقِ ٧ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٢١هـ.

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٤٤٥)، وَقَالَ مَخْرَجُوه: صَحِيحٌ. وَالتَّيَالِسِيُّ (٢٠٧)، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ.

## الزوج الصالح:

وكما أنَّ الزوجة الصالحة مطلوبة للرجل، فإنَّ الزوج الصالح مطلوب للمرأة، فمن هو الزوج الصالح الذي يجب أن يبحث عن الناس والأهل، وتبحث عنه النساء والفتيات؟

الزوج الصالح هو ذلك الذي ذكره الحديث، الذي يُرضى دينه وخلقه، كما قال النبي ﷺ: «إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُجُوهُ؛ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِضٌ»<sup>(١)</sup>. لا بدَّ من الدين والخلق.

والمقصود بالدين: المحافظة على أوامر الله، واجتناب نواهيه، أن يقيم الصلوات، ويحافظ عليها، ويؤدي الزكاة، ويصوم رمضان، ويؤدي الفرائض، ويجتنب المحرمات، فإذا ارتقى اجتنب المكروهات، فإذا ارتقى اجتنب بعض الحلال حتَّى لا يقع في الحرام أو المكروه، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي: «لا يبلغُ عَبْدٌ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ»<sup>(٢)</sup>.

ثم لا بدَّ أن يكون حسن الخلق، لا يكفي أن يكون مصلّيًا صائمًا ذاكراً مسبّحًا تاليًا للقرآن، ولكنّه إنسان سيّئ الخلق، سيّئ المعشر، غليظ الطبع، جاف، عُتْلٍ، قاسٍ، هذا الإنسان لا خير فيه، وإن صلّى وصام، لا يصلح أن يكون زوجًا صالحًا.

(١) سبق تخريجه ص ٩٦.

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢١٥)، والحاكم في الرقائق (٣١٩/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وقال ابن رجب في فتح الباري (١٦/١): في إسناده بعض المقال. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٥)، عن عطية السعدي.



## رعاية الحقوق الزوجية:

جماع الزوج الصالح أن يكون ذا دين قويم، وذا خُلُق كريم، وهذا يتمثل في رعايته لحقوق الزوجية، إذا كان ذا دينٍ وخُلُق رعى حقوق الزوجية كلها.

### ١ - إعطاء المهر:

أول هذه الحقوق أن يُؤدّي للمرأة مهرها، صداقها، لا يأكل منه شيئاً، وإلاّ أكل سحتاً، إلاّ ما تنازلت عنه بطيب نفسها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

إذا طابت نفس المرأة بإسقاط شيء من المهر أو إسقاطه كله فهذا حقّها، إذا تنازلت عنه بطيب نفس - ليس بضغطٍ من الزوج عليها - فله أن يأكله هنيئاً مريئاً، هذا حقّ خالص للزوجة، يدفع المُعجّل منه، وأمّا المؤخّر منه فيدفعه كما يُقرّه العرف.

وعرف الناس أنّ المؤخّر إنّما يُطلب في حالة الوفاة، أو حالة الطلاق، ولكن لو تغيّر عرف الناس، وطلبت المرأة حقها في المُعجّل فيجب أن يُعجّله لها، فهو خالص حقها، هذا أول حقوق المرأة.

### ٢ - النفقة بالمعروف:

ثاني حقوق المرأة النفقة عليها بالمعروف، لا يُقتّر عليها، ولا يُسرف في إعطائها كل ما تطلب، فهذا قد يفسدها، والله تعالى يقول: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].



إذا كان الزوج موسراً فينبغي أن يظهر أثر يساره على أهله، وعلى أولاده، وعلى بيته، ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، النفقة بالمعروف، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

والمعروف هو ما تعرفه الفطر السليمة، والعقول الرشيدة، ويعرفه أهل الفضل والخير من الناس، فلا ينبغي أن يكون الرجل موسر الحال، كثير المال، ومع هذا يُقْتَر على زوجته، يُعْطِيهَا مِنْ ثَقَبِ الْإِبْرَةِ، هذا لا يجوز، هذا هو البخل المذموم، والشحُّ المَطَاع المُهْلِك، وإنما ينبغي أن يري الناس أثر نعمة الله تعالى عليه، وأول ما يظهر ذلك يظهر في بيته، أن ينفق النفقة المعتدلة التي يراها الناس لائقة به، ولائقة بأهله.

والمسلم مُطَالِبٌ أَنْ يُنْفِقَ عَلَى أَهْلِهِ، ولو كانت زوجته تملك مال قارون، فالنفقة على الرجل، كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. سواء في المهر، أو في النفقة اليومية المستمرة، هذه النفقة في عنق الرجل مهما تكن امرأته ذات ثروة ومال.

إذا ساعدت الزوجة زوجها من مالها فهذا من مكارم أخلاقها، إذا كانت تعمل وتقبض راتباً، وكان عملها يقتضي منها نفقات زائدة فمن واجبها أن تساعد زوجها فيما يزيد على الزوجة العادية، بحيث لا تُكَلِّفَ زوجها شططاً، وهذا من التعاون على البر والتقوى، ومن المعاشرة بالمعروف.

### ٣ - المعاشرة بالمعروف:

وثالث الحقوق على الزوج أن يكون حسن الخلق مع زوجته، وهذا ما ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

المعاشرة بالمعروف هي التي يتجلى فيها حسن الخلق، كما قال النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وألطفهم بأهله»<sup>(١)</sup>. وقال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»<sup>(٢)</sup>.

### هديه ﷺ في معاملة أزواجه:

كان ﷺ أفضل الناس عشرة مع نسائه، كان يُطَيَّب خواطرهن، كان يستمع إلى حكاياتهن، حكى له عائشة رضي الله عنها حكاية اثنتي عشرة امرأة، وحديثهن عن أزواجهن، واستمع إلى ذلك الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما مُفَصَّلًا، المعروف باسم حديث أم زرع، وقال لها: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «إلا أنه طلقها وإنني لا أطلقك»<sup>(٤)</sup>. لأن أبا زرع في النهاية طلق امرأته.

كان ﷺ يُطَيَّب خواطر نسائه، يمازحهن، حتّى إنّه في مرّة من المرات خرج من بيته هو وعائشة، كلّ منهما يريد أن يخرج قبل الآخر، فتزاحما عند الباب، من باب الممازحة والمفاكهة، وتسابقا مرّتين: مرّة سبقته في أوّل حياتها، وكانت صغيرة السنّ خفيفة اللحم، ومرّة سبقها رغم كبر سنّه ﷺ، وقال لها ممازحًا: «هذه بتلك»<sup>(٥)</sup>. أي: صرنا متعادلين.

انظر، النبيّ محمد ﷺ، سيّد الخلق، رسول ربّ العالمين يُسابق زوجته خلف الجيش، يركضان معًا؛ مَنْ يسبق الآخر؟ هذا هو

(١) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذي في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: صحيح. عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه ص ١٦٥.

(٣) متّفق عليه: رواه البخاري في النّكاح (٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨).

(٤) هو من رواية الزبير بن بكار. كما ذكر الحافظ في فتح الباري (٢٧٥/٩).

(٥) سبق تخريجه ص ١٧١.

اللطف، هذا هو حُسن الخلق الَّذي كان يتجلَّى في حياة النبي ﷺ، وفي سيرته مع نسائه.

وحينما أرسلت إحدى زوجات النبي ﷺ بصحفة فيها طعام إلى النبي ﷺ في ليلة عائشة، صنعت طعامًا جيدًا وقالت: أهديه إلى النبي ﷺ في ليلة عائشة. لكن عائشة رضي الله عنها غارت، وأمسكت بالصحفة عند الخادم، ورمتها في الأرض فانكسرت، ووقع ما فيها، فقال النبي ﷺ: «غارت أمُّكم». وأمسك هو بالصحفة، ظلَّ يجمعها، ووضع فيها الطعام، ثمَّ أرسل إلى الزوجة الأخرى بصحفة جديدة بدل الصحفة المكسورة<sup>(١)</sup>. هكذا كان يعامل نساءه ﷺ.

وكان يُشرك نساءه في هموم الأمة، حينما نزل عليه جبريل في غار حراء، ورجع يرجف فؤاده قال لخديجة: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». وحكى لها ما جرى له، فقالت له: والله لا يَخْزِيكَ الله أبدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق<sup>(٢)</sup>. وكانت سنده في دعوته من أوَّل يوم.

وحينما قام النبي ﷺ بصلح الحديبية، وأمر الصحابة أن يتحلَّلوا من إحرامهم بعد الصلح أمرهم - ثلاث مرَّات - أن يحلقوا وينحروا بدنهم، ولكنَّهم لم يفعلوا شيئًا، عزَّ عليهم أن يأتوا مُعْتَمِرِينَ ثمَّ يتحلَّلوا، ويرجعوا بلا عمرة، فدخل النبي ﷺ إلى أمِّ سلمة يشكو إليها ما فعله الصحابة، فأشارت عليه برأي، أن يخرج من خيمته فلا يكلم أحدًا، ينحر بدنه، ويأمر حالقه فيأتي ليحلق شعره، فخرج النبي ﷺ ففعل ما أشارت

(١) رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٥)، عن أنس.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

به أم سلمة، فما كاد الناس يرون رسول الله ﷺ ينحر ويحلق حتى خرجوا جميعاً ينحرون ويحلقون<sup>(١)</sup>، هكذا كان يُشرك النبي ﷺ نساءه معه في هموم الأمة.

لكن بعض الناس ينظر إلى امرأته كأنها قطعة متاع في البيت، لا يكلمها ولا يشاورها، وبعض الناس قالوا: شاوروهن وخالفوهن. وزعموا أن ذلك حديثاً عن النبي ﷺ، وهذا لم يصح عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، بل صحَّ عكسه كما رأينا.

والله تعالى يقول في فطام الأولاد: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]. يتشاورا ويتراضيا، إذا كانت الأم مُطلقة فينبغي ألا تكايد زوجها، وتفطم الولد قبل أوانه، وينبغي للأب ألا يكايدها لأن هذا ضرر على الولد، ﴿لَا تُضَاكِرْ وَلَدَهُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فهذا ما يجب على الزوج مع زوجته، أن يلاطفها، ويحسن عشرتها.

#### ٤ - احتمال الأذى:

ولا يكفي هذا بل ينبغي على الزوج أن يحتمل أذى زوجته، يتحمل الأذى منها، ويصبر عليها، ربما كانت بعض الزوجات شديدة الانفعال، شديدة الغيرة، تتصرف بسرعة وطيّش، فينبغي ألا يكون هذا سبباً للانفصال عنها.

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١).

(٢) قال السخاوي: لم أره مرفوعاً... وقد استشار النبي ﷺ، أم سلمة كما في قصة صلح الحديبية، وصار دليلاً لجواز استشارة المرأة الفاضلة؛ لفضل أم سلمة ووفور عقلها. انظر: المقاصد الحسنة (٥٨٥)، تحقيق محمد عثمان الخشت، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. وقال الألباني في الضعيفة: لا أصل له (٤٣٠).

والله تعالى يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. لعل المرأة التي تكرهها يرزقك الله منها ذريةً سالحة، أولادًا نابهين، أبناءً نابغين، لعلها هي التي تكون عونًا لك عند الشيخوخة، عندما يهيض جناحك، ويهن عظمك، وعندما تبلغ من الكبر عتياً، لعلها هي التي تُمرّضك وتقف إلى جنبك، حين يبتعد عنك الأقربون من هنا وهناك، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

ويقول النبي ﷺ: «لا يَفْرَكُ مؤمنٌ مؤمنةً - أي: لا يبغضها - إن سخط منها خلقاً رضي منها آخر»<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أنك لا بد أن تكون منصفاً وعادلاً في تقويم زوجتك، لا تنظر إلى الجوانب الرديئة منها، وتنسى الجوانب الطيبة، لا تنظر إلى عيوبها، وتنسى مزاياها، لا تُركّز على مساوئها، وتنسى محاسنها، فكل إنسان فيه مزايا وفيه عيوب، فيه نقاط ضعف وفيه نقاط قوة؛ فلماذا تُركّز على نقاط الضعف؟ لماذا لا تذكر الجوانب الحسنة؟ ولذلك قال: «إن سخط منها خلقاً رضي منها آخر».

ويُعَلِّمنا النبي ﷺ أن نصبر على النساء بصفة عامة فيقول: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»<sup>(٢)</sup>. فهناك شيء من العوج في طبيعة المرأة، ما هذا العوج؟

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأحمد (٨٣٦٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣١)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٨) (٦٠)، عن أبي هريرة.

الغالب أنَّ المقصود به الجانب العاطفي، والجانب الانفعالي في المرأة، فهي أشد عاطفة، وأشد انفعالاً من الرجل، ذلك أنَّ الله جهَّزها بالجانب العاطفي وجعله أقوى منه في الرجل استعداداً للأُمومة، لهذه الوظيفة التي تحتاج إلى صبر طويل، لولا هذا الجانب ما استطاعت أن تصبر على متاعب الحمل، ومتاعب الوحم، ومتاعب الطلق، ومتاعب الإرضاع، ومتاعب التربية، فالله جهَّزها بهذا، وهو يجعل عندها نوعاً من العوج.

ومن هنا ينبغي أن تصبر على زوجتك، وعلى لسانها، «وإنَّ أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه»، يقصد اللسان، فينبغي ألا تؤاخذها على كل كلمة، وعلى كل ما يصدر منها، لا بدَّ أن تغضَّ الطرف، كما قال الله تعالى عن رسوله: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحریم: ٣]. هذا نوع من التسامح، من غضَّ الطرف.

الإنسان الكريم ذو الخلق يجب أن يغضَّ الطرف عن بعض ما يحدث من زوجته، فإنك إن لم تصبر على هذا الضلع كسرتة، وإذا لم تصبر على المرأة كسرتها، و«كسرها طلاقها»<sup>(١)</sup>، فهل ينبغي للإنسان كلَّما حدث له شيء يبادر بالطلاق؟ لا، لا بدَّ أن يصبر على العشرة، فلعشرة حقوقها، وكل من الزوجين يجب أن يصبر على صاحبه.

## ٥ - المعاشرة الجنسية:

هناك أيضاً من حقوق الزوجة على زوجها: المعاشرة الجنسية، والله تعالى عرض لنا في كتابه بصراحة وأدب، بعبارة كناية كما قال ابن عباس: إِنَّ اللَّهَ حَيَّ كَرِيمٌ، يُكْنِي عَمَّا شَاءَ بِمَا شَاءَ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٨) (٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦).



كما قال تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. لباس الإنسان أقرب شيء إليه، وألصق شيء به، فكلمة اللباس توحى بالقرب والالتصاق، والدفع والزينة، والستر والوقاية، هذا معنى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾.

ويقول الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتْمٌ وَقَدْ مَوَّأَ لِنَفْسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. أباح الله تعالى المعاشرة والمباشرة، فهذا من حقوق الزوجية، ولا يجوز للزوج أن يهمل زوجته، ولا للزوجة أن تتمرد على زوجها في هذا الجانب.

وحينما عرف النبي ﷺ أن بعض الصحابة أهمل ذلك، مثل عبد الله بن عمرو بن العاص، حينما زوجه أبوه امرأة، وكان يتعهد كتنه - امرأة ابنه - بين الحين والحين فسألها مرة عن عبد الله، فقالت: نعم الرجل هو، لم يطأ لنا فراشا منذ أتينا، ولم يفتش لنا كنفا. فشكاه إلى النبي ﷺ، أنه مشغول بالعبادة، بصيام النهار، وقيام الليل، وتلاوة القرآن.

فلما جاء إلى النبي ﷺ قال له: «ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» قال: بلى يا رسول الله، وما أردت بذلك إلا الخير. فنصحه قائلاً: «فلا تفعل، صُمْ وَأَفِطِرْ، وَتُمْ وَنَمْ؛ فَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»<sup>(١)</sup>. أي: أعط كل ذي حق حقه، فللمرأة حق على الرجل، كما أن للرجل حقاً عليها، والإسلام رعى هذا الحق.

من حق المرأة أيضاً أن تطلب الولد، ومن حق الرجل أن يجيبها إلى

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.



ذلك، والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]. أولادًا، وأولاد أولادٍ، هذا حق، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. ويقول المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَالْكَنَّ بَشَرُهُنَّ وَابْتِغَاؤُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. أي: ما كتب لكم من النسل، ومن الولد. فالنسل من الأغراض الأساسية للزواج، أن يستمر هذا النوع الإنساني إلى ما شاء الله، ليعمر الأرض، ويقوم بخلافة الله، وتستمر الحياة البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا حق من الحقوق.

## ٦ - التَّجَمُّلُ لِلزَّوْجَةِ:

ومن حقوق الزوجة على زوجها: أن يتجمل لها، فلا يكون كل همّه أن يقضي وطره منها، ورائحته كريهة، وثيابه غير نظيفة، وغير متجمل، وغير متزيّن، هذا ليس من خلق الإسلام، الإسلام يأمر المسلم أن يكون دائمًا نظيفًا متجملًا، حتى في الصلاة إذا صلى، ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»<sup>(١)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ يأمر الناس أن يغتسلوا يوم الجمعة<sup>(٢)</sup>، خصوصًا إذا كانوا يعملون ويتعرقون، حتى يزيلوا رائحة العرق، وأمر الإنسان إذا أكل ثومًا أو بصلاً، أو نحو ذلك، أن يعتزل المسجد، حتى لا يؤذي الناس<sup>(٣)</sup>، فكيف يؤذي الزوج صاحبه بالجنب؟ المرأة هي الصاحب بالجنب كما قال الله تعالى، يؤذيها برائحته الكريهة، بشيابه القذرة، هذا لا يجوز.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٨٤)، ومسلم (٨٤٨)، كلاهما في الجمعة، عن ابن عباس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٥٣)، ومسلم في المساجد (٥٦١)، عن ابن عمر.

لا بدّ أن يتجمل الرجل لامرأته، كما وقف ابن عباس رضي الله عنهما أمام المرأة يتجمل، ويتزيّن، ويتعطر، ويأخذ من لحيته، ويرجل من شعره، وقال له نافع: ما هذا يا ابن عم رسول الله؟ أتفعل هذا وإليك يضرب الناس أكباد الإبل من شرق وغرب؛ يستفتونك في دين الله؟! فقال له ابن عباس: وماذا في هذا يا نافع؟ إنني أتزيّن لامرأتي كما تتزيّن لي امرأتي، وهذا في كتاب الله. قال: أين هذا في كتاب الله؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] <sup>(١)</sup>. لهنّ من الحقوق مثل الذي عليهنّ من الواجبات، فكما أنّ على المرأة أن تتجمل لزوجها فإنّ على الرجل أن يتجمل لزوجته، فالحقوق مُتبادلة، كل حق يقابله واجب، هذه هي الحياة الزوجيّة.

## ٧ - الغيرة على الزوجة:

ومن حقوق الزوجيّة: أن يغار الرجل والمرأة كلٌّ منهما على صاحبه، الغيرة فطرة، ولكن الإسراف في الغيرة هو المذموم، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّ من الغيرة ما يحبُّ الله، ومنها ما يُبغض الله، ومن الخيلاء ما يحبُّ الله، فأما الغيرة التي يحبُّ الله فالغيرة في ربيّة، وأما التي يُبغض الله فالغيرة في غير الرّبيّة» <sup>(٢)</sup>. الغيرة في غير ربيّة أن يغار الإنسان دون داعٍ، ويُغالي فيها، وكأنّه يتّهم امرأته، هذا لا يجوز.

الأصل في المعاشرة الثقة وحسن الظن، حتّى جاء في الحديث: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم، أو يلتمس

(١) رواه ابن أبي شيبة في الطلاق (١٩٦٠٨).

(٢) رواه أحمد (٢٣٧٤٧)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٥٩)، والنسائي في الزكاة (٢٥٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٢١)، عن جابر بن عتيك.

عثراتهم»<sup>(١)</sup>. يفاجئ الرجل أهله في منتصف الليل، كأنه يتخونهم ويطلب عثراتهم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قال: «حَتَّى تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةَ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةَ»<sup>(٢)</sup>. يعني تتهياً المرأة لاستقبال زوجها بتمشيط شعرها، وتنظيف نفسها، وتغتسل وتطيب.

كان هذا في الزمن الماضي حين كان الرجل يسافر على ناقته، فهو الذي يتحكّم في وقت الذهاب، ووقت الإياب، يستطيع أن يأتي في منتصف الليل، ويستطيع أن ينيخ بناقته فيأتي في الصباح، ولم يعد هذا ممكناً في عصرنا، وإنّما يمكن للإنسان أن يُعلم زوجته بموعد قدومه، إذا كانت تعرف أنّه سافر في يوم كذا، وسيأتي حَسَبَ موعد تذكرة السفر فلا حرج، فإذا غيّر الموعد ينبغي أن يتّصل بها بالهاتف، أو يبعث لها بالفاكس، أو بأيّ طريقة من الطرق؛ يُعلمها بعودته، هذه آداب المعاشرة في الإسلام.

## ٨ - عدم الإسراع إلى الطلاق:

ينبغي على الزوجين أن يرعى كلّ منهما حقّ صاحبه، وعلى الزوج العبد الأكبر كما قال الإمام الطبري في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]: إنّ درجة الرجال أن يتنازل عن بعض حقه للمرأة، ويعطيها أكثر ممّا يجب عليه، فالدرجة التي عليه تكافئ المسؤولية عن البيت، فالمطلوب منه أكثر ممّا يُطلب من المرأة<sup>(٣)</sup>.

فإذا هبّت رياح الخلاف بين الزوجين فلا يجوز للرجل أن يُسارع بفضّ هذا الأمر، وفكّ هذه العقدة، ونقض هذا الميثاق الغليظ كما سمّاها

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٨٠١)، ومسلم في الإمارة (٧١٥) (١٨٤)، عن جابر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٧٩)، ومسلم في الإمارة (٧١٥) (١٨٢)، عن جابر.

(٣) تفسير الطبري (٥٣١/٤).

الله تبارك وتعالى، ﴿وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، بل لا بدّ أن يعالج الأمر بحكمة، يصبر أقصى ما يُمكنه من الصبر.

ولا يجوز أن يسارع بالطلاق؛ فإنّه أبغض الحلال<sup>(١)</sup>، وكما قال الإمام الغزالي: لا يجوز هذا الأمر إلّا بجناية من جانب المرأة، أو بضرورة من جانب الرجل<sup>(٢)</sup>. فالأصل هو حرمة الطلاق، وقد قال النبي ﷺ عن النساء: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتَ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الرجل الذي يُطَلِّق امرأته من غير ما بَأْسٍ ينبغي أن تحرم عليه رائحة الجنّة، لأنّه يهدم هذه العلاقة، ويُخَرِّب هذه المؤسسة بغير مبرر، بغير ضرورة، ولذلك كان الطلاق أبغض الحلال، هو أشبه بالعملية الجراحية التي لا يلجأ الإنسان إليها إلّا إذا لم تُفد الأدوية الأخرى، آخر العلاج الكي.

والله تعالى أمرنا أن نَتَّخِذَ أسباباً عدّة عند النشوز فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]. يعظها، ويخوفها، وينصحها في أوّل الأمر، ثمّ يهجرها في المضجع حتّى تفكر وترتجع وتعاود النظر في أمرها، ثمّ يضربها إذا لم ينفع الوعظ والهجر، وقال النبي ﷺ:

(١) كما في الحديث: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق». رواه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه

(٢٠١٨)، كلاهما في الطلاق، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (٢٠٤٠)، عن ابن عمر.

(٢) إحياء علوم الدين (٥٥/٢).

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٧٩)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)،

وحسنه، وابن ماجه (٢٠٥٥)، ثلاثهم في الطلاق، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود

(١٩٢٨)، عن ثوبان.

«ولن يضرب خياركم»<sup>(١)</sup>. الرجل الخيّر لا يضرب امرأته، هي ضرورة، والضرورة تُقدّر بقدرها، ولا ينبغي للإنسان أن يسارع إليها خصوصاً مع النساء الفاضلات الكريمات اللاتي يعتبرن الضرب إهانة بالغة، ولذلك لم يضرب النبي ﷺ امرأة قط، ولم يضرب خادماً قط، بل لم يضرب دابة قط<sup>(٢)</sup>، وهذا من حسن خلقه ﷺ.

ثم شرع لنا الإسلام التحكيم الذي يكاد يُنسى في حياة المسلمين، أو كأنه نسي، لا يعمل أحد بهذا التحكيم، إذا غضب الإنسان من امرأته رماها بالطلاق كأنه يضربها بحجر، ولم يبال بقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

هذه المحكمة العائلية، هذا المجلس الأسري الذي أمر الله المجتمع كله - وخصوصاً أولي الأمر فيه - أن يبعثوا حكماً من أهله، وحكماً من أهلها ليحاولا فضّ هذا النزاع، وإعادة المياه إلى مجاريها، والنفوس تتكدر ثم تصفو، وسرعان ما يتغيّر الإنسان، فلا يمكن أن نستجيب لنزوات العواطف، وللפורات الهائجة، لا، بل ينبغي أن نُحكّم العقل، ونُحكّم هذا المجلس، ﴿فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

(١) رواه الحاكم (١٩١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. والبيهقي (٣٠٤/٧)، كلاهما في النكاح، عن أم كلثوم بنت أبي بكر.

(٢) كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط، ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله. رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، وأحمد (٢٤٠٣٤).

وإنما جعل الإسلام الحَكم من الأهلين حتّى لا تشيع أمور العائلة في المجتمع، وتصبح على كلّ لسان، المفروض أن تُحفظ الأسرار، وألا تُذاع إلا في أضيق نطاق، هذا من حرص الإسلام على هذه المؤسسة العظيمة.

## ٩ - مراعاة أحكام الطلاق:

فإذا اضطرّ الإنسان إلى الطلاق، ولم يمكن التوفيق فلا مانع من الطلاق، على أن يكون الطلاق رجعيًا قابلاً للمراجعة، والأصل في الطلاق كلّهُ أن يكون رجعيًا، يطلق الإنسان، ويطلق في الوقت المناسب، لا يطلقها في حيض، ولا في طهر مسّها فيه، ويطلقها طلقاً واحدة.

أمّا ما يفعله الناس من هذه الألوان من الطلاق، الحلف بالطلاق، وإذا اعترك مع شخص حلف بالطلاق أن يفعل كذا، ثمّ يرجع فيجد امرأته مطلّقة على كثير من المذاهب، فهذا ما أنزل الله به من سلطان، ولا قام عليه في الشرع برهان، فالطلاق لحلّ عقدة النكاح عند تعذر الوفاق.

إذا حَدَث الطلاق لا بدّ أن يكون بطلقة رجعية، لا يجوز أن يتخرّج المرأة من بيتها، ولا أن يخرجها زوجها، لا يقول لها: اذهبي إلى دار أبيك. أو تأخذ هي ثيابها وتذهب إلى دار أبيها، هذا مُحَرَّم في الإسلام، فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]. يجب أن تبقى الزوجة المطلقة طلاقاً رجعيًا في بيت الزوجية، كلّما خرج زوجها ودخل رآها، ولعلّ قلبه يحنّ ويعود إليها فيراجعها، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، ويغيّر القلوب، والقلوب تتغيّر.



ثمَّ عليه إذا طَلَّقَهَا أن ينفق عليها في حالة العَدَّة، فالمرأة في العَدَّة لا تزال زوجة، لأنَّ الزوج لو مات ترثه زوجته ما دامت في عدتها، ولو ماتت هي في العدة يرثها، فالعلاقة لم تنقطع تمامًا، والله تعالى يقول: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِثِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وجعل الإسلام للإنسان فرصة بعد فرصة، ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، كثير من الناس ينسون التَّسْرِيحَ بِإِحْسَانٍ، والمفارقة بالمعروف، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١].

والمعروف أن تعطيها حقَّها، إن كان لها مؤخَّر مهر تعطيها إيَّاه، وإن كان لها حقٌّ في الأثاث تعطيها حقَّها فيه، ولها حق المتعة، ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿وَلَلْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]. الرأي الصحيح الذي هو ظاهر القرآن: أن كل مطلَّقة لها حق المتاع بالمعروف.

والمتاع بالمعروف يتغير من امرأة إلى أخرى، إذا تزوج الرجل امرأة عدة أشهر وطلَّقها فيمكن أن يكون متاعها شيئًا قليلًا، أمَّا إذا عاشت امرأة مع رجل ثلاثين سنة، أو أربعين سنة، ثمَّ طلقها زوجها، هل يرميها في الطريق، ويعطيها متاعًا قليلًا؟ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ، وَأَيْنَ تَعِيشُ؟ ربما لم يكن لها أهل، وليس لها دخل، وليس لها مورد، متاعها أن يرهاها حتَّى تموت، هذا هو المعروف، وإلا فليس من المعروف أن تعيش معها أربعين سنة ثمَّ ترميها في عرض الطريق، ﴿وَلَلْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

رعى الإسلام هذه الحقوق، حتَّى إذا طُلِّقت المرأة قبل أن تُمَسَّ، قبل



أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، أَوْ يَخْتَلِيَ بِهَا، لَهَا حَقٌّ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. في هذه الحالة لها نصف المهر لأنه لم يدخل بها، أو يختلي بها خلوة صحيحة، ولكن حصل بينهما عقد، إيجاب وقبول، فأصبح لها حقٌّ بذلك، لها نصف المهر، ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾، إِلَّا أَنْ تَنْتَازِلَ الْمَرْأَةُ عَنْ جُزْءٍ مِمَّا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْمَهْرِ أَوْ عَنْهُ كُلِّهِ إِنْ شَاءَتْ، ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾، الرَّجُلُ يَعْفُو فَيُعْطِيهَا أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ الْمَهْرِ مَكْرَمَةً مِنْهُ، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، الْعَفْوُ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

هذا هو الزوج الصالح - أيها الإخوة - الذي يراعي هذه الحقوق كلها، ويؤديها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى، حتَّى يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُ، وَيَكُونُ مِنَ عِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### قارة إفريقيا المسكينة:

لا زالت قارة إفريقيا هي ملعب السياسة الدولية، والقوى الدولية، هذه القارة المسكينة لا تكاد تخرج من صراع إلا لتقع في صراع تدبره القوى العظمى، فهذه القوى هي التي تُهيئ الأسباب، وتُهيئ السبل لإقامة هذه المعارك معركة بعد معركة: بروندي، نيجيريا، الصومال، سيراليون، إلى آخره، والآن معركة أثيوبيا وإريتريا، القوى العظمى - وعلى رأسها الولايات المتحدة - هي التي تُعطي الإشارة الخضراء، وتشجع المهاجمين، وتزودهم بالأسلحة، وتغض الطرف عن الآثار والنتائج، وعن انتهاكات الحقوق، وعن انتهاكات الحُرُمات، حتَّى إذا شَبعت المنطقة تدميرًا وموتًا، وهلاكًا للحرث والنسل تأتي هذه القوى لتتدخل، وتقول: كُفُّوا أيديكم، أوقفوا الحرب، أوقفوا الزحف. أين كنتم من أوَّل الأمر؟! هؤلاء هم الذين يريدون لهذه القارة المسكينة أن يأكل بعضها بعضًا، ويدمر بعضها بعضًا، خصوصًا أنَّ هذه القارة فيها من المسلمين الكثير والكثير، حتَّى إنَّ الدولتين اللتين تتصارعان الآن - أثيوبيا وإريتريا - يحكمهما غير المسلمين، مع أنَّ أكثرية شعبيهما من المسلمين، أكثرية شعب أثيوبيا من المسلمين، أكثرية شعب إريتريا من المسلمين، وإن كانت الحكومات غير إسلامية بفعل القوى المختلفة، بمساعدة القوى الصليبية، والقوى الإسرائيلية، إسرائيل هي التي نفخت في إريتريا، وشجعتها لتهاجم اليمن، وتأخذ جزيرة حنيش، وتفعل كذا وكذا، وتقول لها: ليست العبرة بالحجم، وليست بالعدد، نحن حجمنا صغير واستطعنا

أن نفرض نفسنا على المنطقة. تغريها بهذا، والآخرين يغرون الآخرين، والضحية هي شعوب هذه المنطقة، هذه الشعوب المسكينة التي تشكو الآن من المجاعة التي استمرت سنوات، ستّة عشر مليوناً أو أكثر يشكون الجوع، بل يموتون من الجوع، نحن نرى في التلفزيون هذه الهياكل العظمية، هؤلاء الناس الذين تراههم جلدًا على عظم يشكون من المجاعة، لا يكفيهم هم الجوع حتّى يأتوهم بهم الحرب، لتزيد الأمر ضغطًا على إِبالة<sup>(١)</sup>، يزداد الطين بلّة، ويزداد الداء علّة، وتزداد النار اشتعالًا.

إلى متى تظل هذه القارة المسكينة لعبة في أيدي هؤلاء الساسة العالميين في عصر العولمة كما يسمونها؟ وفلسفة العولمة هي الأمركة، العولمة هي إخضاع العالم لفلسفة معينة، لنمط معيّن، يسمونه التنميط، ما يجري في بلد يجب أن يجري في البلاد الأخرى، لا ينبغي أن يخرج بلد عن هذا النمط الحضاري أو الثقافي أو الاقتصادي الذي يجب أن يفرض على الأحمر والأسود، على الجميع في هذا العالم.

تظل قارة أفريقيا في عصر العولمة مسرحًا لألعاب السياسة العالميّة حتّى يمزق بعضها بعضًا، والآخرين ينظرون ويتفرجون ويتسمون، فإلى متى نظلّ نحن المسلمون، نحن الأفريقيّون، نحن الآسيويّون، نحن العالم الثالث ننفذ خطط غيرنا، ولا نخطط لأنفسنا؟

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُهيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة؛ إنَّك سميع قريب.

\*\*\*

(١) الإِبالة: حزمة الحطب، والضغث: المختلط بين رطب ويابس.



## حقوق العشرة الزوجية<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### أَسَاسَانِ لِلْعِشْرَةِ الزَّوْجِيَّةِ:

لَا زَالَ حَدِيثُنَا مَوْصُولًا عَنِ الزَّوْجِ، وَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى حَقُوقِ الْمَعَاشِرَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَقَدْ أَقَامَ الْإِسْلَامُ هَذِهِ الْمَعَاشِرَةَ عَلَى أَسَاسَيْنِ: أَسَاسٍ رَبَّانِيٍّ، وَأَسَاسٍ إِنْسَانِيٍّ.

#### أَسَاسُ رَبَّانِيٍّ:

الْأَسَاسُ الرَّبَّانِيُّ هُوَ الَّذِي يَضْبُطُ الْأُمُورَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَهُوَ مَا سَمَّاهُ الْقُرْآنُ حُدُودَ اللَّهِ، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، هَذَا هُوَ الْأَسَاسُ الْأَوَّلُ.

(١) أَلْقَيْتُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فِي الدُّوْحَةِ، فِي نَوْفَمْبَرِ ١٩٩٥ م.

## أساس إنساني:

والأساس الثاني: أساس إنساني، وهو المعروف، كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

والمعروف هو ما تعرفه الفطر السليمة، والعقول الرشيدة، ويتعارف عليه أهل الفضل والخير من الناس، بحيث يعرفونه ولا ينكرونه، فهذان أساسان لإقامة الحياة الأسرية السليمة، الحياة الزوجية الهانئة، التي يُظلل عليها الود والسكينة، والمحبة والرحمة.

## مهر الزوجة:

ذكرنا في الجمعة الماضية أنَّ الزوج الصالح هو الذي يراعى حقوق زوجته؛ فيؤدي لها مهرها؛ فإن المهر حق خالص للمرأة، لا بدَّ أن تُوفاه، كما قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

ومن الخطأ أن يستولي الآباء على مهر بناتهم دون حاجة إلى ذلك، فالمهر حق خالص للابنة، وليس من حقوق أبيها، وكذلك لا يجوز للزوج أن يأكل مهر زوجته، لا بدَّ أن يدفع لها مهرها الذي استحقته، سواء كان مُعَجَّلًا أم مُؤَجَّلًا، فهذا هو الحق الأول.

## النفقة على الزوجة:

والحق الثاني للمرأة هو النفقة، ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، تُعطى المرأة ما يكفيها وولدها بالمعروف، لا تقتير ولا إسراف، وللأسف

هناك بعض الناس مُقْتَرُونَ على بيوتهم، وعلى زوجاتهم، وعلى أولادهم رغم يسارهم، ورغم أنَّهم لا ينقصهم المال، ولكنَّهم أشحَّاء بخلاء مُقْتَرُونَ، وهذا لا يجوز لأن هذا قد يدفع امرأتك أن تسرق من ورائك، أو تأخذ من غيرك، وقد يدفع ولدك أن يسرق منك، أو يسرق من غيرك، لا، أنفق عليهم في اعتدال.

وكما أن هناك المُقْتَرُونَ؛ فهناك المسرفون الذين يعطون المال بغير حساب، لزوجاتهم ولأولادهم، ولا يبالون ماذا يكون في أيدي هذا الصبي الصغير، أو أيدي تلك المرأة، وإعطاء المال بغير حساب يُفسد ولا يصلح، فلا بد من ضبط الأمور، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، نحن للأسف في أكثر أمورنا نقع بين الإفراط والتفريط، بين الغلو والتقصير.

### الاستيلاء على مال الزوجة:

هناك أزواج يستولون على أموال زوجاتهم، ولا يكادون يُمكنونهنَّ من هذا المال، ومن هؤلاء الزوجات الموظفات، تجد من الأزواج من يستولي على راتب امرأته، ولا يسمح لها أن تفتح حسابًا في البنك باسمها، مع أن هذا مالها الخاص، هي صاحبة التصرف فيه، والله تعالى يقول: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢].

### حق المرأة في التملك والتصرف:

ومِمَّا جاء به الإسلام في إنصاف المرأة: أنه جعل لها حقَّ التملك، وجعل لها ذمَّة مستقلة عن زوجها، بحيث تملك المال وتتصرف فيه، تبيع وتشتري، ولا حرج عليها ما دامت بالغة رشيدة، فهذا الذي يستولي



على راتب امرأته جائر ظالم، لا تستولي على امرأتك، دعها تفتح حسابها في المصرف باسمها، وتتصرف فيه كما ترى، إذا أرادت أن تساعد أهلها الفقراء، أن تُعطي منه لأبيها أو أمها، أو أخيها أو أختها، أو تتصدق على الفقراء في بلد إسلامي، أو تُعطي جمعية خيرية، أو توقف بعض هذا المال صدقةً جارية؛ فهي صاحبة الحق في كل ذلك، الإسلام أعطاهما هذا الحق.

صحيح.. الأولى أن يكون ذلك بالتشاور مع زوجها، إن كان زوجها رجلاً عاقلًا رشيدًا؛ فينبغي أن يُحرضها على ذلك، ويُرغبها في الخير، وهو شريك لها إذا فعل ذلك، كما أن المرأة تشترك في الأجر مع زوجها، إذا أنفقت من ماله وتصدقت منه ولو بغير إذنه، ما دام ذلك في حدود المعروف عند الناس، فإذا تصدقت على سائل، أو أعطت في مناسبة فلها أجرها لأنها هي المتسببة في هذا الأجر، ولزوجها أجر لأنه صاحب المال، ينبغي أن يتعاون الناس في ذلك.

### منع الزوجة عن أهلها:

بعض الأزواج يمنعون زوجاتهم من الإحسان إلى أهلهنّ والبر بهنّ: بأبيها، أو أمها، أو أخيها، أو أختها، وهذا لا يجوز، هذا قطع للرحم، لا يجوز أن تُقطع الأرحام، وإنّما جعل الله الزواج ليتعاشر الناس بالمعروف، لتستمرّ المودة والرحمة، لتتسع العشيرة، ليكسب الإنسان أسرةً إلى أسرته، وعشيرةً إلى عشيرته، فتتسع دائرة المودة بين الناس، هذا هو الذي ينبغي.

أمّا أن يُصبح الأصهار وكأنهم أعداء، فهذا ليس من الإسلام في شيء، فقد جعل الله تعالى المصاهرة أحد رابطتين أساسيتين بين البشر، قال تعالى:



﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. فما يضيرك أيُّها الزوج أن تعطف المرأة على أهلها، وتبعث إليهم بشيء من المال؟ بل هذا يدل على أنها امرأة أصيلة كريمة، فمن لا خير لها في أهلها لن يكون لها خير في زوجها!

الإسلام إذن يفرض على الرجل النفقة، والنفقة بالمعروف، ﴿عَلَى الْمُوسِيعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ولا يجوز للمرأة أن تُكَلِّف زوجها ما لا طاقة له به، فتقول له: لماذا لا تأتيني بكذا وكذا، مما لا يستطيعه، ولا تحتمله طاقته، ولا يقدر عليه؟ لماذا لا أكون مثل فلانة وفلانة؟ وربما كانت فلانة وفلانة متزوجتين من زوجين موسرين غنيين قادرين، فلا ينبغي أن يُعامل الناس كلهم معاملة واحدة، ينبغي للمرأة العاقلة الرشيدة أن تُراعي ظروف زوجها، ولا تُكَلِّفه ما لا يُطيقه.

هذه هي طبيعة الزوجة المسلمة الصالحة، وطبيعة الزوج المسلم الصالح، أن يراعي حقوق زوجته، ويراعي شعورها، ولا يظلمها بالتسلط على مالها، ولا يمنعها من التصرف في هذا المال، ولا يمنع أهلها أن يصلوها وأن تصلهم، بعض الأزواج يتحكّم في زوجته، لا يحب أن تتصل بهم ولو هاتفياً، لا يحب أن تزور أهلها، ويمنعهم أن يزوروها!

كيف تتم حياة بهذه الصورة؟! أين المودة التي شرعها الإسلام في الزواج؟ لا بدّ للزوج الصالح أن يسمح لزوجته بأن تزور أهلها، وأن يسمح لهم أن يزوروها؛ بل ينبغي أن يزور أهلها معها، يصحبها هو ليزور حماء وحماته، وأقارب زوجته، فتتوطّد الألفة، وتستمر المودة بين الناس، هذا ما شرعه الإسلام.

## اللفظ مع الزوجة:

الزوج الصالح هو الذي يتلطف مع زوجته، يعاملها بلطف، وهذا من المعاشرة بالمعروف، يُراعي أنها أنثى، وأنها إنسانة رقيقة تحتاج إلى رقة في المعاملة، ولذلك قال النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأرفقهم بأهلهم»<sup>(١)</sup>. وقال ﷺ: «خيركم خياركم لنسائهم»<sup>(٢)</sup>. وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهلهم، وأنا خيركم لأهلي»<sup>(٣)</sup>. كان هو مضرب المثل، كان الأسوة الحسنة، كان الإمام للناس في حسن معاشرة زوجاته رضي الله عنهن جميعاً، وكان فيهنّ الكبيرة والصغيرة، والثيب والبكر، والعربية وغير العربية، والقُرشيّة وغير القُرشيّة، ولكنّه كان يُعامل كل واحدة منهن بما يتناسب معها.

كانت عائشة رضي الله عنها صغيرة؛ فكان يرعى سنّها، حينما أخذ الأحباش يلعبون بحرابهم ويرقصون بها في المسجد النبوي في يوم عيد، فكان النبي ﷺ يُشجّعهم على هذا، لأن من طبائعهم في أعيادهم أن يلعبوا ويرقصوا، وكان من سياسة النبي ﷺ أن يُراعي طبائع الناس، ويُراعي عاداتهم وتقاليدهم.

وأرادت عائشة أن تشاهد هؤلاء الأحباش، وأن تنظر إليهم، وكان بيت النبي ﷺ مجاوراً للمسجد، وهناك كُوى أو نوافذ تُطل على المسجد، فرفعها النبي ﷺ من وراء ظهره لتنظر إلى هؤلاء الأحباش وهم

(١) رواه أحمد (٧٤٠٢)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الرضاع (١١٦٢)، وقال: حسن صحيح، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذي في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: صحيح. عن عائشة.

(٣) سبق تخريجه ص ١٦٥.

يرقصون، حتّى شبعّت وملّت واكتفت، وقالت: حسبي يا رسول الله. وحكت عائشة ذلك، وقالت: إنّ النبي ﷺ فعل كذا وكذا، وأراني الأحباش وهم يلعبون فاقدروا قدر الفتاة الحديثة السن، الحريصة على اللهو<sup>(١)</sup>. فينبغي للزوج أن يراعي سن زوجته، ويراعي عواطفها.

وقالت عائشة: كانت لي صواحب يأتين فيلعبن معي بالبنات - أي بالعرائس الدّمي - فإذا حضر رسول الله ﷺ انقمعن واختفين، حياءً من النبي ﷺ. ولكنه ﷺ كان يُسرّبهن إلى عائشة ليلعبن معها، ويسلينها<sup>(٢)</sup>، لأنّه يعلم أنّها في هذا السن في حاجة إلى مَنْ يُسلّيها ويُسرّي عنها.

وهكذا كان النبي ﷺ يستمع إلى عائشة وهي تقص عليه القصص، وتحكي له الحكايات من حكايات الجاهليّة، وكانت على اطلاع بذلك، حكّت له قصّة النساء الاثنتي عشرة، وموقفهنّ من أزواجهنّ، وأن هذه قالت: زوجي كذا، وكذا، زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل. إلى آخر ما قالته كل واحدة عن زوجها، إلى أن جاءت إلى أم زرع، فقال النبي ﷺ لعائشة: «كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «إلّا أنّه طلقها وإنّي لا أطلقك»<sup>(٤)</sup>. لأن أبا زرع طلق امرأته، استمع إلى هذه القصّة الطويلة منها، ولم ير في ذلك حرجاً، لا بدّ أن يكون عند الرجل قلب كبير، يراعي المرأة ويُقدّر لها، ولا يقول عنها: ما هذه؟ إنّها لا تساوي شيئاً. ولا يستمع إليها.

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٦)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢)، عن عائشة.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٠)، عن عائشة.

(٣) حديث أم زرع متّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨).

(٤) من رواية الزبير بن بكار كما ذكر الحافظ في فتح الباري (٢٧٥/٩).

## ممازحة الزوجة وملاعبتها:

بل أكثر من ذلك: أَنَّ النبي ﷺ كان يمازح عائشة، تراحما أحياناً وهما خارجين من الباب، هو يريد أن يخرج قبلها، وهي تريد أن تخرج قبله، وهذا من الممازحة المطلوبة من المسلم، وقد تسابقا مرتين: تسابقا مرة أوّل ما تزوجت، وكانت صبية صغيرة، خفيفة اللحم، فسبقت عائشة، وتسابقا مرة أخرى خلف الجيش، ولكنها كانت قد سمت بعض الشيء، فسبقها النبي ﷺ، رغم أَنَّ سنه كان يقارب الستين في ذلك الوقت، فقال لها النبي ﷺ: «يا عائشة هذه بتلك»<sup>(١)</sup>. أي المرة التي سبقتك فيها بتلك المرة التي سبقتني فيها، كما نقول نحن: صرنا متعادلين.

انظروا مَنْ منا يفعل ذلك؟ قلت مرة وأنا أدرّس لطالباتي في الجامعة: تصوروا لو أَنِّي فعلت ذلك مع زوجتي، ورآني الناس وأنا ألتسابق مع امرأتي سيقولون: ماذا جرى للشيخ القرضاوي؛ أيتسابق هو وزوجته؟ ولكنَّ محمّداً ﷺ فعل ذلك مع زوجته، نحن - كما قلت دائماً - متزمتون متشدّدون، ونريد أن نقتدي بالنبوة الهادية، بالسيرة العطرة لتعلم منها.

يقول النبي ﷺ لجابر حينما تزوّج امرأة: «أبِكرًا أم ثيبًا؟» قال: بل ثيب يا رسول الله. فقال: «هَلَّا بِكِرًا تُلَاعِبُهَا وتُلَاعِبُكَ، وتُضَاحِكُهَا وتُضَاحِكُكَ»<sup>(٢)</sup> وفي رواية «وتعضها وتعضك»<sup>(٣)</sup>. هذه هي الحياة الزوجية الطبيعية الفطرية.

(١) سبق تخريجه ص ١٧١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٩٧)، ومسلم في الرضاع (٧١٥)، عن جابر.

(٣) رواه الطبراني (١٤٩/١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٤٧): رواه الطبراني عن الربيع بن كعب بن عجرة عن أبيه، ولم أجد من ترجم الربيع، وبقيّة رجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف، وقد وثّقهم ابن حبان. وضعّفه الألباني في الضعيفة (١٦٢٩)، عن كعب بن عجرة.

ويقول ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إنك ما أنفقت من نفقة تبتغي بها وجه الله فهي لك صدقة، حتّى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»<sup>(١)</sup>. ترفعها إلى في امرأتك، ومعنى هذا أنك تفعل ذلك على سبيل المداعبة والممازحة، هي تعطيك لقمة، وأنت تعطيتها لقمة، وتعطيها في فمها، وهذا دليل على حسن العشرة، وهي لك صدقة، لأن العبرة بالنية، وإنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكل امرئ ما نوى»<sup>(٢)</sup>، فما دمت تقصد قصداً صحيحاً، وتبتغي هدفاً طيباً من وراء ذلك بأن تحسن العشرة، وأن تديم المودة، وأن تظل هذه الصلة قائمة على المحبة؛ فأنت مأجور في ذلك، هذا التلطف مطلوب من الإنسان المسلم مع زوجته.

يقول النبي ﷺ لعائشة: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبي». قالت: من أين تعلم ذلك؟ قال: «إذا كنت راضية عني فإنّك تقولين: لا وربّ محمد. وإذا كنت عليّ غضبي تقولين: لا وربّ إبراهيم». قالت: أجل، والله ما أهرج إلا اسمك»<sup>(٣)</sup>. انظروا أيضاً إلى هذا الجواب الحكيم، قالت: أنا أهرج اسمك فقط، ولكنني لا أهرج مودتك ولا محبتك، فهي كامنّة مستقرّة في قلبي. فانظر إلى الزوج الذي يلاحظ زوجته، ويعرف رضاها من غضبها، ويعرف ذلك في تعبيراتها، هذه هي الحياة الزوجيّة السليمة كما يريد الإسلام، فالزوج الصالح هو الذي يتلطف كل التلطف مع زوجته، يراعي هذا منها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٥)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٨)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٩).

## الغيرة على الزوجة:

ثم الزوج الصالح أيضًا هو الذي يصون كرامة زوجته، ومعنى يصون كرامتها: أنه يحافظ على عرضها، وعلى شرفها، ويغار عليها، فقد جاء في الحديث: «إن من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، ومن الخيلاء ما يحب الله، فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في ريبة، وأما التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة»<sup>(١)</sup>. ومعنى الريبة: أن يوجد من المرأة من الدلائل ما يدل على أنها متلعبة، لا تحفظ عرض زوجها، وهنا ينبغي للزوج أن يكون قويًا، وألا يدع لها الحبل على الغارب، ولا يأذن لها أن تدخل في بيته من يكره من الناس، أو من يشك فيهم، ولا يسمح لها أن تذهب إلى مكان يشك فيه، ويأخذ هذا من أول الأمر بصرامة، ويكون هذا واضحًا وعلى نور، حتى لا يكون ديوثًا، فالديوث هو الذي يعلم القبيح على أهله ويسكت، يسدُّ أذنًا من طين، وأذنًا من عجين، ويرى الأشياء أمامه واضحة، ولكنه لا يفهم.

وقد قال النبي ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا: الديوث، والرجل من النساء، ومدمن الخمر». قالوا: يا رسول الله! أمّا مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: «الذي لا يبالي من دخل على أهله». قلنا: فما الرجل من النساء؟ قال: «التي تشبه بالرجال»<sup>(٢)</sup>. هؤلاء لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يستوفوا حظهم من العذاب، إن ماتوا على الإسلام، لا ينبغي للمسلم أن يكون ديوثًا، وإنما ينبغي أن يغار؛ فقبح الله من لا يغار، وقد قال

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٣.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (١٠٣١٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٧١): صحيح لغيره. عن عمار بن ياسر.



النبي ﷺ عن سعد بن معاذ: «أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حَرَّمَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن»<sup>(١)</sup>.

### الإسراف في الغيرة:

ومع ذلك لا يجوز أن يُسرف الرجل في الغيرة، يُخَوِّن زوجته، ويتطلب عثراتها، ولهذا «نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً»<sup>(٢)</sup>، يعني إذا جاء من سفر لا يدخل على أهله في الليل، وفي بعض الروايات: «يتخَوَّنهم، ويتطلب عثراتهم»<sup>(٣)</sup>. يعني جاء بالليل يفاجئها لبحث: هل هي مع رجل أم ليست مع رجل؟ فنهى النبي ﷺ عن هذا، فكانوا إذا جاؤوا بالليل ينتظرون إلى الصباح، ويُعلمون النساء، يبعثون برسل إلى البلدة أن الجيش قد عاد، حتَّى تتهيأ المرأة للقاء زوجها، تتمشط الشعثة، وتتعطر المرأة وتستحد، وهذا من حُسْن العشرة الذي شرعه الإسلام.

الإسلام لا يحب الإسراف في أي ناحية من النواحي، الإسراف في الغيرة يمكن أن يهدم الحياة الزوجية، إذا توسّع فيه الناس، وشكّوا بغير حق، وتركوا لسوء الظنون أن تلعب برؤوسهم، وليس هناك ما يدل على ذلك، الخير كل الخير في التوسط والاعتدال، فلا إسراف في سوء الظن، ولا إهمال للظن إذا توفرت أسبابه وأدلته.

### الصبر على المكاره:

وممّا ينبغي للزوج في حسن العشرة مع زوجته: أن يصبر على امرأته، أن يحتمل أذاها، لأن الحياة الزوجية لا بدّ فيها من صبر واحتمال، والمرأة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحدود (٦٨٤٦)، ومسلم في الطلاق (١٤٩٩)، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العمرة (١٨٠١)، ومسلم في الإمارة (٧١٥) (١٨٣)، عن جابر.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (٧١٥) (١٨٤).



إنسان كما أنَّ الرجل إنسان، والكمال لله وحده، فلا توجد امرأة كاملة مُبرَّأة من كل عيب، ولذلك يقول النبي ﷺ: «لا يفرِّك مؤمن مؤمنة - أي لا يبغضها - إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»<sup>(١)</sup>. فعليه أن يُقوِّمها بالعدل، يذكر حسناتها وعيوبها، ولا يُجسِّم العيوب، ولا ينظر إليها بميكروسكوب، يُضخِّم ما فيها من سيئات، وينسى ما فيها من حسنات، لا، فإنَّه إن فعل ذلك؛ فإنَّه لا يمكن أن تستقر به المعيشة، لا بدَّ أن ينظر إلى المرأة بجملة مزاياها ومعاييها، ويوطِّن نفسه على أنَّه لا توجد إنسانة كاملة.

### فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا:

هكذا ينبغي، فإذا أحسَّ نحوها بشيء كان عليه أن يضغط على عاطفته، ولا يسارع بالاستجابة إلى نزوات نفسه وأهوائها وعواطفها، فيطلق المرأة، فيهدم الأسرة، والله تعالى يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

لعل هذه المرأة التي تنفر منها تُرزق منها بأولاد صالحين، وبنات صالحات، وأبناء بُغَاء، فهذا يُعوِّض نفرتك منها، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

لعل هذه المرأة التي تنفر منها تكون سندًا لك عند الشدَّة، إذا حلَّت بك النوازل، إذا افتقرت بعد غنى، إذا ذللت بعد عزَّة، إذا عُزلت من عملك، إذا أصابك مكروه، هي التي تكون سندًا لك، وذراعك اليمنى، وتقف معك في الشدائد، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأحمد (٨٣٦٣)، عن أبي هريرة.

لعل هذه المرأة التي تكرهها اليوم هي التي تقف معك في شيخوختك عندما يشتعل رأسك شيبًا، عندما يهن العظم منك، عندما تبلغ من الكبر عتيًا وينصرف عنك الناس، هذه هي التي تُمرّضك في شيخوختك، وتكون عونًا لك في ذلك الحين، هذا معنى قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

### بالدين وبالأخلاق يتعاشر الناس:

البيوت تقوم على المعروف، وليست كل البيوت قائمة على الحب، كما قال عمر رضي الله عنه؛ جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه وقال: يا أمير المؤمنين تلوموني على كثرة الطلاق؛ فسل هذه: لماذا طلقتها؟ وقد جاء بامرأتها التي طلقها، فقال له عمر: لماذا طلقك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين سألني بالله: هل أحبه؟ فامتنعت عن الإجابة، فكرّر عليّ، وناشدني بالله مرة ومرة أن أجيبه بصدق وصراحة. فقال عمر رضي الله عنه: إذا كانت إحداكن لا تحب رجلها فلا تخبره؛ فإنّ أقلّ البيوت ما بُني على الحب، وإنّما يتعاشر الناس بالإسلام والأحساب<sup>(١)</sup>.

إذا لم تكن المرأة تحب زوجها لا تقول له: أنا لا أحبك. بل تحاول أن تجيبه إجابة فيها نوع من المعاريض، إذا سألتها: هل تحبينني؟ تقول له: وأي امرأة لا تحب زوجها؟ وكيف لا تحب المرأة زوجها؟

وإن كان هذا السؤال خطأ من الرجل، لا ينبغي أن يسأل زوجته هذا السؤال، وإذا سألتها لا يلح عليها، كما لا ينبغي للرجل إذا زُفّت إليه امرأة

(١) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ٨٩، رقم (١٧٨)، تحقيق مصطفى الشلبي، نشر مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

أن يسألها عن ماضيها: هل عرفت رجلاً غيري؟ هل أحببت شاباً قبلي؟ هذا سؤال أحمق لا ينبغي للرجل أن يسأله، ولا ينبغي للمرأة أن تجيب عنه، إن كان لها ماضٍ فعفا الله عما سلف، ابداً صفحة جديدة، وهل تسألك هي أيضاً عن ماضيك؟ وعمّن تعرف قبل ذلك؟ الصواب أن يدعا ما مضى، ويبدأ صفحة جديدة، مليئة بالمحبة والمودة، وحسن المعاشرة، هذا ما ينبغي للإنسان المسلم.

وقد أجاز النبي ﷺ الكذب في مثل هذه الحالة، كما روت أم كلثوم بنت عقبة، وكانت من المهاجرات الأول: «أن النبي ﷺ لم يكن يُرخص في الكذب إلا في ثلاث: في الحرب؛ فإن الحرب خدعة، وفي الإصلاح بين الناس؛ فليس بكذاب من أصلح بين اثنين؛ فقال خيراً أو أنمى خيراً»، لا يقول: أنا سمعت فلاناً يقول عنك كذا، ويذهب إليه ويقول: أنا أقول الحق. لا، هذا هو الصدق القبيح، لا تنقل الكلام السيئ من إنسان إلى آخر، ومن مجلس إلى آخر، إذا كان ذلك يُقطع الروابط بين الناس، فهذا هو الذي سمّاه الإسلام النميّة، و«لا يدخل الجنة نمام»<sup>(١)</sup>، والأمر الثالث: «وحديث الرجل مع امرأته، وحديث المرأة مع زوجها»<sup>(٢)</sup>. لا مانع من أن تقول له: أنا أحبك. وإن لم تكن تحبه، وأن يقول لها: أنا أحبك. وإن لم يكن يحبها، ربما إذا تكرر هذا الكلام نفسه يوحى بالمحبة، فقد يتزوج الرجل المرأة وهو لا يحبها، ولكن بدوام العشرة يحبها وتحبه، بلطف المعاملة، بالأخلاق الكريمة، فهذا هو ما جاء به الإسلام في هذه القضية.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠٥)، وأحمد (٢٣٣٢٥).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٠٥)، وأحمد (٢٧٢٧٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٢١)، عن أم كلثوم بنت عقبة.

إنَّ الإسلام يحرص على إقامة البيت الصالح، على إقامة الأسرة الصالحة، على هذه الدعائم المكيّنة، الّتي لو رعاها المسلمون وأعطوها حقوقها كما ينبغي: ما انهدمت أسرة، ولا انهار بيت من بيوت المسلمين، ولكن المسلمين أساءوا فهم الأسرة والحياة الزوجيّة وآدابها فوق ما وقع، وعلينا أن نعيد الفهم في ضوء مقرّرات الشرع، في ضوء أحكام الكتاب والسُّنّة، في ضوء السيرة النبوّية، وهدى السلف الصالح، فقد كانوا أفهم الناس لهدى الإسلام، وأفقههم لفقه القرآن والسُّنّة.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يضيء لنا الطريق؛ إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*





## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### تقاتل المجاهدين الأفغان:

مما يُدمي القلب، وينغص الفؤاد ما نراه في بلاد المسلمين الآن، ما نراه من تفرُّق وتمزُّق جعل الأمة الواحدة أمّاء، وجعل البلد الواحد بلداناً، وجعل الناس يبغض بعضهم بعضاً، ويسفك بعضهم دماء بعض، ويستحلُّ بعضهم حرّات بعض، ما الذي حدث للأمة الإسلامية حتّى نرى ما نرى اليوم؟ نرى ذلك في الجزائر، ونرى ذلك في مصر، ونرى ذلك في الصومال، ونرى ذلك في كراتشي بباكستان، ونرى ذلك في أفغانستان.

حتى أفغانستان، البلد الذي جاهد في سبيل الله، وصمد صمود الأبطال أمام الاتّحاد السوفيتي، وصبر سنين طويلة، يقاتل بما تيسر من السلاح؛ حتّى يسّر الله السلاح الكثير، واستطاع أن ينتصر على الدولة الثانية في العالم، ترسانة الأسلحة الكبرى، الاتّحاد السوفيتي، استطاع الإخوة في أفغانستان أن ينتصروا على الاتّحاد السوفيتي، ولكنهم للأسف - والأسف الشديد - لم يستطيعوا أن ينتصروا على أنفسهم.

كنا ننتظر بعد هذا الجهاد الذي أيّده المسلمون في العالم كله، بالمال وبالسلاح وبالنفس، وقد سقط الشهداء هناك من كل بلد، ومنهم شهداء من هذا البلد من أبناء قطر، ومن أبناء بلاد العرب وبلاد المسلمين، حتّى جاءهم من أوروبا ومن أمريكا، ومن الجاليات الإسلامية المختلفة، فقد كانوا يرون هذا الجهاد جهاداً لتكون كلمة الله هي العليا، وتكون كلمة أعدائه هي السفلى، جهاداً في سبيل الله، ولذلك

شدّ المسلمون أزرهم، ووقفوا بجانبهم في كل مكان، وبذلوا لهم النفس والنفيس، والغالي والرخيص.

كنا ننتظر بعد هذا الانتصار الذي حدث، كنا نطمع ونحلم أن تقوم بعده دولة للإسلام، تُعلي كلمة الله، وترفع راية الإيمان، وتحكم شريعة القرآن، وتعطي نموذجاً للناس، فإذا هذا الحلم يتبخّر، وإذا بهؤلاء يقاتل بعضهم بعضاً، رفقاء الجهاد بالأمس هم أعداء اليوم، يتقاتلون ويضرب بعضهم بعضاً بالصواريخ.

ماذا أصابكم أيُّها القوم؟ أجننتم؟ أنسيتم ما وقع لكم؛ أنسيتم أنكم كنتم رفقاء بالأمس، وأنكم جميعاً كنتم مُعرّضون للقتل بين لحظة وأخرى؟ ماذا أصابكم يا زعماء الجهاد حتّى حدث لكم ما حدث، ونزل بكم ما نزل، وأصبحتم تقاتلون بعضكم بعضاً؟ هل نسيتم قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(١)</sup>. هذا شأن أهل الجاهليّة، شأن الكفار، وليس شأن المسلمين، لم يُقتل في كابل في عهد الحرب مع السوفييت ما قُتل بعد خروج السوفييت، هل هذا أمر مقبول؟!

لقد خذلنا هؤلاء الإخوة للأسف، وأصبحنا لا نستطيع أن نتكلم أمام العلمانيين واللا دينيين، ويقولون: هذا هو الجهاد الذي ساعدتموه بالأمس! وهؤلاء هم المجاهدون الذين كنتم تتحدّثون عنهم! ألا يعقل هؤلاء ما أصاب الإسلام من ورائهم؟ هذا للأسف ما يحدث في أفغانستان.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.





لا شك أن هناك أيادٍ تلعب في الخفاء، وهناك قوى تُدبر لهؤلاء، تريد لهم أن يقتل بعضهم بعضًا، وأن يتخلَّصوا من السلاح الذي استولوا عليه من قبل من الاتحاد السوفيتي، ولذلك تكيد لهم، وتمكر بهم، وتخطط لهم.

ولكن هذا ليس عذرًا، ليس عذرًا أن نقع في مكر الماكرين، أن نقع في أحبولة الكيد، أن ننقذ مخطط الأعداء ونقول: إنَّ الأعداء قد خطَّطوا. إلى متى يخطُّط الأعداء لنا، ولا نخطُّط لأنفسنا؟ هذا ما ينبغي أن نفعله. إن هذه القضية للأسف قضية تمزق قلوبنا، وتدمع عيوننا كلما قرأنا أخبارهم، هذه الحركة التي ظهرت في أفغانستان فجأة، وما كان لها وجود من قبل، حركة (طالبان) كما يسمونها، متى خرجت؟ وكيف خرجت؟ ومن أخرجها؟ ومن أعطاه كل هذه الأسلحة والدبابات والصواريخ؟ من وراء هذا كله؟ من هي القوى التي تريد أن تفتك بالمسلمين، وتكيد لهم في كل بلد؟ من الذي يُحرِّك الفتن في هذه البلاد: في الجزائر، وفي الصومال، وفي مصر، وفي غيرها؟ ما الذي حدث لهذه الأمة؟

الشاب الذي ذهب إلى سفارة مصر في باكستان، وفجَّر سيارته، شاب أو اثنان، ما الذي جعل هؤلاء يفعلون ذلك؟ أي حقد امتلأت به قلوبهم؟ ما الذي جعل قلوبهم تمتلئ بمثل هذه الكراهية وهذا الحقد؟ من المسؤول عن ذلك؟ نحن ندين هؤلاء الشباب، وننكر عليهم، ولكن هذه القضايا قضايا خطيرة، يجب أن تُعالج من جذورها، يجب أن نعالج الأسباب، ما الذي أدَّى إلى هذا في باكستان؟ وما الذي أدَّى إلى ما أدَّى إليه في الجزائر؟



هذه القضايا نذكرها ونحتار: ماذا نفعل أمامها؟ ولم يعد أمامنا شيء، لا يستطيع أحد أن يفعل شيئاً، ليس لهذه الأمة مجلس من الحكماء، يمكن أن يجتمع ويقول: كيف نعالج هذه القضايا الخطيرة؟ ليس للأمة هذا المجلس كما كان لصهيون مجلس حكماء صهيون الذي قرر (بروتوكولات حكماء صهيون)؛ أليس هناك حكماء في هذه الأمة يستطيعون أن يجتمعوا؟

هناك منظمة المؤتمر الإسلامي، ولكنها منظمة هشة ضعيفة، لم تعالج قضية من القضايا، وهناك الجامعة العربية، وهي أضعف ما تكون، هذا ما وصل إليه حالنا.

ليس لنا إلا الشكوى إلى الله، ليس لها من دون الله كاشفة، ليس لنا إلا التضرع إلى الله: أن يُضيء لهذه الأمة الطريق، وأن يُبصرها بالصراط المستقيم، وأن يحميها من كيد أعدائها وهم كثيرون، وأن يحميها من أنفسها؛ فإن الأمة إنما تُصاب وتُضرب بأيدي أبنائها أكثر مما تُضرب بأيدي أعدائها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وهذا هو الطريق: التغيير، والتغيير النفسي، تغيير ما بالأنفس من أخلاق وسلوك، وتغيير ما بالعقول من أفكار ومفاهيم، فإذا استقامت الأنفس استقامت الحياة.

أسأل الله تعالى أن يجعل يوم هذه الأمة خيراً من أمسها، وأن يجعل غدها خيراً من يومها، وأن يُحسن عاقبتها في الأمور كلها، وأن يجيرها من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

## إنهاء الزواج (١)<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كنا قبل رمضان قد تحدّثنا عن الزواج، عن الأسرة المسلمة، عن البيت المسلم الذي ينشده الإسلام، عن أهميّة هذا الزواج، وعن ثماره وفوائده للفرد وللمجتمع، وعن عوائق الزواج، عن حقوق الحياة الزوجيّة، ما على كل زوج لصاحبه، وعن الزوج الصالح، وعن الزوجة الصالحة.

واليوم نتحدث عن الحياة الزوجيّة حينما تعترّيها الصعوبات والمُعَوِّقات، حينما يكره الرجل المرأة، وتكره المرأة الرجل، حينما لا يكون هناك بُدٌّ من الانفصال.

إنَّ الإسلام دين واقعي، لا يُحَلِّقُ في أجواء الخيال، ولا ينظر إلى الحياة المثالية المُجَنَّحة لا تتصل بالحياة الواقعيّة التي يعيشها الناس على ظهر الأرض.

(١) أُلْقِيَتْ بِمَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوحَةِ، فِي دَيْسَمْبَرِ ١٩٩٥م.

الإسلام شريعة تُنظّم الواقع، تعترف بضعف الإنسان، وعواطفه، وغرائزه، وضروراته، وحاجاته، ولذلك شرعت لكل حالة ما يناسبها، لم تغمض العين، ولم تسد أذنًا من طين، وأذنًا من عجين على ما يحدث في الحياة الزوجيّة من كدر، من أجل هذا شرعت الطلاق.

### إجراءات وقائية ضد الطلاق:

ولكن الإسلام قبل أن يشرع الطلاق وضع من الخطوات الوقائيّة ما يمنع وقوع هذا الطلاق كلّما أمكن ذلك، لو أنّ الناس نفّذوا تعاليم الإسلام في الزواج كما ينبغي لقلّ وقوع الطلاق، المفروض في المسلم أن يفتح عينيه واسعتين قبل الزواج، وأن يغمضهما نصف إغماضة بعد الزواج، ولكن الناس لا يفعلون ذلك.

#### ١ - حسن اختيار الزوجة:

على الإنسان المسلم أن يحسن اختيار من يتزوّجه، ينفذ تعاليم الإسلام، يختار المرأة الصالحة من الأسرة الصالحة، يراها قبل الزواج وتراه، ويسمعها وتسمعه، حتّى يكون الزواج عن رضا واقتناع.

#### ٢ - رعاية الحقوق الزوجيّة:

وبعد ذلك ينبغي أن يراعي حقوق الحياة الزوجيّة، يُحسن إليها وتُحسن إليه، يقدّم كلّ منهما لصاحبه أقصى ما عنده، يصبر عليه، لا يسارع إلى تلبية العاطفة كلّما أحسّ بالنفور أو بالكراهية.

والنبي ﷺ يقول: «لا يَفْرَكُ مؤمِنٌ مؤمنة - أي: لا ييغضها ولا يكرهها - إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر»<sup>(١)</sup>. يجب أن يأخذها

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأحمد (٨٣٦٣)، عن أبي هريرة.

بمجموعها، ينظر إلى جانب الحسنات بجوار جانب السيئات، ينظر إلى المزايا، وينظر إلى العيوب.

والقرآن الكريم يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. لعل هذه المرأة التي تكرهها تكون عدة لك في الشيخوخة، يرزقك الله منها أولاد نبغاء أذكاء فضلاء، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

لا ينبغي أن يستجيب الناس لأول عاطفة تبدو منهم بالكراهية، فالحياة الزوجية رباط مقدس، ميثاق غليظ، كما سمّاه القرآن الكريم، ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، فلا نقض هذا الميثاق، ولا نحل هذا الرباط، ولا نهدم هذه المؤسسة بأدنى سبب، ينبغي أن نحرص عليها ما أمكننا.

### ٣ - الصبر على المكاره:

علينا أن نحافظ على الحياة الزوجية، ونصبر عليها، فإذا لم يكن من الطلاق بُدٌّ فلا حول ولا قوة إلا بالله، لكن بعد أن نستنفذ كل الوسائل، الوسائل النفسية، أن تضغط على نفسك، وتحتمل رغم الكراهية، وتصبر رغم النفور، كما قال النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنْ أَعْوَجَ شَيْءٌ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمَهُ كَسْرَتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فاستوصوا بالنساء»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا إشارة إلى لسان المرأة وعقلها الذي تحكمه العواطف غالباً، فإن صبرت على المرأة استمتعت بها وفيها عوج، العوج الفطري

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٣٣٣١)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٨)، عن أبي هريرة.

الطبيعي الذي تغلب فيه العاطفة على العقل، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرهما طلاقها، الضلع أعوج بطبيعته لا يقبل أن تقيمه إلا إذا كسرتة، فلا بد أن تقبلها على علاقتها، تأخذها بما هي، لا تتصور أنها ملاك، هي إنسان فيه ضعف الإنسان، وهل أنت كامل من كل جانب؟ لماذا تطلب منها الكمال ولا تنشئ الكمال في نفسك؟ عندك قصور وعندها قصور، فيك نقص وفيها نقص، فليكمّل كل منكما الآخر، لا بد من هذه الناحية النفسية.

#### ٤ - علاج النشوز:

ولا بد من علاج النشوز عندما يظهر، إذا بدأ الخلاف يمكن أن يعالج بكلمة طيبة، بموعظة حسنة، بتدخل قريب من أقرباء الزوج أو أقرباء الزوجة ليحل المشكلة بسهولة، فإن استمر النشوز فقد أشار القرآن إلى مراحل العلاج، قال: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضَرُّوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

هذه مراحل مُتَدَرِّجَة، أوّل مرحلة هي الوعظ، أن تُخَوِّفها بالله والدار الآخرة، وبنتيجة الطلاق وأثره عند الله، وعند الناس، وفي الحياة الاجتماعية العامة، يعظها بما يؤثر في نفسها.

إذا نفع هذا الوعظ فيه، وإلا انتقل إلى مرحلة أخرى، مرحلة الهجر في المضجع، في فراش الزوجية، يعطيها ظهره، دلالة على أنه قادر على ضبط نفسه، قادر على الاستغناء عنها في الليل، فلعلّ هذا يجعلها تفكر، وتعاود الأمر بروح الإنسانة العاقلة، ولا يجوز الهجر في غير المضجع بأن يتركها ويجلس في حجرة أخرى.

إذا نفع الهجر في المضجع فيه، وإلا انتقل إلى مرحلة الضرب، والضرب هنا ليس علاجاً عاماً، ليست كل النساء يصلح معهنّ الضرب، بعض النساء يفسدهن الضرب، لا تطيقه، لم تُضرب في حياتها، ما ضربت في بيت أبيها؛ فكيف تضربها أنت؟

والنبي ﷺ حينما شكت إليه بعض النساء أن أزواجهنّ يضربونهنّ قال: «أولئك ليسوا خياركم، لن يضرب خياركم»<sup>(١)</sup>. الرجل الخير الكريم لا يضرب امرأته، وما ضرب النبي ﷺ امرأة قط، ولا ضرب خادماً قط، بل ما ضرب دابة قط<sup>(٢)</sup>، لأنه أكرم الكرماء ﷺ، يعالج الأمور بالرفق والحكمة، فينبغي أن تكون لنا في رسول الله أسوة حسنة.

قد يفيد هذا الضرب مع بعض النساء، ولكن إذا حدث هذا فينبغي أن يكون أمراً مدروساً بحيث لا يضربها في الوجه، ولا يضربها في مقتل، ولا يضربها بعصا فيكسر رأسها، أو يضربها ضرباً مبرحاً بسوط كأنما يجلدها، لا ينبغي أن يفعل ذلك، وإنما كما أشار النبي ﷺ حينما أغضبت إحدى الخادمتين في أمر من الأمور، فقال: «لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك»<sup>(٣)</sup>.

إن كان ولا بد من الضرب، مع أن النبي ﷺ يقول: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يُجامعها في آخر اليوم»<sup>(٤)</sup>. لا يتفق هذا مع ذاك،

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٦.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، عن عائشة.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجوّد إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١)، وضعفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود (يوم القيامة) ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

(٤) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في النكاح (٥٢٠٤)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٥)، عن عبد الله بن زمعة.



ليس الضرب من خصائص الحياة الزوجية، هو استثناء في هذه الحياة، فإن كان ولا بد من الضرب فليكن بضوابطه وشروطه.

## ٥ - الإصلاح بين الزوجين:

إذا نفع هذا الضرب فيه، وإلا فقد استحکم الخلاف فلا بد من التحكيم، وهنا يقول القرآن: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]. وهذا خطاب للمجتمع عامة، وإلى أولى الأمر فيه خاصة، لا ينبغي للمجتمع أن يقف مكتوف اليدين، ويدع أسرة تتفكك وتنهار أمام عينيه وهو يتفرج، لا بد أن يتدخل المجتمع.

كيف يتدخل المجتمع؟ بأن يعقد هذا المجلس العائلي، هذه المحكمة العائلية، يبعثون رجلاً من أهل الزوج، ورجلاً مثله من أهل الزوجة، رجلين عاقلين قادرين على الحكم، ومن أهل الرأي، وإنما كانا من الأهل حتى لا تنتشر أسرار البيوت في المجتمع، نحصرها في أضيق نطاق ممكن، فلا يعرف بها إلا اثنان من عقلاء الأسرتين، ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، قال الصحابة: إن شاء أن يجمعاً جمعاً، وإن شاء أن يُفَرِّقاً فَرَّقَا. هم حكمان من حقهما أن يحكما بما شاء، وينبغي أن يُنفذ ما وصلا إليه.

وقد أشار القرآن إلى حالة التوفيق بين الطرفين المختلفين، ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، ولم يذكر الجانب الآخر، ولم يذكر حالة عدم التوفيق؛ إشارة إلى أن الله يكره الفراق، ويحب التوفيق والإصلاح، ولذلك حينما بعث عمر رضي الله عنه حكّمين للإصلاح بين رجل وامرأته، وجاء الحكماء وقالوا: يا أمير المؤمنين لم نستطع أن نصلح ذات



بينهما. فقال لهما: أصلحا نياتكما وعودا. ارجعا وحاولا بنية جديدة، بعزيمة صادقة، بنية صالحة، فرجع الحكمان، وحاولا من جديد بعد أن جددا هذه النية، ووفقهما الله، وجاءا إليه وقالوا: يا أمير المؤمنين قد وفق الله بين الزوجين. فقال عمر: صدق الله: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾<sup>(١)</sup>. الإرادة والنية لهما أهميتهما في التأثير في العمل، فإذا عجز الحكمان فليس هناك إلا الطلاق.

### التهاون في اتخاذ الإجراءات الوقائية:

إن كثيرا من المسلمين للأسف لا يتبعون هذه الخطوات، وكلما غضب أحدهم من زوجته في أمر لجأ إلى الطلاق، وأحيانا لا يغضب من زوجته، يغضب في السوق من رجل فيحلف بالطلاق على امرأته، ومعظم المذاهب توقع هذه الطلاقات، يقول: عليّ الطلاق لأفعلنّ كذا، أو لتفعلنّ كذا. والمرأة لا دخل لها، غضب على زميله في العمل، أو في المتجر، فيرجع إلى امرأته ليجدها مطلقة، وكثيرا ما يكون الطلاق بالثلاث، فتطلق المرأة ثلاثا، هذا ما تقول به أكثر المذاهب، ويبحث الناس بعد ذلك عن المحلل، هذه مصيبة أخرى، يقع الناس في المشاكل، والمفروض أن نتبع سبيل الإسلام، طرائق الإصلاح، أساليب الشرع في الطلاق.

### حرمة الطلاق بغير ضرورة:

إذا كان ولا بدّ من الطلاق، «أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق»<sup>(٢)</sup>، فلا ينبغي أن نلجأ إليه إلا لضرورة أو حاجة معتبرة، والله تعالى وصف

(١) إحياء علوم الدين (٤٩/٢).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٣٥.

السَّحَرَةُ الْكَفَرَةُ بِأَنَّهُمْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فاعتبر التفريق بين المرء وزوجه من أكبر الكبائر، من مظاهر الكفر والعياذ بالله.

وجاء في الحديث الصحيح أَنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْصُبُ عَرْشَهُ عَلَى الْبَحْرِ، وَيَبْعَثُ جُنُودَهُ، فَأَقْرِبُهُمْ إِلَيْهِ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، فَيَأْتِي أَحَدَهُمْ فيقول: ما زِلْتُ بِهِ حَتَّى شَرِبْتُ الْخَمْرَ. فيقول: السَّاعَةَ يَتُوبُ. وَيَأْتِي الْآخَرَ، فيقول: ما زِلْتُ بِهِ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. فَيَقْبَلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ويقول: أَنْتَ أَنْتَ»<sup>(١)</sup>. أنت التلميذ النجيب، أنت الذي فعلت ما ينبغي أن تُكافأ عليه، ويضع التاج على رأسه، فأعظم ما يسر إبليس، ويهيج قلبه أن تتهدم الأسر، لأنَّ وراء ذلك أطفال تُشَرَّد، امرأة تُفَرَّق عن بيتها، مصائب تحدث، وكل هذا يسرُّ إبليس اللعين، فلا تُفْرَح إبليس بالطلاق، لا تُسَرَّ إبليس بالانفصال، هذا ما جاء به الإسلام.

### واقعية الشريعة الإسلامية:

ولكن الإسلام كما قلنا: لأنَّه شريعة واقعية لم يُغفل أنَّه قد توجد أحوال تُحْتَم أن يحدث الفراق، لم يفعل الإسلام ما فعلت المسيحية التي حرَّمت الطلاق تحريمًا نهائيًّا، كما عند الكاثوليكية النصرانية، فالطلاق لا يجوز عندها، وعند الأرثوذكس من النصارى لا يجوز الطلاق إلاَّ لعدة الزنا، إذا زنت المرأة وخانت زوجها، وثبت ذلك عليها يجوز الطلاق، ولم يفعل الإسلام ذلك، لأنَّه لا يقبل أن يعيش الناس حياة يكرهونها

(١) رواه مسلم في صفة القيامة (٢٨١٣)، وأحمد (١٤٣٧٧)، عن جابر.

رغم أنوفهم، كما قال أحد الحكماء قديماً: إِنَّ من أعظم البلايا مصاحبة مَنْ لا يوافقك ولا يفارقك. كما قال أبو الطيّب:

ومن نكد الدُّنيا على الحر أن يرى عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ<sup>(١)</sup>

عدو مفروض عليك، تعاشره رغم أنفك، فالإسلام لا يقبل هذا، ولهذا شرع الطلاق في هذه الحالة، ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلَّ مِّن سَعَتِهِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿[النساء: ١٣٠]، إن لم يكن وفاق ففراق، آخر الدواء الكي، كما قال الشاعر:

إن لم يكن إلّا الأسنّة مركبٌ فما حيلة المضطرّ إلّا رُكوبُهَا<sup>(٢)</sup>

الطلاق هنا أشبه بالعملية الجراحية، لا ينبغي أن يلجأ إليها إلّا في النهاية، إذا أمكنك أن تُعالج الداء بتناول شراب أو أقراص أو حبوب أو نحو ذلك؛ فلا تلجأ إلى عملية جراحية، أمّا إذا لم تُفد هذه الأدوية فلا بدّ من هذه العملية، فالطلاق عملية جراحية في الأسرة اقتضاها الواقع فنزل على حكم الواقع.

المسيحيون الذين رفضوا الطلاق بحكم ديانتهم خرجوا عن المسيحية، وشرعوا الطلاق المدني، ليس طلاقاً بحكم الدين، وإنّما بحكم القوانين المدنية، وتوسّعوا فيه توسّعاً كبيراً جداً، حتّى صار من حقّ المرأة أن تطلب الطلاق لأسباب تافهة، كما طلبت إحداهن في أمريكا الطلاق من زوجها لأنّه لم يهتم بكلبها، لم يقل له: صباح الخير يا جيمي أو يا شوشو أو يا كذا! فهي تطلب الطلاق من أجل هذا، فهي

(١) ديوان المتنبي ص ١٩٨.

(٢) ديوان الكميت بن زيد الأسدي ص ٧١، تحقيق محمد نبيل طريفي، نشر دار صادر، بيروت،

ط ١، ٢٠٠٠ م.

تعتبر أنّه أهانها لأنّه أهان كلبها، وهكذا الذين حرموا الطلاق نهائياً وسّعوا فيه إلى أبعد مدى، وإلى أوسع نطاق.

### الطلاق الرجعي:

والإسلام هو دين الاعتدال، هو المنهج الوسط للأمة الوسط، شرع هذا الطلاق، وشرعه طلاقاً رجعيّاً، بحيث تجوز الرجعة، ولذلك فكل طلاق يمنع الرجعة هو ضد الطلاق الإسلامي، هذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(١)</sup>، وتلميذه ابن القيم<sup>(٢)</sup>.

الأصل في الطلاق أنّه يجوز فيه الرجوع، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]. أزواجهن أحق بردهن في زمن العدة إن أرادوا إصلاحاً.

وقال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. فيمكنك بعد الطلاق الإمساك بمعروف، أو التسريح بإحسان، أمّا الطلاق الذي يقطع الطريق عليك من أوّل مرّة فهذا لم يشرعه الله ﷻ، هذا هو المذهب الصحيح.

### الطلاق المعلق:

إذا أريد بالطلاق الحلف، الحض على شيء، أو المنع من شيء، فهذا لا يقع به الطلاق، ومثله الطلاق المعلق، يقول لزوجته: إن ذهبت

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٣٣)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد،

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) زاد المعاد (٢٢٥/٥، ٢٢٦)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

إلى المكان المعين فانت طالق. فمثل هذا الطلاق فهو على القول الراجح يمين فيه كفارة، إذا لم يتحقق ما علّقه عليه، أو ما حلف عليه.

### الطلاق في الحيض:

ينبغي أن يكون الطلاق في الطهر، لا في الحيض، السنة أن يُطلق الرجل المرأة في طهرها، وألا يكون في طهر مسّها فيه، فربما تكون قد حملت منه وهو لا يدري، ولو عرف ذلك لغير رأيه، وهذا يعني أنه لا بدّ أن ينتظر، لا يسارع إلى الطلاق، بل ينتظر الوقت المناسب، فلعله في هذا يراجع نفسه في تلك المدة.

### بقاء المرأة في بيتها في العدة:

ثم إذا طلق ينبغي للمرأة أن تظل في بيت الزوجية، لا تخرج من بيت الزوجية، بعض النساء الآن إذا طلقها زوجها ما أسرع ما تجمع ثيابها وحليها وأشياءها الخاصة، وتذهب إلى بيت أبيها، ولا يجوز لها أن تفعل ذلك، ولا يجوز لزوجها أن يُمكنها من ذلك.

وهذا هو صريح القرآن، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١]. اعتبر الله بيت الرجل بيتاً للمرأة، فهو لا يزال بيتها حتى وإن وقع الطلاق، لأنّ الطلاق الرجعي لا يفصل الحياة الزوجية فصلاً نهائياً، لها النفقة طول مدة العدة، ولو ماتت في عدتها يرثها الزوج، ولو مات الزوج في عدتها ترثه زوجته، فالحياة الزوجية لا زالت قائمة بوجه ما، ولذلك ينبغي أن تظل المرأة في بيت الزوجية، لا يجوز أن يخرجها من بيتها، ولا يجوز أن تخرج هي.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]. أي أن القلوب تتغير، وقد يذهب الكدر ويأتي بعده الصفاء، «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء»<sup>(١)</sup>، لعل هذه نزوة عارضة، فوجودها في البيت يراها الرجل وتراه، يُصاحبها ويُماسيها، ويُراوحها ويُغاديها، لعل هذا يُذكره بالماضي، يُحيي الذكريات الماضية، يُحيي الأيام الطيبة؛ فيحن إليها ويرجع لها، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، هذا ما ينبغي أن يفعله الإنسان إذا طلق.

### النفقة والتمتع:

وإذا طلق الإنسان ينبغي أن يكون مع الطلاق متعة ونفقة، النفقة مفروغ منها، والتمتع قال بها بعض العلماء، وهو ظاهر القرآن الكريم، حتى من طُلِّقت قبل الدخول ولا عدة عليها، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، ويقول: ﴿وَلَمَّا طَلَّقْتَ مَتَّعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ويقول: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. هذه المتعة تختلف من شخص إلى آخر، على الموسر قدره، وعلى المقتر قدره، ومن مجتمع إلى آخر، ومن امرأة إلى أخرى، فلا بد أن يُراعى هذا كله.

### الوفاء للعشرة:

الطلاق في الإسلام لا يعني أن كل شيء انتهى بين الزوجين، خصوصًا الطلاق الرجعي، وحتى لو لم تكن هناك رجعة، الله تعالى يقول:

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٥٤)، وأحمد (٦٥٦٩)، عن عبد الله بن عمرو.





﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. كانت بينكم عشرة، وكان بينكم رباط، حتّى ولو لم يدخل الرجل بزوجته، انعقد بينه وبينها، وبينه وبين أسرته أسرة، فلا بدّ أن يُراعى الجميع هذه الأسرة، يراعيها الزوج، وتراعيها الزوجة، وأهل الزوج، وأهل الزوجة، قد يراعيها الزوج فيعطيهما فوق ما يجب عليه، وقد تراعيها الزوجة بأن تتنازل عن بعض حقّها.

ولكن الذي نراه للأسف أنّ الناس حينما يُطلّقون تفسد العلاقات بينهم، تقوم الحرب الضروس بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة، يكيد كلّ منهما لصاحبه، يشيع عنه الإشاعات الباطلة، يذهبون إلى المحاكم، ويطلب الإنسان ما ليس من حقّه، ويدّعي ما ليس له، ويكذب على الآخر، وليس هذا من شأن المسلم.

شرع الإسلام الطلاق عند تعذّر الوفاق علاجاً لهذه الحالة، فينبغي أن تُقدّر بقدرها، وألا نتجاوز فيها حتّى نقف عند حدود الله، كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

### نعمة الأمن في قطر:

من أعظم نعم الله تعالى على مجتمع ما: نعمة الكفاية من العيش، ونعمة الأمن من الخوف، وقد امتنّ الله تعالى على قريش بهاتين النعمتين، وطالبهم بشكرهما، بأن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فقال سبحانه: ﴿لَا يَلْفُ قَرْيَشٌ \* إِلَّا لِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ \* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤]. فقلوه: ﴿أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ﴾. هذه نعمة الكفاية من العيش، وقوله: ﴿وَأَمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾. هذه نعمة الأمن من الخوف، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا لِبَطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. أكرمهم الله بهذا البيت فكان الأمان سائداً عندهم، وإذا سافروا كانوا آمنين ببركة هذا البيت، أنهم سدنته، ﴿أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾.

وشر ما يُصاب به مجتمع من المجتمعات أن يفقد هاتين النعمتين فيُصاب بالجوع، ويبتلى بالخوف، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. لهذا كان الأمن نعمة عظيمة.

ومن هنا دعا سيدنا إبراهيم لمكة بالأمن فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]. وحينما ذهب سيدنا يعقوب

وزوجته وأولاده إلى يوسف آواهم إليه، وقال: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

الأمن نعمة عظيمة، ولذلك الجنة دار أمن، ليس فيها خوف، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ولذلك يقال للمتقين الذين يستحقون الجنة: ﴿أَدْخُلُوهَا سَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]. من أجل هذا كان الأمن نعمة عظيمة.

وقد عشنا في هذا البلد الطيب، وعرفنا أنه بلد آمن، ينعم بالأمن، وينعم بالاستقرار، وينعم بوحدة الصف، ومن أجل هذا كانت كل محاولة لزعزعة الأمن، أو زلزلة الاستقرار، أو تفتيت الوحدة، أو تمزيق الصف شراً على هذا البلد، ليس وراءه إلا الخراب والدمار.

ومن أجل ذلك يجب أن نكون على يقظة فلا نسمح لأحد أن يززع الأمن، أو يزلزل الاستقرار، أو يفتت الوحدة، وأن نقف كلنا صفاً واحداً حتى ينتج هذا البلد ويعطي، ويستمر إنتاجه وعطاؤه، وتقدمه وبنائه، ينبغي أن نكون صفاً واحداً، «المؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»<sup>(١)</sup>، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان؛ يشدُّ بعضه بعضاً»<sup>(٢)</sup>.

هذا في شأن المؤمنين جميعاً، فكيف إذا كانوا في بلد واحد، يعيشون تحت سقف واحد، ويعيشون حياة مشتركة، ويدينون بالولاء

(١) رواه أحمد (٦٩٧٠)، وقال مخرجه: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وصححه

الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

لأمير واحد وقائد واحد، هنا ينبغي أن يقفوا صفًا واحدًا خلف قائد المسيرة وأمير البلد، لا يسمحون بالزعزعة، ولا بالزلزلة، ولا بالفتنة تُثار؛ فإنَّ الفتنة إذا ثارت أكلت الأخضر واليابس، وأخذت البريء مع المسيء، ولم تقف عند حد، تُراق دماء بغير حق، وتنتهك حرمان بغير حق، وتضيع أموال بغير حق، هذا ما جرّبناه في أجواء الفتنة.

ونحن نسأل الله لهذا البلد أن يُجَنِّبه الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يظل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، مُوحَّد الصفِّ، مُوحَّد الكلمة، داعين الله ﷻ أن يوفِّق أمير هذا البلد إلى أن يُحكِّم شرعه، وأن يُعلي كلمته، وأن يقيم العدل في الأرض، فلا يتحيَّز لقويٍّ على ضعيف، ولا يحابي قريبًا ويظلم بعيدًا، نريد لهذا البلد أن يقوم فيه العدل، وأن يُعطى كلُّ ذي حقٍّ حقه.

إننا لا نرضى - أيُّها الإخوة - لهذا البلد أبدًا أن تصير فيه الفتن العمياء التي لا تقف - كما قلت لكم - عند حد إذا حدثت، إذا حدثت الفتن في أي بلد فإنها لا تميّز، الفتن لا سمع لها ولا بصر، فنحن نُحذِّر من هذه الفتن العمياء الصمّاء، لا نريد أن يُسفك دمٌ بغير حق، يخبرنا الله تعالى في كتابه أنّه قرر في الشرائع السابقة: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

لا يجوز بحال من الأحوال أن يُهدر دم بغير حق، والإسلام يمنع قتل الحيوان بغير حق، «عُذِّبَت امرأةٌ في هَرَّةٍ، سَجَنَتَهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتَهَا وَسَقَتَهَا إِذْ هِيَ حَبْسُهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

إِنَّ الْإِسْلَامَ يَحْفَظُ حُرْمَاتِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ، وَقَدْ أَعْلَنَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ عَلَى الْمَلَأِ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ أَمَامَ عَشْرَاتِ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَعْلَنَ هَذَا الْإِعْلَانُ الْإِنْسَانِي الْعَامَّ: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»<sup>(١)</sup>. ويقول ﷺ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»<sup>(٢)</sup>. الدُّنْيَا كُلُّهَا أَهْوَنُ مِنْ دَمٍ يُرَاقَ بِغَيْرِ حَقٍّ، هَذَا مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ.

إِنَّا نَدْعُو اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِهَذَا الْبَلَدِ - كَمَا نَدْعُو فِي كُلِّ جُمُعَةٍ دَائِمًا - أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا؛ لَأَنَّا نُوْمِنُ أَنَّ الْأَمْنَ هُوَ الَّذِي يَزْدَهَرُ فِي ظِلِّهِ الْإِنْتِاجُ، وَالْاِقْتِصَادُ، وَالتَّقَدُّمُ، وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، وَيَشْعُرُ النَّاسُ بِنِعْمَةِ الْاطْمَئِنَانِ وَالسَّلَامَةِ فِي حَيَاتِهِمْ، هَذَا إِذَا وَجَدَ الْأَمْنَ.

فَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَظِلَّ الْأَمْنَ فِي هَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْ يَظِلَّ الْاطْمَئِنَانُ، وَأَنْ يَظِلَّ السَّلَامُ، وَأَنْ تَظِلَّ الْوَحْدَةُ فِي هَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْ يَحْفَظَ هَذَا الْبَلَدَ وَطَنًا وَشَعْبًا وَأَمِيرًا وَحُكُومَةً، وَأَنْ يَهْدِيَ الْجَمِيعَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿[الحج: ٤٠، ٤١].

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حُكُومَةَ هَذَا الْبَلَدِ مَمَّنَ تَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ، حَتَّى يَسْتَحِقُّوا نَصْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَأْيِيدَهُ، وَحَتَّى يَبُوءَ الْمَاكِرُونَ بِالْفُشْلِ وَعَاقِبَةُ الْمَكْرِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكر.

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٤.



وأسأله تعالى أن يجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء ورخاء وسائر  
بلاد المسلمين، وأن يجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى،  
والنفوس على المحبة، والعزائم على عمل الخير وخير العمل؛ إنه  
سميع قريب.

\* \* \*



## إنهاء الزواج (٢) (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:  
لَا زَلْنَا فِي حَدِيثِنَا عَنِ الْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ، عَنِ الْبَيْتِ الْمُسْلِمِ، عَنِ  
الزَّوْجِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.

### الطلاق عمليّة جراحية:

وقد تحدثنا في الجمعة الماضية عن الطلاق، وقلنا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
شَرَعَ الطَّلَاقَ عِنْدَ تَعَذُّرِ الْوَفَاقِ، وَلَمْ يَفْرَضْ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَعِيشَ مَعَ  
امْرَأَةٍ لَا يَطِيقُهَا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ مَعَهَا، فَجَعَلَ الطَّلَاقَ شَرْعَةً، قُلْنَا:  
إِنَّهُ بِمِثَابَةِ الْعَمَلِيَّةِ الْجَرَاحِيَّةِ الَّتِي يُلْجَأُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ فَيُشَقُّ بَطْنُهُ، أَوْ يُبْتَرِ  
عَضْوُ مِنْ أَعْضَائِهِ لِيَسْلَمَ سَائِرُ الْجَسَدِ، هَذَا مَا شَرَعَهُ الْإِسْلَامُ فِي الطَّلَاقِ.

### تقييد إباحة الطلاق:

وَالطَّلَاقُ لَيْسَ أَمْرًا مَشْرُوعًا بِإِطْلَاقٍ، وَلَا كَلًّا مَبَاحًا يَرْعَاهُ مَنْ يَشَاءُ،  
لَقَدْ قَيَّدَهُ الْإِسْلَامُ بِأَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مَصْلَحَةٌ مِنْ وَرَائِهِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِهِ، وَإِلَّا

(١) أُلْقِيََتْ بِمَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْدُوحَةِ، فِي دَيْسَمْبَرِ ١٩٩٥ م.

فإنَّه حرام، لأنَّه - كما قال العلماء - إعدام للمصلحة الحاصلة بالزواج، وإضرار بالمرأة، وبأبنائها. والنبي ﷺ يقول: «لا ضرر، ولا ضرار»<sup>(١)</sup>. والطلاق إتلاف، وإذا كان إتلاف المال حرامًا فإتلاف الحياة الزوجية أشد حرمة من إتلاف المال.

قيّد الشرع الإسلامي الطلاق، قيّده في وقته فلا ينبغي للزوج أن يُطلق المرأة في أي وقت، فطلاق السُّنَّة أن يطلق المرأة في طهر لم يمسه فيها، لا تكون في حالة حيض، ولا في حالة نفاس، ولا في طهر جامعها فيه، قيّده في الوقت.

وقيّده في النية، أن تكون عنده نية في الطلاق، أن تكون له حاجة إلى الطلاق كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنما الطلاق عن وطر»<sup>(٢)</sup>. أي عن حاجة يريد أن يقضيها المطلّق، ولهذا فالصحيح أن طلاق السكران إذا لعبت به الخمر لا يقع، هكذا جاء عن عثمان وغيره من الصحابة والتابعين<sup>(٣)</sup>، لأنَّه ليس ضررًا به وحده، هو ضرر بامرأته وأولاده.

وكذلك لا يقع طلاق الغضبان إذا فقد السيطرة على نفسه وعلى أعصابه، وهذا الذي سمّاه الحديث الإغلاق، «لا طلاق في إغلاق»<sup>(٤)</sup>، فسّر الإغلاق بالإكراه، وفُسّر بالغضب، لأنَّ كلاهما يستغلق على الرجل قصده ونيته وإدراكه فيفعل ما لا يريد، ويقول ما لم يخطّط له، هنا لا يقع الطلاق، خصوصًا إذا اشتدَّ الغضب بصاحبه، وأصبح كالمجنون،

(١) سبق تخريجه ص ١٣.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا بصيغة الجزم، في كتاب الطلاق، قبل الحديث (٥٢٦٩).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٢٣٠٨)، وابن أبي شيبة (١٨٢٠٩)، كلاهما في الطلاق.

(٤) رواه أحمد (٢٦٣٦٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦)،

كلاهما في الطلاق، وحسّنه الألباني في صحيح أبي داود (١٦٦٥)، عن عائشة.



فهذا لا يقع طلاقه، وقريب منه مَنْ لم يُسيطر على نفسه، مَنْ فقد السيطرة على إرادته، فلا يقع طلاقه.

ومثله مَنْ جعل الطلاق يمينًا يحلف بها ليحمل نفسه أو يحمل غيره على فعل شيء، أو ليمنعه من شيء، أو ليمنعه من شيء، فهذا لا يكون شأنه شأن الطلاق، بل فيه كفارة يمين إذا حنث فيه، هذا هو الصحيح في أمر الطلاق.

### الطلاق بيد الرجل:

صحيح أَنَّ المسلمين أسأؤوا استعمال هذا الحق الذي جعله الله في يد الرجل للتخلص من الحياة الزوجية إذا ساءت العشرة، ولم يمكنه أن يصبر، وأن يضغط على عواطفه، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. إذا لم يستطع فقد جعل الشرع له هذا الطلاق.

وهذا الطلاق خسارة على الرجل، يخسر المهر الذي دفعه، وسيدفع المهر المتأخر عليه، وعليه نفقة المرأة، وعليه متعة لها، ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، فالرجل هو الخاسر من الطلاق، ولذلك جعل الشرع عقدة النكاح بيد الرجل، جعل العصمة أساسًا بيده، لأنَّه إذا هدم هذا العش أو هذا البيت فإنه سينهدم على أمِّ رأسه، هو الخاسر في هذه الحالة، هذا ما شرعه الإسلام.

### حقوق المرأة الكارهة زوجها:

ولكن هناك سؤال يسأله كثيرون: إذا كان الزواج بيد الرجل يتخلص به من المرأة إذا كرهها وأبغضها، ولم يطق العيش معها؛ فماذا بيد

المرأة؟ إذا كرهت المرأة الرجل، ولم تطق الحياة معه، فماذا تملك المرأة إزاء هذه الحياة؟ أنفرض عليها الحياة كرهاً تعيش مع رجل لا تحبه، بل لا تطيقه بغضاً، أنفرض عليها سجنًا بالإكراه؟

### اشتراط رضا المرأة:

هذا ما ترفضه الشريعة الإسلامية، وجعلت للمرأة الحق في نفسها، لا تُزوّج بغير رضاها، لا يستطيع أب، ولا جد، ولا أخ أن يجبرها على الزواج ممّن تكره، ممّن لا تريد، بل الأصل أن أمر المرأة بيدها، ووليها يوافق ويرضى، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وجاءت الأحاديث كما ذكرنا ونحن نتحدث عن الزواج: أنّ النبي ﷺ رد نكاح بعض النساء لأنهن لم يرضين بهن، فلا يجوز إذن إذا كان الزواج من أوّل الأمر برضا المرأة، فإذا أصبحت المرأة لا تطيق الحياة مع زوجها ماذا ملّكها الشرع من حق في هذه الناحية؟ ملّكها الشرع عدة أمور:

### ١ - حق الخلع:

أول ما ملّكها الشرع الخلع، أن تخلع نفسها من زوجها، وسُمّي خلعاً لأنّ المرأة تنخلع من لباس الزوجيّة كما يخلع الإنسان لباسه، والحياة الزوجيّة لباس لكل من الزوجين كما قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ويسمى أيضاً الافتداء لأنها تفتدي نفسها ببذل المال، أن تدفع للرجل ما كان قد أعطاه من مهر سابق، لأنّه سيحتاج إلى امرأة أخرى، فليس من المعقول أن يخسر امرأته، وقد يكون يحبها،

ويتعلق بها، لكن هي التي تريد الفراق، هي الكارهة، فلا بد أن تغرم ما دفع الرجل لها، وترده إليه.

وقد جاء في الصحيح: أَنَّ امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خُلُق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام. تقصد كفر العشرة، كفر النعمة، وفي رواية: إني لا أطيقه بغضًا<sup>(١)</sup>. وفي بعض الروايات: قد رأيته في جماعة من الرجال فإذا هو أقصرهم قامة، وأقبحهم وجهًا، وكذا وكذا، فأنا لا أطيقه يا رسول الله<sup>(٢)</sup>. فسألها رسول الله ﷺ: «ماذا أعطاك من صداق؟» قالت: أعطاني حديقة. قال: «أتردّين عليه حديقته؟» قالت: نعم، وزيادة يا رسول الله. قال: «لا زيادة». وقال لثابت: «اقبل الحديقة وطلّقها تطليقة»<sup>(٣)</sup>. وفي بعض الروايات أَنَّهُ أمره بفراقها، ولم يقل: طلقها.

ولذلك اختلف الفقهاء: هل الخلع طلاق أم فسخ؟ ظاهر القرآن يدلُّ على أَنَّهُ فسخ، لأنَّ القرآن قال: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. لا جناح على المرأة في هذه الحالة أن تفتدي نفسها ببذل الصداق للرجل، برده إليه، ولا جناح على الرجل أن يقبل ذلك منها إن خافا ألا يقيما حدود الله، ألا يؤدي كل منهما واجبه، ويؤدي للآخر حقّه الذي فرضه الله عليه، هكذا

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٥٦).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥٥٢/٤).

(٣) رواه البخاري في الطلاق (٥٢٧٣)، عن ابن عباس.

حكم الرسول ﷺ على المرأة أن تدفع ما دُفِعَ إليها، وعلى الرجل أن يقبل ذلك منها.

ولذلك من شأن القاضي المسلم إذا رُفِعَتْ إليه قضية من هذه القضايا، امرأة لا تطيق زوجها، ينبغي أن يتأكد من ذلك، ويستوثق منه، ولا يسمع لأي امرأة تشكو زوجها، فقد تكون نزوة عارضة، أو عاطفة طارئة، أو انفعالاً من غضب أدى إلى هذا الأمر، فلا بد أن يحاور المرأة ويعرف منها صدق كراهيتها للرجل، فإن ثبت له ذلك فينبغي أن يخلعها من زوجها.

وهكذا فعل سيدنا عمر رضي الله عنه، حينما جاءت امرأة تطلب خلعها من زوجها فلم يستجب لها عمر، وأمر بها أن توضع في زريبة للغنم، مكان رديء سيئ قدر، وباتت فيه، ثم أمر بها فجاءت إليه فسألها عن حالها، فقالت: يا أمير المؤمنين؛ هذه أهناً ليلة بُتُّ فيها. فعرف أنها في حالة رديئة مع زوجها، وهنا أمره بفراقها وخلعها، وأمرها أن تدفع له ما بذل لها من قبل.

هل يمكن أن تكون هناك زيادة على ما دفعه الزوج؟ قال بعض العلماء: لا تُقبل الزيادة. وقال بعضهم: تُقبل الزيادة إذا دفعها المرأة عن طيب نفس منها. لكن ربما بالغ بعض الأزواج في التضييق على المرأة حتى تبذل له أكثر وأكثر، ولا ينبغي له أن يفعل ذلك إلا بطيب نفس منها.

وأذكر حادثة كنت واسطة فيها: رجل زوّج ابنته لرجل بثلاثة آلاف جنيه، ثم وجد أنه لا يصلح حاله مع ابنته؛ هناك فروق في التفكير، وفي النشأة، وفي السلوك، أدرك الأب هذا، وشكت له ابنته أنها لا تستطيع أن تعايش هذا الرجل، فطلب منه أن يخالعها، وأن يعطيه الآلاف الثلاثة،

خاصة أنه لم يحصل دخول، فأبى الرجل ذلك، وقال له: إن كنت تريد ذلك فأنا أريد مائة ألف جنيه.

وهذا أمر غريب، فمهره ثلاثة آلاف، وحتى إن كانت هناك زيادة فهي أن تدفع شيئاً لا يبلغ المثل، فيزيد خمسمائة أو ألفاً، فإذا كان ما يطلب هو أكثر من ثلاثين مرة فهذا استغلال وظلم، ثم هو لا يطلب المرأة، بل يطلب من أبيها، والمفروض أن المرأة هي التي تدفع إذا كانت غنية، وليس على أبيها ولا أمها أن يدفع لها، فهناك بعض الناس يستغلون هذه الظروف.

والأصل أن يتكرّم الإنسان في ذلك، وقد قال الإمام سعيد بن المسيّب فقيه التابعين: ينبغي للرجل الكريم ألا يأخذ من امرأته كل ما دفعت له، بل يدع لها شيئاً<sup>(١)</sup>. يترك لها شيئاً من باب مكارم الأخلاق، ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، هذا هو اللائق بالإنسان المسلم.

وإن كان هو الكاره للمرأة المبغض لها، وهو الذي يريد أن يفارقها، وقد تعلق قلبه بامرأة أخرى فلا يحل له بحال أن يأخذ كثيراً أو قليلاً من مالها، لا يحل له درهم أو فلس من امرأته إن كان هو الكاره، إن كان يريد أن يستبدل زوجاً بزوجة، وامرأة بأخرى.

وهذا ما قاله القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ وكيف تأخذونه، وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذت منكم ميثقاً غليظاً [النساء: ٢٠، ٢١]. كيف تستحل أن تأخذ من امرأتك، ولا ذنب لها، وأنت الكاره لها؟ تريد أن تجبرها؟

(١) المحلى لابن حزم (٥٢٠/٩).

قد يُضَيَّق عليها ويعضلها ويؤذيها ويضارُّها حتَّى تفتدي نفسها منه، وهذا حرام مؤكد، إيذاؤها، ومُضَارَّتُها، والتَّضْيِيقُ عليها حرام شرعاً، ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، ﴿وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّعَنْدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١]، فهو يريد من هذا الضرار والإيذاء والتضييق أن تبذل له من مالها، أن تدفع له، هو الكاره، وهو الذي يريد الفراق، وهو الذي يريد الاستبدال، ومع هذا يريد أن ينتفع أيضاً بالمال، ما أسوأك أيها الزوج الخبيث، الزوج السارق الذي يريد أن يسرق امرأته ويأخذ مالها بغير حق وهو الكاره لها! فأول ما شرع الإسلام لتخليص المرأة الكارهة من زوجها الذي لا تطيقه هو الخلع.

## ٢ - طلاق القاضي:

وثاني ما شرع الإسلام للمرأة الكارهة هو تطليق القاضي، أن تلجأ المرأة إلى القضاء تشكو مُضَارَّةَ زوجها، أنَّها يُضَارُّها ويؤذيها، فإذا أثبت ذلك كان من واجب القاضي أن يُفَرِّقَ بينهما، إذا استطاع أن يُصلح بينهما فالصلح خير، وإلا فمن حقَّ المرأة أن تفارق زوجها الذي يضرها، ولا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

قال بعض فقهاء الشافعية: لو ضربها بغير حق، أو ضربها بحق ضرباً لا يليق، كأن يضربها على وجهها، أو يضربها ضرباً مُبَرِّحاً لا يليق بين الرجل وامرأته فمن حق القاضي أن يُفَرِّقَ بينهما<sup>(١)</sup>.

إنَّ المرأة ليست دابة، بل لا يجوز إيذاء الدابة في الإسلام بغير سبب، ولذلك قال الفقهاء: تُضرب الدابة على النفار، ولا تُضرب على

(١) انظر: الشرح الكبير للشيخ الدردير (٢/٣٤٣)، نشر دار الفكر.



العثار. إذا عثرت الدابة لا تضربها، فليس هذا بإرادتها، أمّا إذا حرنت ونفرت فهو بإرادتها فلك أن تضربها، وليست المرأة دابةً، فإذا أساء إليها، وضربها بغير حقّ فمن حقّ القاضي إذا ثبت له ذلك أن يُفرّق بينهما.

وإذا كان في الرجل عيب من العيوب الجنسيّة، لا يستطيع أن يقوم بحق الزوجيّة فهنا من حقّ القاضي إذا ثبت له ذلك أن يُفرّق بينهما، لأنّ الحياة الزوجيّة حقوق مشتركة، كما أنّ للرجل أن يفسخ العقد إذا ثبت أن في المرأة عيبًا جنسيًا يمنعه من الاستمتاع بها؛ فكذلك يجوز للمرأة أن تذهب إلى القضاء وتشتكى من ذلك، من كل العيوب الجنسيّة، وتستطيع المحكمة أن تثبت من ذلك بواسطة الطب الشرعي أو غير ذلك، وتُفرّق بينهما.

وكذلك إذا كان بالزوج مرض لا تستطيع الزوجة معاشته، كأن يكون به شيء من الجنون، أو به مرض مُعَدٍ، ولا يمكن علاجه، كالجذام أو البرص أو نحو ذلك ممّا كان يقوله الفقهاء قديمًا، أو كان مصابًا بالإيدز في عصرنا هذا، إذا ثبت أنّه مصاب بهذا المرض الخبيث الذي لم يُعرف له علاج حتّى اليوم فلا تُجبر المرأة على معاشرة الرجل المُصاب بمثل هذه الأمراض المُعضلة، من حقها أن تطلب الفراق، ومن واجب القاضي أن يُفرّق بينها وبين زوجها، أمور كثيرة يستطيع القضاء الشرعي العادل أن يفصل فيها إذا تبيّن له وثبتت، هذا هو الأمر الثاني الذي تملكه المرأة.

### ٣ - التحكيم العائلي:

وهناك أمر ثالث جعله الشرع في يد المرأة، وهو إذا كان الخلاف بينها وبين زوجها قد هبّت ريحه من قبلها ومن قبله، كلاهما لا يُطبق



صاحبه، هنا يكون التحكيم الذي أشرنا إليه في الخطبة السابقة، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

هذا التحكيم المُحَبَّب بنص القرآن محكمة عائلية، واحد من أهل الزوج، وواحد من أهل الزوجة، من أهل الرأي، ومن أهل الدين، وممن يكتمون الأسرار، وممن يقدرون على الحكم، لأن القرآن سمّاهما حكّمين، وليس كل إنسان يمكن أن يكون حَكَمًا، إنّما الحَكَم هو مَنْ يقدر على الحُكْم، مَنْ عنده عقل ورأي وفطنة، ومقدرة على معرفة الأمور من خباياها.

لا بدّ أن تحاول الأسرتان - أسرة الرجل وأسرة المرأة - إصلاح ما بين الزوجين بإرسال رجلين من خيرة الرجال، يعرفون دينهما وخلقهما ورأيهما ليفصلا في هذا الأمر، ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، إن شاء أن يجمعا جمعا، وإن شاء أن يُفَرِّقا فرقا، كما قال عثمان رضي الله عنه حينما بعث ابن عباس ومعاوية للتحكيم بين عقيل بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت عتبة<sup>(١)</sup>.

هذا ما جاء به الإسلام لإنصاف المرأة، إنّ الإسلام ليس قانوناً وضعت له لجنة من الرجال حتّى تتحيّز ضد النساء، الإسلام شرع فرضه ربُّ الرجال والنساء، الذي ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥]، هو ربُّ الرجل، وربُّ المرأة، فلا يمكن أن يكون شرعه منحازاً لأحد الطرفين ضد الآخر، إنّما هو العدل، هو عدل الله لعباد الله، هو حكم الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

(١) رواه عبد الرزاق في الطلاق (١١٨٨٥).



ليت المسلمون يقفون عند حدود الله في هذه القضايا، ويحتكمون إلى شرع الله، لا إلى أهواء النفوس، ولا إلى نزواتها، ولا إلى العواطف الطارئة، ولا إلى كلام الناس الذي يروج أحياناً بغير الحق، ولكن يحتكمون إلى الشرع، إن رضوا أو غضبوا، إن أحبوا أو كرهوا، وفي الشرع دواء لكل داء، وحلٌ لكل مشكلة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا سواء السبيل، وأن يوفقنا إلى ما يحبُّ ويرضى، أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

### اتهام المقاومة بالإرهاب:

يقول المثل: إذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها. والبقرة اليوم هم أبناء حركة المقاومة الإسلاميّة (حماس) في فلسطين، هم البقرة التي كثرت سكاكينها من هنا ومن هناك، انهالت عليهم الاتّهامات، وقذائف الشتم والسّباب، أصبحوا المجرمين الإرهابيين حملة العنف، وكانوا من قبل يُسمّون الفدائيين، أبطال الانتفاضة، أبطال الاستشهاد؛ ما الذي جرى حتّى أصبحوا يسمون هذه العمليات البطولية العمليات الانتحارية؟

### تهويد العقل العربي:

الذي جرى هو أنّ العقل العربي قد تهوّد، إسرائيل هوّدت العقول، وهوّدت الإعلام إلّا مَنْ رحم ربك، وهوّدت السياسة إلّا مَنْ عصم ربك، وقليل ما هم، هوّدت العقول فأصبحنا نسّمّي هؤلاء الإرهابيين، ونسّمّي عملياتهم العمليات الإجرامية.

ما الإرهاب؟ وهل كل إرهاب مُعاب؟ وهل كل إرهاب مُجرّم؟ هناك إرهاب مُجرّم، هذا يتعلق بمنّ الذي ترهبه؟ إن كنت ترهب قومك، وتقتل الشيوخ، والأطفال، والنساء، والمدنيين البراء فهذا إرهاب لا نقبله، وعنف نرفضه باسم الإسلام.

ولكن إذا كنت ترهب عدو الله وعدوك الذي أخرجك من أرضك، الذي شرّد أهلّك، والذي استباح دمك، والذي فعل بك الأفاعيل

عشرات السنين، هل يكون هذا الإرهاب ممنوعاً؟ الله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فهل القرآن الذي اعتبر هذا الإرهاب أمراً ممدوحاً كان مخطئاً؟!

إنهم يريدون أن يجعلوا كل جهاد إرهاباً، يريدون أن يبطلوا فريضة الجهاد، وشرعية الجهاد من العالم الإسلامي كله، يعتبرون كل وطن يدافع عن نفسه إرهابياً، يعتبرون الذين يدافعون في البوسنة إرهابيين، والذين يدافعون في الشيشان إرهابيين، والذين يدافعون في كشمير إرهابيين، والذين يدافعون في الفلبين إرهابيين، والذين يدافعون في فلسطين إرهابيين!

مَنْ قَالَ: إِنَّ دِفَاعَ الْإِنْسَانِ عَنْ وَطَنِهِ، أَوْ عَنْ عَرْضِهِ، أَوْ عَنْ أَرْضِهِ، أَوْ عَنْ أَهْلِهِ، أَوْ عَنْ دِينِهِ يَعْتَبَرُ إِرْهَاباً؟ لِمَاذَا لَمْ نَكُنْ نَعْتَبِرُهُ إِرْهَاباً مِنْ قَبْلِ؟ لِمَاذَا كُنَّا نَقُولُ: أَبْطَالُ الْإِنْتِفَاضَةِ؟ لِمَاذَا كُنَّا نُهْلِلُ وَنُكَبِّرُ فِي كُلِّ عَمَلِيَّةٍ فِدَائِيَّةٍ؟

لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ: إِنَّهُمْ يَقْتُلُونَ الْمَدَنِيِّينَ. بَلْ كَانُوا يَقُولُونَ: الْمَجْتَمَعُ الْإِسْرَائِيلِيُّ مَجْتَمَعٌ عَسْكَرِيٌّ، الْمَجْتَمَعُ الْإِسْرَائِيلِيُّ كُلُّهُ مَجْتَمَعٌ مُحَارِبٌ، رَجَالُهُ وَنِسَاؤُهُ كُلُّهُمْ جُنُودٌ فِي الْجَيْشِ الْإِسْرَائِيلِيِّ، وَيَسْتَدْعُونَ عِنْدَ اللَّحْظَةِ الْحَاسِمَةِ. هَكَذَا كَانُوا يَقُولُونَ؛ فَمَا الَّذِي غَيَّرَ الْمَوْقِفَ؟

قَالُوا: اتِّفَاقِيَّةُ السَّلَامِ. وَهَلْ تَمَّ السَّلَامُ بِالْحَدِّ الْأَدْنَى، وَدُونَ الْحَدِّ الْأَدْنَى؟ لَا لَمْ يَتَحَقَّقْ السَّلَامُ بِمَا دُونَ الْحَدِّ الْأَدْنَى، لَمْ تَعُدِ الْقُدْسُ، بَلْ لَا زَالُوا يَقُولُونَ: الْقُدْسُ هِيَ الْعَاصِمَةُ الْأَبَدِيَّةُ لِإِسْرَائِيلَ. لَا زَالُوا يَغْتَصِبُونَ أَرْضِي الْفِلَسْطِينِيِّينَ بِالْعَنْفِ وَالْقُوَّةِ، وَنَحْنُ نَرَى فِي التَّلِفِيزِيُونِ الْإِخْوَةَ

والأخوات، الرجال والنساء والأطفال يتشبثون بأرضهم، ويصيحون ويولولون، ولكن البلدوزرات القويّة تجرف الأرض ولا تبالي بهؤلاء.

ورأيانهم يقتلون مَنْ شاؤوا أن يقتلوا، أرادت «حماس» أن تصنع هدنة، وأعلنت ذلك منذ مدة، ولكنهم قتلوا يحيى عيَّاش، كما قتلوا من قبل فتحي الشَّقَاقِي، وهَدَّدُوا الآخرين وتوعَّدوهم؛ فأرادوا أن ينتقموا لأنفسهم.

وإسرائيل تفعل ما تشاء، وما تفعله لا يُسمُّونه إرهابًا، مع أنَّ الإرهابي الأكبر في العالم هو إسرائيل، هي التي قامت على الإرهاب من أوَّل يوم قبل أن تكون دولة، في عهد العصابات كانت هي الإرهابي الأكبر، وبعد أن صارت دولة كانت هي الإرهابي الأكبر، هل صارت حَمَلًا وديعًا الآن؟ لا، بل لا زال الإرهاب في دمها.

ثم هي تريد أن تغتال مَنْ تشاء، وتقتل مَنْ تشاء، تريد أن تكون هي القوة التي لا تُقهر، هي الشوكة التي لا تُقهر، هي صاحبة اليد الحديدية، والذراع الطويلة، والعصا الغليظة، والترسانة النووية، تستطيع أن تضرب مَنْ تشاء فتصيب، وأن تصيب فتقتل، وأن تقتل فلا تُطالب بقصاص ولا دية ولا كفارة، لأنَّ الذين تقتلهم دمهم مباح، وقتلهم متاح، وليس على قاتلهم من جناح، هكذا تفعل إسرائيل، وتريد أن تكون، لماذا يحدث هذا كله؟

كنا نقول بعد أن حدث الاتفاق: ليكن ما يكون، ليفعل الساسة ما يفعلون. ولكن الذي كنا نحذر منه أن يقتل الفلسطينيون بعضهم بعضًا، والإخوة الذين فعلوا هذه الأشياء في حماس بعدوا عن غزة والضفة الغربية، وفعلوها داخل إسرائيل نفسها، وما عُرف عن هؤلاء

الأبطال في حماس أنهم اختطفوا طائرة، أو فعلوا شيئاً من ذلك، كل ما يفعلونه ضد إسرائيل نفسها، لا يفعلون شيئاً ضد السلطة؛ فلماذا تستجيب السلطة لوساوس إسرائيل وأوامرها، وتغلق الجامعات والمدارس والجمعيات الخيرية ومؤسسات الزكاة وكل الأعمال الصالحة؟ هل لإسرائيل نفوذ إلى هذا الحد؟ هل أوامرها صارمة إلى هذا الحد؟ هذا للأسف ما حدث.

ويريدون أن يحاربوا الإرهاب، وأن يقيموا مؤتمراً للإرهاب، والواقع أنه ليس مؤتمراً ضد الإرهاب، إنه كما قال رابين في مؤتمر الدار البيضاء: الأعداء الكونيون ثلاثة: الأصولية والجوع والمخدرات.

هم يحاربون الأصولية، فما معنى الأصولية؟ هي الرجعة إلى الإسلام، والتوجه نحوه، والدعوة إليه، فينبغي أن يُمحى هذا من الوجود؛ لأن إسرائيل تعرف أن بقاءها مرهون بإخماد الصحوة الإسلامية، إذا خمدت الصحوة الإسلامية اطمأنت جنوبها في المضاجع، لكن الصحوة الإسلامية لن تموت، الصحوة الإسلامية باقية إن شاء الله.

### مستشهدون لا منتحرون:

إنني أعجب من أجهزة الإعلام العربية التي تسمي عمليات هؤلاء الشباب الذي باع نفسه لله عمليات انتحارية، لا يا سادة، ليس هذا انتحاراً، وليس هؤلاء منتحرين، المنتحر إنسان يئس من روح الله، وهؤلاء كلهم أمل في رحمة الله وروح الله، المنتحر إنسان لا يفكر إلا في نفسه وهمومها، وهؤلاء لا يفكرون في أنفسهم، بل يفكرون في أمتهم ودينهم، المنتحر إنسان فقد الرجاء في كل شيء، وهؤلاء يرجون الله والجنة والدار الآخرة.

ليس هؤلاء منتحرين، هؤلاء مستشهدون، هم الشهداء الأحياء الذين يحرصون على الموت لتوهب لهم الحياة، الناس يخافون الموت، وهم يسعون إليه ركضًا، هذا ليس انتحارًا يا سادة، هؤلاء شهداء في سبيل الله، بل هم في مقدمة الشهداء، الذين يقومون بهذه الأعمال يفدون أمّتهم بأرواحهم، وضعوا رؤوسهم على أكفهم، وقدموها رخيصة في سبيل الله، كيف تسمونهم منتحرين؟ كيف تسمون عملهم انتحارًا؟ هذا ظلم، وهو أمر لا يقبل.

### التهلكة في ترك الجهاد:

روى الإمامان الترمذي وأبو داود عن أبي عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي يديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصاري، فقال: يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصره. فقال بعضنا لبعض سِرًّا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصره، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو<sup>(١)</sup>. فترك الجهاد هو التهلكة.

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥١٢)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٧٢)، وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرى في التفسير (١٠٩٦١)، وابن حبان في السير (٤٧١١)، =



بعض الناس يعتبرون الذي يرمي بنفسه في سبيل الله من خلال هذه الأعمال الجسورة أنه يلقي بنفسه إلى التهلكة، لا، بل التهلكة أن تنشغل بدنياك الخاصة، وتترك الجهاد في سبيل الله، وهؤلاء هم الذين يربعون أعداء الله بهذا السلاح الجديد الذي أودعه الله في أيدي المؤمنين، وأيادي الضعفاء، جعله الله في أيدي المستضعفين ليقفوا به في وجه الأقوياء المتجبرين، المستكبرين في الأرض بغير حق، جعله الله في أيدي المؤمنين سلاحاً يخيفون به المشركين والكفار المعتدين.

ماذا تستطيع أن تفعل لإنسان جعل من نفسه قبلة موقوتة؟ لتكون عندك الأسلحة النووية، والأسلحة الإستراتيجية، وما شئت من أدوات الدمار؛ فماذا تفعل أمام إنسان باع نفسه لله، ولا يبالي بالموت؟ لقد دخل المعركة ميتاً في سبيل الله، يقول ما قال الأول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]. فإذا ما انفجر قال: فُزْتُ ورب الكعبة. عند الإسرائيليين ترسانة نووية، وعند الإسلاميين ترسانة إيمانية، قنابل بشرية قادرة على التحدي.

هذا هو الذي ينبغي أن نعيه في هذه القضية التي التبس فيها الحق بالباطل، واختلط الحابل بالنابل، وأصبح إعلامنا أسيراً للإعلام الغربي، والإعلام الصهيوني، أصبحت إسرائيل قادرة للأسف على تهويد عقولنا، على صهينة عقولنا وإعلامنا وصحافتنا، إلا مَنْ رحم ربك.

إننا لا يسعنا إلا أن نسأل الله للإخوة في فلسطين أن يوحد صفهم، وأن يقيهم أن يفتن بعضهم بعضاً، وأن يحارب بعضهم بعضاً، وأن

= وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والحاكم في الجهاد (٤٨/٢)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

يعصمهم من كيد اليهود ومكرهم؛ فَإِنَّ كيدَ الله أقوى، اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك باليهود الظالمين، اللهم احفظ إخواننا من بأس الماكرين، وكيد الكائدين، وأنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين؛ إِنَّكَ سميع قريب.

\* \* \*

## تعدد الزوجات في الإسلام<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً عن الأسرة المسلمة، عن البيت المسلم، عن الزواج وما يتعلق به، تحدثنا في الأسبوع الماضي والذي قبله عن الطلاق، عن انفصال الزوج عن زوجته، أو المرأة عن زوجها، ووجدنا أنَّ الإسلام هو الشريعة الواقعية التي قدّرت للإنسان ضروراته، وقدّرت للضرورات أحكامها، ولم تغفل عن الواقع بالخيال، ولهذا شرعت الطلاق وجعلته في يد الرجل، وشرعت للمرأة أن تتخلص من حياتها الزوجية بالخلع، أو بتطليق القاضي، أو بالتحكيم.

وهذا ما لجأت إليه البشرية، حتّى المسيحية حرمت الطلاق، ولكن لجأ أهلها والمتدينون بها كذلك إلى الطلاق، خرجوا عن دينهم وكفروا بأحكامه، وحكّموا القوانين الوضعيّة التي تجيز لهم أن يطلقوا، عندما لا يستطيعون البقاء في ظلّ حياة زوجية بغیضة مُكرّهة.

(١) أُلقيت هذه الخطبة في الدوحة في ١٦ مارس ١٩٩٦م.

وشرع الإسلام من الأحكام العادلة ما يعطي كل ذي حق حقه، وُجِدَتْ في بعض بلاد الغرب بعض القوانين عندهم تعطي المرأة المطلقة نصف ما يملك زوجها، أعرف طبيب أسنان هناك، له عيادة، وله منزل أو فيلا، وله أملاك، فلما طلق امرأته صار لها نصف ذلك كله، مع أن أبناءه وبناته أحياء، لكنها تأخذ نصف هذا، أكثر ممّا يأخذ أولاده وهو معهم، فهذا غريب، ولهذا رأيت كثيرًا من هؤلاء لا يتزوجون.

عندما كنت أعالجُ في ألمانيا في صيف سنة ١٩٨٥م. كنت أسأل الممرضات اللاتي يُشرفن على علاج المرضى: هل أنتنّ متزوجات؟ فإذا كلهن - إلا واحدة أو اثنتين - أنسات غير متزوجات، ثمّ عرفت السبب، أنّ الشباب لا يريدون أن يرتبطوا بالزواج، لأن أحدهم لو اضطر إلى الطلاق سيُخربُ بيته، وتأخذ المرأة نصف ما يملك، ولهذا يعاشرها بدون عقد ولا زواج، هذه نتيجة قوانين البشر!

أمّا شريعة الله؛ فقد أعطت كل ذي حق حقه، بلا إفراط ولا تفريط، ولا طغيان ولا إفسار، ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿ [الرحمن: ٨ - ٩].

### تعدد الزوجات:

من الأشياء التي أنكروها على الإسلام - غير الطلاق - تعدد الزوجات، أنّ الإسلام يبيح للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة، وكأن الإسلام هو الذي استحدث ذلك، والإسلام لم يبتكر تعدد الزوجات، كان تعدد الزوجات قديمًا في كل الأمم، لم تنكره أمة، ولم ينكره دين، ولم ينكره مذهب، حتّى الكتاب المقدس الذي يؤمن به النصارى فيه أن سليمان كان عنده سبعمئة سُرّية - أمة - وثلاثمئة زوجة، وأن أباه داود كان عنده ثلاثمئة، وكان العرب في الجاهليّة يعددون النساء بلا قيد ولا شرط.



## تقييد التعدد:

فلما جاء الإسلام شرع ذلك، ولكنه قيده بقيد وبشرط، أمّا القيد فجعل حدًا أقصى لما يمكن أن يتزوجه الرجل من النساء، وهو أربع نسوة، كما قال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ [النساء: ٣]. وقد أسلم بعض الناس منهم غيلان الثقفي، وكان عنده عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: «اختر منهن أربعًا، وفارق سائرهن»<sup>(١)</sup>. وكذلك من أسلم عن ثمانية، أو عن خمسة، قال له: «اختر منهن أربعًا». لا يبقى على ذمته أكثر من أربع نساء.

أمّا النبي ﷺ فكان عنده تسع نساء، وكان هذا قبل التحديد، وأصبحن أمهات المؤمنين، وأصبح من الصعب أن يطلق إحداهن بعد أن خيّرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، حينما طالبن بالزينة والمزيد من النفقة، ونزل قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا \* وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]. فاختر جميعهن الله ورسوله والدار الآخرة، كيف يطلق بعض هؤلاء؟ لا، أبقى الله هؤلاء، ولم يحل له شيئًا من النساء، ولا أن يبدل واحدة بأخرى ليبقى العدد كما هو، قال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

(١) رواه أحمد (٤٦٠٩)، وقال مخرّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي (١١٢٨)، وقال: العمل عليه عند أصحابنا، منهم الشافعي وأحمد وإسحاق. وابن ماجه (١٩٥٣)، وابن حبان (٤١٥٦)، ثلاثتهم في النكاح، وصحّحه الألباني في غاية المرام (٢٢٦)، عن ابن عمر.

### اشتراط العدل:

هكذا قيّد الإسلام الزواج بأكثر من واحدة، قيّده في العدد بألا يزيد على أربع، وقيّده بشرط مهم، وهو أن يثق الإنسان من نفسه بالعدل بين الزوجتين أو الزوجات، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. مجرد الخوف لا يُجيز لك أن تتزوج بأخرى، لا بدّ أن تكون مطمئنًا إلى نفسك، واثقًا بأنك ستعدل بين هؤلاء، هذا ما جاء به الإسلام.

### حِكم التعدد وفوائده:

شرع الإسلام تعدد الزوجات لمصالح وحِكم، فقد يكون الرجل قوي الشهوة، قوي الغريزة، ولا تكفيه امرأة واحدة، وربما كانت امرأته تطول عندها فترة الحيض، أو كانت قليلة الرّغبة في الرجال!

سألني إحدى الزوجات قريبًا فقالت: لا حياء في العلم؛ أريد أن أسألك سؤالًا: أنا امرأة باردة، شديدة البرودة، وزوجي حار، شديد الحرارة، ولا أستطيع أن ألبى رغبته، ولا أن أوفي ما يطلبه مني؛ فما الحل إذن؟ قلت لها: هل زوجك قادر؟ قالت: نعم هو قادر ماليًا، وقادر جسميًا. قلت لها: انصحيه بأن يتزوّج، لا حلّ لمثل هذا إلا أن يتزوج، وإلا فكّر في الحرام، والحلال أولى من التفكير في الحرام.

كذلك لو كان رجلًا راغبًا في الإنجاب، وامرأته عقيم لا تلد، لماذا نحرّمه من هذا الأمر، أو لماذا نقول له: طلقها وتزوج امرأة غيرها؟ ليُبقيها ويأتي بأخرى، هكذا كان النساء قديمًا، أعرف إحدى قريباتي كان زوجها رجلًا صالحًا، ورجلًا موسرًا، وظلت معه أكثر من عشرين سنة ولم تُنجب، وهو يحبها وهي تحبّه، فجاءت وقالت: يا فلان، لماذا لا تتزوج؟

قال: لا أريد. قالت له: لا، لا بدّ أن تتزوج، وأنا التي سأخطب لك. وخطبت له امرأة من خيار النساء، وقد أنعم الله عليه وعليها بالبنين والبنات؛ لم لا؟ ما الذي يمنع من هذا؟ لماذا يحرم الناس أنفسهم من أشياء يمكن في ظل الحلال أن يحققوها.

ثم هناك دواعٍ أخرى لتعدد الزوجات، أحياناً يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال، خصوصاً بعد الحروب ونحو ذلك، وحتى من غير الحروب عدد النساء الصالحات للزواج دائماً أكثر من عدد القادرين من الرجال، ليس كل الرجال قادرين على أن يتزوجوا، ولكن كل فتاة بعد البلوغ صالحة لأن تتزوج؛ فماذا نصنع في هذه الزيادة من النساء؟

إما أن نحكم عليها بالحرمان، والبقاء في بيت أبيها محرومة من الحياة الزوجية، محرومة من حياة الأمومة، هذه الغريزة الفطرية، وهذا أمر غير مقبول ولا معقول.

أو أن نتيح لها أن تبحث عن الرجل بأي طريقة وبأي صورة، بعيداً عن الدين والأخلاق، ومن وراء ظهر الأهل والمجتمع، وهذا فساد أيُّ فساد؟ تدمير للمرأة، وتدمير للرجل، وتدمير للمجتمع.

أو أن نسمح لها أن تتزوج برجل متزوج، أن تكون ضرّة، أن تكون نصف زوجة، ولولا أن هذا في مصلحتها لما قبلت، فإذا كان الزواج بالثانية ضرراً على المرأة الأولى لأنها كانت تعيش وحدها في مملكتها، فهو مصلحة للمرأة الثانية، ومصلحة للزوج بدل أن يرتكب الحرام، ومصلحة للمجتمع؛ لأننا إذا لم نفعل هذا فهناك تعدد قائم.

المجتمع الغربي الذي ينظر إلى تعدد الزوجات كأنه جريمة كبرى، هذا المجتمع التعدّد فيه قائم، فقلما يوجد رجل يكتفي بزوجته



عندهم، وهذا التعدد الذي عندهم ليس تعدد الحليّات، ولكنّه تعدد الخليّات، للرجل امرأة صديقة رفيقة عشيقة، وللمرأة رجل صديق أو رفيق؛ لِمَ هذا؟ هذا تعدد لا أخلاقيّ، لا دينيّ، لا إنسانيّ، لو حملت المرأة من هذا الرجل فإنّه لا يتحمّل أي مسؤولية، فليس بينهما عقد ولا ميثاق.

أمّا الإسلام فقد اعترف بالواقع، وأجاز للمرأة بأن ترتبط بهذا الرجل على كتاب الله، وعلى سنّة رسول الله، يربط بينهما هذا الميثاق الغليظ، لها حقوق الزوجة، وإذا حملت فلها حقوق الأم، ولأولادها حقوق البنوة.

### الإسلام دين واقعي:

هذا هو الواقع الذي أقرّه الإسلام، الإسلام دين واقعي، لأنّ الذي شرعه هو خالق النّاس، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: ١٤]، هو يعرف دوافعهم، ويعرف حاجاتهم، ويعرف واقعهم، ولذلك شرع لهم ما يصلحهم، وما يرقى بهم، وما يُزكّي أنفسهم، وما يُطهّر حياتهم، هذا هو شرع الإسلام.

كل ما نقوله هنا: إنّ بعض الناس للأسف لا يبالى بالقيود التي وضعها الإسلام؛ ترى الرجل يتزوج وهو غير قادر على الإنفاق على زوجة واحدة، فيتزوج بائنتين، ما الذي يرهقك من أمرك عسراً، ويكلفك ما لا تطيق، فتتزوج وأنت غير قادر على الإنفاق؟

وقد يتزوج وهو غير قادر على الإحصان، ليس عنده من القدرة البدنيّة ما يستطيع به أن يحصن امرأتين.

وقد يتزوج وهو غير قادر على العدل، ونعني بالعدل هنا المساواة بين الزوجتين أو الزوجات في المأكل، والمشرب، والملبس، والسكنى، والنفقة، والمبيت، فلا يجوز له أن يُعطي امرأة ويحرم أخرى، لا يجوز له هذا، بل يجب أن يعطي كلاً منهما ما يعطي الأخرى.

### العدل المستطاع:

هناك شيء واحد لا يُطلب فيه المساواة، لأنه فوق طاقة البشر، وهو الميل القلبي، الحب العاطفي، لا نستطيع أن نقول له: أحب فلانة هذه كما تحب الأخرى. فهو لا يملك هذا، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء، فالعواطف والميول لا يملكها البشر، هنا يُغترف بعض الميل، كما يقول الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]. والمراد بالعدل المنفي هنا الذي لا يُستطاع العدل المطلق، العدل الكامل حتى في العواطف والميول، هذا لا يستطيعه البشر.

ولذلك كان النبي ﷺ يقسم بين زوجاته في النفقة، والكسوة، والمبيت، إذا بات عند هذه ليلة يبيت عند هذه أخرى، إذا خرج في سفر يقرع بينهن، فأيتهن كسبت القرعة تكون هي التي تصاحبه في السفر، ثم يقول بعد أن يعدل ويسوي بينهن في هذه الأمور الظاهرة: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك، ولا أملك»<sup>(١)</sup>! يعني أمر القلب، لا تؤاخذني فيه، فأمر القلب معفو عنه.

العدل المطلوب إنما هو في الأمور الظاهرة، وقد جاء في الحديث:

(١) سبق تخريجه ص ١٦٦.

«ما من رجل له امرأتان يميل لإحدهما على الأخرى؛ إلا جاء يوم القيامة وأحد شقيقه مائل»<sup>(١)</sup>. دلالة على ميله عن الطريق، وعن العدل الذي فرضه الله ﷻ، فالعدل مطلوب.

ولكن العدل الكامل غير مستطاع فهو معفو عنه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩]. فهذا يدلنا على أن بعض الميل مغتفر، وهو الميل القلبي.

والمعلقة هي التي يُعلقها زوجها، فلا هي مُزوجة ولا مُطلقة، لا يجوز أن تذر امرأتك كالمعلقة إلا برضاها، لو تصالحتما على هذا فلا حرج، ﴿وَإِنْ أُمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، كما فعلت سودة رضي الله عنها، كبرت سنها، وخشيت أن يفكر النبي ﷺ في طلاقها، فقالت: يا رسول الله، إني امرأة قد كبرت سني، ولم يعد لي أرب في الرجال، وأنا أريد أن أتنازل عن ليلتي إلى عائشة. فقبل منها النبي ﷺ ذلك<sup>(٢)</sup>.

أمّا أن يهجر الرجل زوجته القديمة ويعلقها، ولا يبالي بها، ويُقدّم الأخرى عليها في الأمور الظاهرة والأمور الباطنة؛ بل يُقدّم أولاد المرأة الجديدة على أولاد المرأة القديمة، يحظون بكل شيء، أمّا المرأة القديمة

(١) رواه أحمد (٧٩٣٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)،

والنسائي (٣٩٤٢)، وابن ماجه (١٩٦٩)، جميعهم في النكاح، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٥١)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٩٣)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٣)، عن عائشة.

التي عاشته في مقتبل حياته، وتحملت معه أعباء المعيشة.. يركلها  
بقدميه ويتركها، حتى أولادها منه من صلبه.. لا يعطيهم حقوقهم، هذا  
ظلم لا يرضاه الله تبارك وتعالى.

ينبغي على الأزواج أن يراعوا العدل بين زوجاتهم، فالعدل هو الذي  
قامت به السماوات والأرض، أمّا الظلم فإنه يدمر الحياة، يدمر البيوت،  
يدمر المجتمعات، جاء الإسلام فشرع تعدد الزوجات، وكانت في هذا  
الحكمة كل الحكمة، لأنه شرع عليم خبير، يعلم ما يحتاج إليه عباده،  
ويداويهم بالدواء الصحيح الذي وصفه عليم حكيم، لا تخفى عليه  
خافية، ولا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

نحن المسلمون نعتز بأن عندنا شريعة الله تبارك وتعالى، شريعة  
الإسلام العظيمة التي ما أحلت شيئاً إلا نافعاً، ولا حرّمت إلا خبيثاً  
ضاراً، وكان من أوصاف النبي ﷺ في كتب أهل الكتاب أنه: ﴿وَيُحِلُّ  
لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي  
كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

### أثر الإعلام في تشويه التعدد:

إنني أريد أن أقول لكثير من الزوجات اللاتي يعتبرن كل تعدد ضرر:  
لا، ليس كل تعدد ضرر، قد يكون في التعدد حكمة، للأسف أصبحت  
المسلسلات والتمثيلات والمسرحيات والأفلام: تصب ناراً حامية على  
مسألة التعدد، سواء كان لحاجة أو لغير حاجة، أشاهد أحياناً بعض  
التمثيلات فأجد أنّ الحل الوحيد للمشكلة المعروضة هو أن يتزوج  
الرجل بالمرأة الأخرى، ولكن لا يمكن لكاتب نص مسرحي أو تمثيلي  
أن يصف هذا الدواء أبداً؛ يعتبرون التعدد كأنه مصيبة.

ولذلك بعد أن كان النساء في بلادنا العربية والإسلامية - وفي بلاد الخليج خاصة - يقبلن تعدد الزواج، إذا احتاج الزوج إلى التعدد يتزوج، أصبحن يرفض هذا، حتى قيل لإحداهن: أليس هذا خيراً من أن يزني زوجك هذا؟ قالت: لا، لأن يزني خير من أن يتزوج. وهذا غريب من أن يصدر من مسلمة، وبعضهم تقول: جنازته ولا زواجه. يذهب إلى الجحيم ولا أن يتزوج، وهذا كله من تأثير الفكر الغربي، والإعلام الغربي، الإعلام المنبثق عن هذا الفكر نتيجة هذا الغزو الذي غزا إعلامنا؛ فأصبحنا نعرض عن شرع الله وَعَلَّ.

نحن لا نقُرُّ التعدد إذا كان مجرد لعب وعبث، يتزوج الرجل امرأة أياماً ثم يطلقها ويأتي بأخرى، هذا لعب، وليست الحياة الزوجية لعباً، لكن إذا كانت هناك حاجة فلا شك أن الحاجة تُقدَّر، وأنَّ الشرع لم يشرع التعدد عبثاً ولا لهواً، إنما شرعه لحكمة يعلمها الله تبارك وتعالى.

إذا طُلِّقت امرأة في شبابها، وكثيراً ما تُطَلَّق بعض النساء وهي في الثلاثين، أو قبل الثلاثين، أو بعد الثلاثين بقليل، أو مات زوجها وترملت، أو فاتها القطار؛ فهل هؤلاء يُحرمن إلى الأبد؟ قد لا يستطيع رجل أن يتزوجهن لأول مرة، لكن قد تستطيع هذه المرأة أن تتزوج رجلاً متزوجاً، لماذا لا تقبل المرأة أن يتزوج زوجها فيستر امرأة من المسلمات، يستر عليها ويؤويها ويتكفل بها.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون ذلك حين يموت الشهداء المجاهدون، فقد كان العصر عصر جهاد وشهداء باستمرار، فما كان الرجل يدع زوجة أخيه وأطفالها في العراء، بل يسارع بمجرد أن تنتهي عدتها فيخطبها، وتصبح من نسائه، هكذا كان يفعل الصحابة رضوان الله عليهم.

ليس هناك أفضل من أن يضم الرجل امرأة أخيه الشهيد إلى نسائه، حتى لو ذهب إليها ليقضي حاجاتها المنزلية دون زواج فيصبح هو وهي مجالاً للقليل والقال، ومضغ الأفواه، والكلام الذي لا معنى له؛ فلماذا لا يتزوجها؟

إنَّ الإسلام حينما شرع التعدد شرعه لحكم ومصالح، والله ﷻ أدري بمصالح عباده، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فيجب أن نأخذ أحكام الله بجدية، لا نعثر بها كما يعثر بعض الناس الذين يظلمون الزوجات، ويظلمون الأولاد، ويُعيّشون زوجاتهم القديمات وأولادهن في حياة بائسة تعسة.

تأتيني رسائل واتصالات كثيرة، تشكو من هذا الظلم الواقع من كثير من الرجال على كثير من النساء، هذا لا يجوز، ما شرع الله هذا الظلم أبداً.

ولا ينبغي للإنسان أن يورث الضغائن بين أولاده بعضهم وبعض، إذا كان أولادك من صلبك يجدون إخوتهم يتمتعون بالخيرات والطيبات من مال أبيهم، وهم محرومون منه؛ ماذا تكون النتيجة؟ إنهم يحقدون على الأب، ويحقدون على زوجته الأخرى، ويحقدون على أبنائه منها، ومعنى هذا أن يرث المجتمع الكراهية والبغضاء، وهي داء الأمم كما قال النبي ﷺ: «دب إليكم داء الأمم: الحسد، والبغضاء وهي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر. ولكنها تحلق الدين»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.



أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْيرَ طَرِيقَنَا، وَأَنْ يَهْدِيَنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا  
إِلَى الْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

\* \* \*







## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

### رحيل الشيخ خالد محمد خالد:

في الأيام القليلة الماضية فقد الأزهر، وفقدت مصر، وفقد العالم الإسلامي ثلاثة من كبار العلماء: كان أولهم الشيخ خالد محمد خالد، هذا الرجل صاحب القلم الرشيق، والبيان الأنيق، والذي نصّب نفسه طوال حياته الفكرية محامياً عن الحريّات، وحقوق الإنسان، وواقفاً في وجه الطغاة من الحُكّام، لا زلت أذكر كيف وقف في أحد المؤتمرات ضد عبد الناصر نفسه في أوج سلطانه، مطالباً إياه بالحرية للنّاس، ومات وهو يدافع عن الحرية.

كانت له في أوائل حياته تجاوزات وانحرافات، بدأت بكتابه (من هنا نبدأ)، ثمّ تاب الله عليه، ورجع عن أفكاره هذه، أو عن أكثرها، وأعلن ذلك في صراحة وشجاعة، كان يقول في ذلك الكتاب: الإسلام دين لا دولة. ولكنّه قال بعد ذلك: كنت مخطئاً. وبَيّن دوافعه في هذا، وكتب ذلك في كتابه (الدولة في الإسلام).

### رحيل الشيخ محمد الغزالي:

ذهب هذا الرجل إلى الله، ورحل إلى الآخرة، ثمّ أعقبه صديقه الشيخ محمد الغزالي الذي وقعت بينه وبينه مساجلة، ورد على كتابه (من هنا نبدأ) بكتابه (من هنا نعلم)، وبَيّن أخطائه وضلالاته في هذا الكتاب، لم تحل بينه وبين ذلك الصداقة الوثيقة التي كانت بينهما،

فقد ألفا مع بعض العلماء لجنة أسموها (لجنة النشر للأزهريين)، صدر منها كتاب (الإسلام والأوضاع الاقتصادية)، تحت شعار اتخذته هذه اللجنة (الدين في خدمة الشعوب)، ردًا على الماركسيين الذين يزعمون أنَّ الدين أفيون الشعوب، فكانوا يقولون: الدين في خدمة الشعوب، يرفع حقوقها، وينهضها لتطالب بحقوقها وحريتها، ولا يقبل الظلم، ولا يسكت عن الظالمين.

لم تمنع صداقة الشيخ الغزالي لخالد أن يردَّ عليه، ولكنه كان رفيقًا به، وكان محسنًا للظن به، وقال: إنه رجل على خلق. وقد صدقت الأيام ظن الشيخ الغزالي.

رحل الشيخ الغزالي الذي نصب نفسه محاميًا عن قضية الإسلام، عاش للإسلام ومات للإسلام حتَّى آخر لحظة في حياته، لم يرفض دعوة وُجِّهَتْ إليه، دُعي رُغم سنِّه وشيخوخته ومرضه ليتحدث في ندوة عن الإسلام والغرب فلبَّى الدعوة، وكان بعض المتحدثين يتحدث في هذه الندوة، وتجاوز في كلامه بكلام مسَّ الإسلام، فهاج الشيخ وثار، وطلب الكلمة ليرد عليه، فقليل له: انتظر يا شيخ غزالي. فانتظر، فزاد الرجل تجاوزًا، فغلا الشيخ كما يغلي المرجل فوق النار، فطلب الكلمة، فقليل له: انتظر حتَّى ينتهي من كلامه. فلما انتهى من كلامه أعطوا الكلمة لرجل آخر، هنا لم يملك الرجل نفسه، ووقف غاضبًا ثائرًا، فكان فيها قضاء نحبه، سقط مغشيًا عليه، ونُقل بعد ذلك إلى المستشفى ومات رَحِمَهُ اللهُ، مات وهو في المعركة، مات ممتشقًا الحسام، مات فارسًا من فرسان هذا الدين.

لقد عرفت الشيخ الغزالي منذ نصف قرن من الزمان فعرفت فيه

الصدق في الإيمان، والصدق في القول، والإخلاص في العمل،  
والشجاعة في الحق، والغيرة على هذا الدين.

عرفته إنساناً محبباً لطيف المعشر، طلق المَحِيّا، عذب الحديث، فكه  
الكلام، سريع النكتة، يغار إذا مُسَّ الإسلام بأدنى شيء، ولكنه في خلقه  
وطبعه لا يعرفه أحد، ولا يعايشه أحد إلا أحبّه.

كان سريع الدمعة، إذا ذكر الله ﷻ أو ذكرت الآخرة تفيض عيناه  
بالدموع، كان يهتز وهو يقرأ القرآن أو يصلي فرقا وخشية من الله تبارك  
وتعالى، لاحظ عليه ذلك كل مَنْ رآه وعاشه.

عاش الشيخ الغزالي للإسلام، ألف أكثر من سبعين كتاباً، ودبج  
آلاف المقالات بقلمه البليغ، وأذاع آلاف الأحاديث من الإذاعات  
والتلفازات العربية والإسلامية، وألقى آلاف الخطب والمحاضرات  
والدروس، كانت كلها دفاعاً عن الإسلام، هكذا كان الشيخ الغزالي.

حاول بعض الناس أن يشتروه فلم يقدرُوا على ثمنه؛ كان أغلى من  
أن يُشترى، وبقي لله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ  
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

لا أستطيع في مثل هذه العجالة أن أتحدّث عن الشيخ الغزالي،  
ومآثر الشيخ الغزالي، وفضائل الشيخ الغزالي، فهي أكثر من أن تُحصَر،  
وأوسع من أن تتناول في كلمة عارضة.

### رحيل الشيخ جاد الحق:

ثم جاء الفقيه الثالث من علماء الأزهر، إنّه الشيخ جاد الحق علي  
جاد الحق الذي توفي في هذه الليلة، وعرفت قبل قليل وفاته من

التلفزيون، وقد رثا الشيخ الغزالي في الصحف ونعاه، وتكلم عن فضائله في التلفازات، فإذا هو يقضي نحبه، ويلحق بأخويه أيضًا.

كان الشيخ جاد الحق رجلًا فاضلاً، لم أعاشه كثيرًا، ولكنني لقيته في لقاءات متعددة فرأيت أنه رجل على خلق، رجل مُهذَّب، رجل لا يرد على السيئة بسيئة، تطاول بعض الناس عليه، وكان يمكن أن يرد عليهم، ولكنه دفع بالتي هي أحسن، وعفَّ عن هؤلاء، فكان كريمًا في حياته.

رأس المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية والإغاثة؛ فعرف الناس فيه الرجل الخير الغيور على الإسلام، انتشرت كليات الأزهر ومعاهده في عهده، وأشهد أنني رأيته في لقاءاتي معه على خير.

لقد فقد الأزهر، وفقدت مصر، وفقدت الأمة الإسلامية هؤلاء العلماء، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا مات العالم ثلّمت في الإسلام ثلّمة لا يسدها إلا عالم آخر<sup>(١)</sup>.

نسأل الله تعالى أن يهيئ من العلماء مَنْ يسدّون هذه الثُّلم، ويسدّون هذه الثُّغرات، ويقومون على هذا الإسلام حرّاسًا، ونحن نعلم أن الله سبحانه لا يتخلّى عن هذا الدين، إذا ذهب عالم جاء عالم، وإذا أفل كوكب سطع كوكب إن شاء الله، فهذه الأمة بخير، وفيها طائفة منصورة قائمة على الحق، لا يضرها مَنْ خالفها حتّى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

إن شاء الله سنصلي صلاة الغائب على هؤلاء العلماء الثلاثة مرة واحدة، ونسأل الله سبحانه أن يغفر لهم ويرحمهم، ويتقبّلهم في الصالحين، ويجزيهم عن الإسلام وأمته خير ما يجزي العلماء العاملين، والأئمة الصادقين.

\*\*\*

(١) إحياء علوم الدين (٧/١).



## ظُلْمُ الرِّجَالِ لِلنِّسَاءِ

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

فِي مَدَّةٍ قَرِيبَةٍ اتَّصَلْتُ بِبَعْضِ أَخَوَاتِنَا الْمُسْلِمَاتِ، يَشْكُونُ مِنْ ظُلْمِ الرِّجَالِ لِهِنَّ، زَوْجَةٌ تَشْكُو الزَّوْجَ، وَابْنَةٌ تَشْكُو الْأَبَ، وَأَخْتُ تَشْكُو الْإِخْوَةَ، وَرَبَّمَا تَشْكُو الْأُمَّ.

وَهَكَذَا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمَظَالِمِ تَقَعُ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَقَدْ قَالَتْ لِي إِحْدَاهُنَّ: إِنَّ الْإِسْلَامَ كَرَّمَ الْمَرْأَةَ وَأَنْصَفَهَا، وَحَمَاهَا وَضَمَّنَ لَهَا حَقُوقَهَا، وَرَعَى إِنْسَانِيَّتَهَا، وَقَدْ وَقَفْتُمْ ضِدَّ مُؤْتَمَرِ بَكِّينَ، وَوَثِيقَةَ مُؤْتَمَرِ بَكِّينَ، وَقُلْتُمْ: نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى هَذِهِ الْوَثِيقَةِ، فَعِنْدَنَا وَثِيقَتُنَا: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ، لَا يُخَوِّجَانَا إِلَى وَثِيقَةٍ أُخْرَى.

نَحْنُ عِنْدَنَا الْإِسْلَامَ الَّذِي كَرَّمَ الْمَرْأَةَ إِنْسَانًا، وَكَرَّمَهَا أَنْثَى، وَكَرَّمَهَا بِنْتًا، وَكَرَّمَهَا زَوْجَةً، وَكَرَّمَهَا أُمًّا، وَكَرَّمَهَا عَضْوًا فِي الْمَجْتَمَعِ، وَمَعَ هَذَا نَرَى الظُّلْمَ يَقَعُ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ، فَأَيْنَ إِنْصَافُ الْإِسْلَامِ، وَتَكْرِيمُ الْإِسْلَامِ؟!

## أكل ميراث المرأة:

ولا أنسى من هذه الشكاوى التي وصلتني في هذه المدة، شكويين في غاية الأهمية، إحداهما: شكوى أخت من إختوها، تقول: «إنَّ إختي، وقد مات أبي من نحو عشرين سنة، لم يعطوني ميراثي حتَّى الآن، لا أنا ولا أخواتي البنات، وإن هذه ظاهرة شائعة في المجتمع، يستولي الذكور على تركة الأب، ويستحلُّون استغلالها، ويستفيدون منها لأنفسهم ولنسائهم، وذرائعهم، وأخواتهم محرومة من تركة آبائهن».

وقد سألت - أيُّها الإخوة، فوجدت أنَّ هذا أمر شائع بالفعل إلَّا عند الذين يعرفون حدود الله، ويعرفون الحلال من الحرام، ويتحرون أن يقفوا عند حدود الله، ولا يعتدوها، ﴿وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أمَّا هؤلاء فهم يستحذون على تركة آبائهم، ويتركون أخواتهم سنة وسنوات، وعشرًا وعشرين، ولا يعطونهن حقهن. وهذا أمر لا يجوز.

إنَّ الميراث حقٌّ للوارث، حدَّه الله وَجَّهًا في كتابه، ولم يكله في أسسه ودعائمه للرسول ﷺ نفسه، وإنَّما جاء القرآن بالمواريث، وفصَّل أحكامها الأساسيّة، في أحكام ثلاث، من كتاب الله وَجَّهًا، من سورة النساء.

كان العرب في الجاهليّة لا يورثون النساء، بل كانوا يرثوهنَّ، وكان الرجل يرث عبيد أبيه، وإبل أبيه، ودور أبيه، وغنم أبيه، ويرث امرأة أبيه، كما تورث النعاج والبغال والحمير، يتصرَّف فيها كيف يشاء، إن أعجبه جمالها تزوجها، وإن لم يعجبه عضلها، فيمنعها من

الزواج حتى تفدي نفسها بمال، فيطلق سراحها، ويفك أسرها، ويدعها تتزوج بمن تشاء.

فكانت المرأة كالمتاع يورث، ولم تكن ترث، فجاء القرآن يحرم وراثه النساء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩]، وقرّر أنّ الرجال والنساء جميعاً لهم حظ في تركة الآباء والأزواج وغيرهم من الأقرباء؛ فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

وجاءت الآيات بعد ذلك تحدّد هذه الأنصبة المفروضة، من النصف والربع، والثلث، والثلثين، والسدس، فرائض ومقادير محدّدة، جاءت بهذه الصيغة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

### النساء شقائق الرجال:

وإنّما فاوت الإسلام بين الذكر والأنثى، لا لأنّ المرأة أقلّ في إنسانيتها من الرجل.

لا؛ فالله تعالى يقول: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، أي: أنّ الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، المرأة تكمل الرجل، والرجل يكملها، كما جاء في الحديث: «إنّما النساء شقائق الرجال»<sup>(١)</sup>.

كلّ ما في الأمر أنّ أعباء الرجال تتفاوت عن أعباء النساء؛ فالرجل

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.



مكلف إذا تزوج أن يدفع مهرًا للمرأة، والمرأة إذا تزوجت تأخذ مهرًا من الرجل، والرجل إذا تزوج فعليه أن يؤسس بيتًا، والمرأة ليس عليها شيء من ذلك، والرجل عليه نفقة البيت، والمرأة ليس عليها شيء، ولو كانت من أغنى الأغنياء، لهذا كانت التكاليف مختلفة والأعباء مختلفة، فاختلفت الأنصبة في الميراث.

كما أن هذا النصاب ليس ثابتًا في كل حالات الرجل والمرأة؛ ففي بعض الأحيان يتساوى النصيبان، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾، وفي مثل الإخوة لأم: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُّورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

فأحيانًا تتساوى المرأة مع الرجل، وفي معظم الأحيان يكون نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة للاعتبار الذي ذكرناه، لا لأن المرأة أقل إنسانيّة، أو أحقر مكانة من الرجل، كما يريد أن يفهم بعض الناس.

لقد جاءت أحكام الميراث بمثل هذه الألفاظ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ فهي وصية من الله، وفي آخر الآية يقول تعالى: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١].

وفي ختام الآية الثانية: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

فهي وصية من الله وفريضة من الله.

ثم يقول الله تعالى بعد هاتين الآيتين: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] من يطع الله ورسوله

في تنفيذ هذه الأحكام وتطبيقها، لا يتعامل على الله، لا يستدرك على الله، لا يظن أنه أعلم من الله بمصلحة خلقه؛ لأنَّ هناك أناسًا في عصرنا يقولون: لماذا لم يسوِّ الإسلام بين الذكر والأنثى؟!

وآخرون يستكثرون على الأنثى ما أعطاه الله إياه، فهم يريدون أن يأكلوا حقَّها، أو يماطلوا فيه ويؤجلوه ما استطاعوا، ولا ينبغي هذا للمسلم ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿[النساء: ١٣، ١٤].

من يعص الله في تلك الأحكام، في تلك الفرائض، في تلك الوصايا، ويتعد حدود الله فيها، فيتجاوز هذه الحدود بالزيادة أو بالنقص ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

لقد بيَّن الله لنا ذلك؛ حتَّى لا تلبس بنا الدروب، وتضل بنا المسالك، ولذلك قال في آخر آية في سورة النساء، وهي - أيضًا - تتعلق بالميراث، ميراث الكلاله، وهو مَنْ مات وليس له والد ولا ولد، ختم هذه الآية وختم السورة كلها بقوله: ﴿يَبِّئُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

بيَّن الله لكم هذه الأحكام وهذه المقادير والفرائض، كراهة أن تضلوا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فهو أعلم بكم بمصالحكم، وأبر بكم من أنفسكم، وأرحم بكم من الوالدة بولدها، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣، الحج: ٦٥]، وهو بهم خير عليم، ولذلك لا يشرع لهم

إِلَّا مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، إِلَّا مَا فِيهِ خَيْرٌ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلْك: ١٤].

فنصيحتي إلى كلِّ أخ لا يزال يحتجز رصيد أخته، أو أخواته، أو أي وارثة من النساء، أو من الرجال.. عليه أن يردَّ الحقَّ لأهله، يردَّ الأمانات لأهلها، ويعطي لكلِّ ذي حقِّ حقَّه، ويتخلَّص من هذا المال؛ حتَّى لا يأكله حرامًا سحتًا، ولا ينبت جسده من حرام، أو جسد ذريته من حرام، وربما سككت أخواته حياء أو خجلًا، فهو يأكله بسيف الحياء، وما أخذ بسيف الحياء فهو حرام، وقال ﷺ: «لا يحلُّ مالُ امرئٍ إلَّا بطيبِ نفسٍ منه»<sup>(١)</sup>، لا بدَّ أن تطيب به نفسُه.

حتى لو قال لك من وراء قلبه: أنا مسامح لك، وأنت تعلم أنه غير مسامح، وإنَّما قالها كلمة من طرف لسانه، فلا يحل لك، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النِّسَاء: ٤]، طابت به أنفسهن، فلا بدَّ أن تكون النفس طيبة بالعطاء، أمَّا أن يكون بمجرد اللسان والنُّفوس غير طيبة فلا يحل للإنسان هذا المال.

فعلى الإخوة، وعلى كلِّ إنسان له حقٌّ لغيره أن يردَّه إليه؛ فإنَّ من أخطر الأمور أكلَ أموال النَّاس بالباطل، وليس الأكل بالباطل فقط مجرد أن تسرق أو تنهب، أو تقبل رشوة؛ فهناك ألوان كثيرة لأكل المال بالباطل، ومن ذلك: أكل مال المواريث، فأعطوا الحقوق

(١) جزء من حديث طويل: رواه أحمد (٢٠٦٩٥)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره مقطوعًا. وأبو يعلى (١٥٧٠)، والدارقطني في البيوع (٢٨٨٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢١): رواه أبو يعلى. وأبو حرة وثقه أبو داود وضعَّفه ابن معين. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٦٢)، عن عم أبي حرة الرقاشي.

لأهلها يبارك الله لكم في القليل، ليس المهم أن تستكثر من المال ولو بغير حق، إنما المهم كلّ المهم، أن يكون هذا المال من حلال، وأن تتحرى فيه، وتدقق فيه، وتفتش وتحاسب نفسك، وتقول كما قال السلف: المؤمن أشدّ حساباً لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح<sup>(١)</sup>.

أيها الإخوة، هذه إحدى الشكويين.

### معاشرة المرأة لزوجها وهي كارهة:

أمّا الشكوى الأخرى فهي من امرأة تشكو من زوجها، وتقول: هل يفرض الإسلام على المرأة أن تعاشر زوجها وهي تكرهه ولا تطيق معاشرته، ولا تطيق النظر إلى وجهه، فطالما آذاها، وطالما سبها، وطالما أهانها، وطالما ضربها، ولكنها لا تملك أن تتخلص منه؛ فالرجل في يده الطلاق، يستطيع أن يتخلص من المرأة متى شاء، ولا يملك أحد أن يردّه، فهو حقّ في يده.

وكم من أناس طلقوا نساءهم دون أن يروا منهن إلا كلّ خير، ولكن هذا سيف مسلّط على المرأة؛ فالرجل يستعمل الطلاق بحقّ وبغير حقّ، مع أن هذه الأسرة كيانٌ قدّسه الشرع، وسمّى رباط الزوجيّة: ميثاقاً غليظاً، ﴿وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، وهي العبارة نفسها التي استخدمت مع النبيين ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

(١) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩)، عن ميمون، بلفظ: التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص. تحقيق مصطفى بن علي بن عوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

هذا الميثاق الغليظ يستطيع الرجل أن يفكّه وأن يهدمه بالطلاق، ويهدم هذه المؤسسة، على رأسه وعلى رأس امرأته، وعلى رأس أطفاله، ولا يبالي، مع أنّ «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»<sup>(١)</sup>.

ومع أنّ الطلاق من غير ما بأس ولا أذى من المرأة ولا تقصير في شيء هو حرام، فالله جعل التفريق بين الزوجين من أعمال السحرة الكفرة، قال عن هؤلاء: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وجاء في الحديث: «إنّ إبليس يضع عرشه على الماء، ثمّ يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئاً. قال: ثمّ يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتّى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت»<sup>(٢)</sup>، فيكون هو التابع الحقيقي لإبليس؛ لأنّه هدم الأسرة، سيتشرد الأطفال، وتضيع المرأة، ويحذّث ويحذّث ويحذّث، فيقول له: نعم أنت.

إنّ الإسلام حريص على أن تبقى الأسرة، وعلى أن تستمرّ، ولكنّه يُقدّر للظروف قدرها، فأعطى الرجل هذا الحقّ؛ ليستخدمه في موضعه، إذا استحالَت العشرة، فهي عمليّة جراحية يُلجأ إليها عند الضرورة، كما يشقّ الإنسان بطنه، وكما يقطع عضواً منه؛ حماية لبقية أعضاء البدن.

إذا لم يكن إلاّ الأسنة مركّبٌ فما حيلة المضطرّ إلاّ رُكوبها<sup>(٣)</sup>

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٥.

(٢) رواه مسلم في صفات المنافقين (٢٨١٣)، وأحمد (١٤٣٧٧)، عن جابر.

(٣) من شعر الكميت بن زيد. انظر: جمهرة أشعار العرب ص ٧٩٠، تحقيق علي محمد البجادي، نشر نهضة مصر، القاهرة.

### الوسائل التي شرعها الإسلام للمرأة إذا استحالت العشرة:

وكما أعطى الشارع الحكيم للرجل حق الطلاق، أعطى للمرأة أكثر من وسيلة، تستطيع من خلالها إنهاء عشرتها مع الرجل، إذا كانت لا تطيقه، واستحالت العشرة معه.

### الوسيلة الأولى: الخلع:

فالوسيلة الأولى التي أعطاها الإسلام للمرأة، حق الخلع: أن تخلع نفسها من الرجل، إذا كانت لا تطيق معاشرته، فلا يعقل من الإسلام الذي شرع الطلاق للرجل، أن يدع المرأة تعايش الرجل رغم أنفها، فلا يمكن أن تقوم حياة بالإكراه، ولا يمكن أن يفرض قانون الشرع على اثنين أن يعيشا، وأحدهما يكره الآخر ولا يطيقه، ولذلك شرع الإسلام الخلع.

مع أن الله قد عبّر عن العلاقة بين الرجل والمرأة بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فهي تريد أن تخلع هذا اللباس، وعبّر القرآن عنها بالفدية، أن تفدي المرأة نفسها: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، تريد أن تفدي نفسها كما يفدي الأسير نفسه، ويفك نفسه بفدية يدفعها، فهي تدفع للرجل شيئاً تخلص به رقبتها منه.

وهذا أمر مشروع إذا كان الكره من قبل المرأة، إذا كانت هي التي تبغضه.

أمّا إذا كان الزوج هو الذي يكرهها، ويريد أن يستبدل بها أخرى،



فلا يجوز أن يأخذ منها شيئاً، ففي الآية التي ذكرناها: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَنَّا وَإِنَّمَا مَثَرُ مُبْدِنَا \* وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

أما إذا كانت المرأة هي الكارهة، هي المُبغضة، هي التي تريد مفارقة الزوج، فمن حق الزوج أن يقبل الفداء منها.

وقد جاءت جميلة بنت سلول إلى النبي ﷺ تشكو إليه زوجها ثابت بن قيس بن شماس، أحد أبطال الصحابة ومجاهديهم، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: «أتردّين عليه حديقته؟».

قالت: نعم.

قال رسول الله ﷺ: «أقبل الحديقة وطلّقها تطليقة»<sup>(١)</sup>.

قالت: أكره الكفر في الإسلام: تقصد كفر العشرة؛ لأنّه كان ﷺ دميماً، كما في رواية الإمام أحمد: إنني لا أراه [أي: لا أطيق رؤيته]، فلو لا مخافة الله ﷻ لبزقت في وجهه<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري في الطلاق (٥٢٧٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٩٥)، وقال مخرّجه: حسن لغيره. والطبراني (١٠٣/٦)، عن سهل بن حثمة. وقال السندي: قوله: لا أراه، أي: لا أقدر أن أنظر إليه من شدة الكراهة والنفرة. انظر: حاشية السندي (٢٣٠/٩)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.



وكان هذا أول خلع في الإسلام، فأمرها الرسول ﷺ أن تردّ عليه حديقته، ولم يزد عليها.

ولهذا رأى عددٌ من الفقهاء أنّه لا يجوز للرجل أن يأخذ منها أكثر ممّا أعطاه، وبعضهم أجاز أن يأخذ أكثر من كلّ ما تملكه.

ففرّق النبي ﷺ بين جميلة وثابت، واختلف العلماء هل كان تفریقاً بالطلاق كما تدل بعض الروايات، أم كان تفریقاً بالفسخ كما يدل عليه ظاهر القرآن، أنّ الخلع فسخ وليس بطلاق، المهم أنّه فرق بينهما.

وعن كثير مولى سُمرة قال: «أخذ عمر بن الخطاب امرأة ناشزة فوعظها، فلم تقبل، فحبسها في بيتٍ كثير الزبل ثلاثة أيام، ثمّ أخرجها، فقال: كيف رأيتِ؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لا والله ما وجدتُ راحة إلا هذه الثلاث. فقال عمر: اخلعها ويحك، ولو من قُرطها»<sup>(١)</sup>. فعرف عمر أنّ المرأة كارهة لزوجها، وأمر زوجها أن يخلعها، ويأخذ منها ما أعطاه من قبل.

ومن أجل هذا ينبغي للقاضي أن ينظر إذا جاءت إليه مثل هذه الشكاوى، إن كانت المرأة لا تطيق زوجها، فلا يُجبر المرأة على أن تعيش من تكره.

وقد قال الحكيم قديماً: إنّ من أعظم البلايا مصاحبة من لا يوافقك ولا يفارقك.

ويقول المُنَبِّي:

واحتمالُ الأذى ورؤيةُ جانيهِ — غداءٌ تَضَوّي به الأجسامُ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر: كنز العمال (١٥٢٦٩)، وتفسير الطبري (١٥٧/٤).

(٢) ديوان المتنبي ص ١٦٤، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ويقول أيضاً:

ومن نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ<sup>(١)</sup>

لذلك كانت حكمة الإسلام هنا، أن يفرق بين الرجل والمرأة بهذا الخلع، فهو إحدى الوسائل التي أعطاها الإسلام للمرأة؛ لتخلص من زوجها إذا كانت مبغضة، وينبغي للمحاكم الشرعية أن تقدر هذا الأمر حق قدره.

### الوسيلة الثانية: إرسال الحكمين:

أما الوسيلة الثانية من الوسائل التي شرعها الإسلام، فهي بعث الحكمين، فالقرآن ذكر لنا أنه حين تهب رياح الخلاف، من قبل الزوجين، فلا بد من عقد هذا المجلس العائلي، أو هذه المحكمة العائليّة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]، هذان الحكمان مكلفان من قبل الشرع أن يفصلا بين الزوجين، بعض الفقهاء قالوا: هما وكيلان، لكن الله تعالى سماهما: حكمين، فمن حقهما أن يحكما، وهذا ما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم؛ فقد بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه ابن عباس ومعاوية رضي الله عنهما حكمين في قضية بين عَقِيل بن أبي طلب وزوجته ابنة عُبَّة بن ربيعة، حيث حصل خلاف بينهما، فقالت المرأة: أين عتبة بن ربيعة؟ وأين شيبه بن ربيعة؟

فقال لها زوجها: على يسارك في النار إذا دخلت هناك.

فشكته إلى عثمان، فضحك عثمان، وبعث بـابن عباس ومعاوية

ليحكما بينهما.

(١) ديوان المتنبي ص ١٩٨.

فلما سمعا من الرجل وامرأته، كان رأي ابن عباس أن يفرق بينهما، ورأي معاوية ألا يفرق، وأنه ما زال أمل، وسرعان ما زال هذا الأمل، واتفقا على التفريق، حيث لم يجدا بُدًّا من ذلك<sup>(١)</sup>.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث بحكّمين للإصلاح بين زوجين قد نشب بينهما خلاف، فرجع الحكّمان وقالوا: يا أمير المؤمنين، لم نستطع أن نصلح بينهما.

فقال لهما: أصلحا نيّاتكما وعُودا.

فعاد الحكّمان بنية جديدة وعزيمة جديدة فاستطاعا أن يصلحا بينهما. وعادا فقالوا: يا أمير المؤمنين، قد أصلح الله بينهما.

فقال عمر: صدق الله: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]<sup>(٢)</sup>.

والعجيب أن القرآن ذكر حالة التوفيق، ولم يذكر حالة التفريق؛ ليرشدنا إلى أن الشارع يتشوّف دائماً إلى الإصلاح والتوفيق.

كلّما استطعنا أن نوفّق بين الزوجين المتخاصمين كان أولى، فإن لم يجزئ إلا التفريق، «فما حيلة المضطر إلا ركوبها» كما قال الشاعر.

جاء رجل وامرأة إلى علي بن أبي طالب، ومع كلّ واحد منهما فئام من الناس، فأمرهم علي رضي الله عنه فبعثوا حكّماً من أهله وحكّماً من أهلها، ثم قال للحكّمين: أتدريان ما عليكما؟

عليكما إن رأيتما أن تجمعا أن تجمعا، وإن رأيتما أن تفرّقا أن تفرّقا.

قال: قالت المرأة: رضيت بكتاب الله بما عليّ فيه ولي.

(١) رواه البيهقي في القسم والنشوز (٣٠٦/٧).

(٢) إحياء علوم الدين (٤٩/٢).

وقال الرجل: أمّا الفرقة فلا.

فقال عليّ رضي الله عنه: كذبت، والله لا تبرح حتى تقر بمثل الذي أقرت به<sup>(١)</sup>.  
هكذا كان الصحابة يرون من حقّ الحكمين أن يفرّقا، إن شاء أن يفرّقا، وأن يجمعا إن شاء أن يجمعا ويوفّقا.

### الوسيلة الثالثة: القضاء:

وقد شرع الإسلام للمرأة وسيلة أخرى، تلجأ إليها عند استحالة العشرة، وهي اللجوء إلى القضاء؛ ليفرّق القضاء بين الرجل والمرأة.  
هناك أشياء مقررة يفرّق القضاء فيها بين الزوجين دون أدنى شيء، كما في العيوب الجنسية، مثل أن يكون الزوج عاجزاً، لا يستطيع أن يؤدي لامراته حقّها، وثبت ذلك، فيكون على القاضي أن يفرّق بينهما، إذا رفعت المرأة أمرها إليه.

وهناك التطليق للضرر، إذا ثبت أن الرجل يضار المرأة ويؤذيها، بأي نوع من أنواع الأذى، سواء كان أذى بدنياً أو أذى نفسياً، أذى مادياً أو أذى أدبياً.. يهين إنسانيتها، يهين كرامتها، يشتمها أو يشتم أهلها، لا يعطيها أي حقّ من الحقوق الأدبية، فمثل هذا ينبغي أن يفرّق بينهما القضاء، بعد أن يُحاول الإصلاح ما أمكن، وإلاّ ف«لا ضرر ولا ضرار»، كما قال النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

لا يجب على المرأة أن تبقى في عصمة رجل لا يقيم لها حقّها، ولا يعترف لها بكرامة ولا وزن، فالقضاء هنا هو الملجأ.

(١) رواه البيهقي في القسم والنشوز (٣٠٥/٧).

(٢) سبق تخريجه ص ١٣.

وقد قال بعض فقهاء الشافعية: إنَّ الرجل إذا ضرب المرأة بغير حقٍّ، أو ضربها بحقٍّ فتجاوز في ضربها، فمن حقَّ المرأة أن تلجأ للقضاء، ومن واجب القضاء أن ينصف المرأة<sup>(١)</sup>.

فالإسلام لا يُجيز ضرب المرأة بخشبة، ولا أن يضربها في وجهها، ولا في مقتل، إلخ، فهناك قيود لاستخدام رخصة الضرب للمرأة الناشز، ولذلك يحقُّ لها حينئذٍ أن ترفع أمرها للقضاء.

وكذلك قال عددٌ من الفقهاء: إذا أعسر الرجل ولم يستطع أن ينفق على المرأة، فمن حقِّها أن ترفع أمرها إلى القضاء، وأن يستجيب لها القضاء؛ لأنَّه لا يُطلب منها أن تصبر على الجوع.

وإن كان من باب مكارم الأخلاق إذا عرفت المرأة إعسار زوجها، فوافقت على العيش معه، أن تصبر على الجوع، عن طيب نفس منها، فلا مانع من ذلك، وإلا فليس مطلوباً منها أن تصبر على هذا الأمر. والذي نصَّ عليه الشافعي قديماً وجديداً أنَّها بالخيار، إن شاءت صبرت وأنفقت من مالها، أو اقترضت وأنفقت على نفسها ونفقتها في ذمته إلى أن يوسر، وإن شاءت طلبت فسخ النكاح<sup>(٢)</sup>.

هناك إذن أكثر من وسيلة لإنصاف المرأة إذا أبغضت زوجها، وكلُّ ما يريده الإسلام هنا ألا تتسرع المرأة في طلب الخلع، أو طلب الطلاق عند القاضي، أو طلب الحكمين، إلا إذا كان هناك ما يبرر هذا ويسوّغه،

(١) انظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج لابن قاضي شهبة (٣/١٨٩، ١٩٠)، تحقيق أنور بن

أبي بكر الشيشي الداغستاني، نشر دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٢) انظر: كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار ص ٥٨٤، تحقيق عبد الله بن سُمَيْط ومحمد شادي

عربش، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ٥، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

والنبي ﷺ يقول: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>، فالطلاق ليس ألعوبة تلعب بها المرأة، أو يعبت بها الرجل، وإنما شرع ليفضّ الحياة الزوجية، عند تعسّر الوفاق، فإن لم يكن وفاق ففراق، ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

هذا ما جاء به الإسلام، وهذا ما ينبغي أن يفقهه المسلمون، أن يراعوا حقوق النساء، أن يراعوا حدود الله، أن يتقوا الله في النساء، فإن النبي ﷺ كان يوصي بالنساء حتى في آخر لحظات حياته.

وأوصى بالنساء في حجة الوداع، وقال: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، لَا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسَهُنَّ شَيْئًا... أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

فلا بدّ أن نرعى الحقوق، ونؤدّي الواجبات، والله تعالى يوفّقنا إلى ما يحب ويرضى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٥.

(٢) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، كلاهما في الحجّ، عن جابر.

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

تابعنا في الأسابيع الماضية بقلق وإشفاق مسيرة إخواننا المبعدين من ليبيا، الذين يقفون عند الحدود، لا يعرفون لهم مستقرّاً، ولا يعرفون لهم داراً، ترفضهم هذه الأرض، وتطردهم تلك الدولة، ما ذنب هؤلاء حتّى يشرّدوا هذا التشريد، ومعهم نساء وأطفال وشيوخ كبار، وأناس عاشوا عشرات السنين في تلك الديار، وأصبحت لهم حقوق في بلاد أخرى؟! إنّ مثل هؤلاء يأخذون في البلاد الأخرى جنسية البلاد التي عاشوا فيها، وهم لا يطمعون في ذلك، وإنّما يطمعون أن يبقوا كما هم، فلهم مصالحهم، ولهم أعمالهم، ولهم دورهم، ولهم دكاكينهم، ولكن للأسف كلّما اختلفت حكومة مع حكومة وقعت العقوبة على شعب ذلك البلد.

إذا اختلفت بلد مع الفلسطينيين طردت الفلسطينيين.

إذا اختلفت مع حكومة مصر طردت المصريين.

إذا اختلفت مع حكومة السودان طردت السودانيين.

إذا اختلفت مع حكومة العراق طردت العراقيين، وهكذا.

ما ذنب هؤلاء الرعايا، وقد يكونون معارضين لحكوماتهم، وقد يكونون من أشدّ الناس نقمة عليها، ولكن هكذا يعامل بعضنا بعضاً..

إننا نتوجّه إلى العقيد القذافي أن يتقي الله في هؤلاء الإخوة، الذين لا حول لهم ولا طول، ولا ذنب لهم، لا في اتفاق أو سلو، ولا في اتفاق



طابا، ما أخذ رأيهم في هذا الأمر، ولا كان لهم فيه شأن، هؤلاء قوم مساكين ينبغي أن تُرعى حرمتهم، ينبغي أن يُرعى جوارهم، ينبغي أن تُرعى المدة التي قضوها في تلك البلاد.

وأنا أعجب لهؤلاء الناس الذين يزعمون أن البلاد العربيّة بلدٌ واحد، ووطنٌ واحد، وأنّ العرب أمّة واحدة، وأن هذه الحدود حدود مصطنعة، صنعها الاستعمار، وهي حدود مفتعلة، بين قطر وقطر، وبين بلد وبلد.

كيف يُخرج على هذا، ونعود قُطريّين، إقليميّين، نرفض كلّ ما يؤدّي إلى الوحدة.

إنّه لأمر عجيب.

وإنّما ينبغي أن يُنظر إلى أننا شعب واحد، وأمّة واحدة في وطن واحد، وأن هذه الحدود لا ينبغي أن تفصل بين الناس بعضهم وبعض، وأتمنى أن يأتي اليوم الذي يستطيع فيه العربي أن يجوز هذه الحدود بالبطاقة الشخصية، أو بغير البطاقة، وهذا ما يفعله الأوروبيون الآن، لماذا لا نأخذ من غيرنا مثل هذه الأشياء؟ لماذا نأخذ منهم السيئات ونترك الحسنات؟!

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُفَقِّهنا في ديننا، وأن يجمع أمّتنا على الهدى، وقلوبها على التّقى، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ أكرمنا ولا تُهّنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهمّ أيدّ إخواننا المجاهدين حيث ما كانوا، اللهمّ أيدّ إخواننا المجاهدين في فلسطين ولبنان، وإخوتنا في البوسنة والشيّشان، وإخوتنا في كشمير والسودان، وإخوتنا في الفلبين وفي سائر البلدان.



اللهم أيد إخواننا المضطهدين والمعتقلين حيثما كانوا، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم.

اللهم اجمع كلمة إخواننا في الصومال، وكلمة إخواننا في أفغانستان، وارفع المعاناة عن إخواننا من شعب العراق.

اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وأعنا ولا تُعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\* \* \*

## المال في الإسلام

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### نظرة الإسلام للمال:

وقفنا عند قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذَرْ بَذِيرًا \* إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا \* وَإِذَا تَعَرَّضْتُمْ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٨]، صدق الله العظيم.

تحدثنا عن حقّ ذوي القربى، وحقّ المساكين، وحقّ أبناء السبيل على الإنسان فيما آتاه الله تعالى من مال، حيث جعل الله لهؤلاء حقاً مفروضاً، ليس تفضلاً، وليس تطوعاً، وليس إحساناً اختياريّاً، وإنما هو حقّ فرضه صاحب المال وهو الله تبارك وتعالى، على من استخلفه في هذا المال، هو حقّ من المالك الأصلي للمال لمن جعله وكيلاً على هذا المال، ﴿وَعَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

الإسلام لم ينظر إلى المال على أنّه شر وبقمة، كما تنظر إلى ذلك

بعض الأديان والفلسفات، جاء عن المسيح أنه قال: لا يدخل الغني ملكوت السماوات حتى يدخل الجمل في سم الخياط<sup>(١)</sup>.

وقال لمن أراد أن يتبعه ويؤمن به: اذهب وبع مالك ثم اتبعني<sup>(٢)</sup>.

الإسلام لم يأمر الناس أن يتخلوا عن أموالهم وأن يخرجوا منها، ولكنه طلب منهم أن يشكروا الله على نعمة المال التي خولهم الله إياها، وجعلها أمانة في أيديهم ووديعة عندهم، فهي نعمة يجب أن تُشكر، وهي أمانة يجب أن تُحفظ، وهي وديعة يجب أن تُرعى، وهي حق لله ولعباده يجب أن يؤدي، ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُذْرًا تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، ﴿فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الزوم: ٣٨].

### إنفاق المال في الحق:

يجب عليك في مالك أن تعطي منه لذوي الحقوق حقوقهم، أن تبرئ ذمتك بأداء الحق حتى تلقى الله تعالى بريئاً طاهراً، وإلا تحول هذا المال يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جنبك وظهرك ووجهك، ذوقوا ما كنتم تكنزون، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

(١) إنجيل متى (٢٤/١٩).

(٢) إنجيل مرقس (٢١/١٠).

هذا هو الواجب الأوّل في المال، ألا تنفقه في الباطل، فالواجب الأوّل أن تنفق المال في الحقّ.

### خطوات الشيطان في المال:

أمّا الواجب الثاني في المال: أن تمسكه عن الإنفاق في الباطل، فإنّما يغدو الشيطان ويروح على الناس في أمر المال بثلاث: أن يكسبوه من غير حلّه، وأن ينفقوه في غير حقّه، وأن ييخلوا به عن حقّه.

ولهذا يُسأل كلّ إنسان يوم القيامة، لا تزول قدماه في الموقف حتّى يُسأل عن أربع، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة حتّى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»<sup>(١)</sup>.

فمن هذه الأربع التي يُسأل عنها كلّ امرئ ولا بدّ يُسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟

أصدر الناس قوانين في هذه الدُّنيا تحت عنوان: «من أين لك هذا؟»، الكسب غير المشروع، ولكن اللصوص الكبار دائماً لا تنالهم هذه القوانين، إنهم يسرقون الملايين وعشرات الملايين ومئات الملايين تحت نفوذ قريب أو إنسان من الناس يحميهم، الذين يعاقبون دائماً هم اللصوص الصغار، أمّا اللصوص الكبار الذين ينهبون خزائن الدول، والذين يمتصون دماء الشعوب فهم دائماً في عافية، لا ينالهم الجزاء، ولا ينالهم العقاب، ولكن سيأتي يوم يقال له: من أين لك هذا؟ من أين

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

اكتسبتَ هذا المال؟ من أين جاءتكَ هذه الأُلُوف وهذه الملايين؟ ماذا صنعتَ أكثر ممَّا يصنع النَّاس حتَّى كَوَّنتَ هذا المال كلَّه؟

أجب، حضّر للسؤال جوابًا، والبس للحساب جلبابًا، هؤلاء سيطول حسابهم ويطول، من قلَّ ماله قلَّ حسابه، ومن كثر ماله طال حسابه، من أين اكتسبه وفيه أنفقه؟

والسؤال الثاني عن المال: فيم أنفقه؟ في أي شيء أنفقته؟

المفروض في كلِّ ذي مال في الإسلام أن ينفق ماله في الحقِّ، يؤتي منه الزَّكاة، يؤتي القريب والمسكين وابن السبيل، وجود على المحتاج، يُغيث الملهوف، الحقوق في المال كثيرة، الحد الأدنى فيها هو الزَّكاة، وفي المال حقٌّ سوى الزَّكاة، عليه أن ينفق في الحقِّ، وعليه أن يمسك ماله عن الباطل، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا بُذْرَ تَبْذِيرًا﴾، ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُذْرَ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، أعطِ المال في حقِّه وأمسكه عن الباطل.

### الفرق بين الإسراف والتبذير:

التبذير إنفاق المال في غير الحقِّ، في غير طاعة الله، في غير ما يصلح به الإنسان فردًا، وما تصلح به الأمة جماعة، إنفاق المال في الفساد هذا هو التبذير، التبذير غير الإسراف.

الإسراف أن يتجاوز الإنسان الحد في إنفاق الحلال، وسيأتي حديث عنه.

والتبذير أن تنفق المال فيما لا يحل لك، ولهذا جاء عن ابن مسعود وابن عبَّاس وكثير من مفسري السلف أن إنسانًا لو أنفق

ماله كلّه في طاعة الله لم يكن مبدراً، ولو أنفق درهماً واحداً في معصية الله كان مبدراً<sup>(١)</sup>.

المبذر من ينفق ماله فيما لا يرضي الله تبارك وتعالى، فمن أنفق شيئاً من ماله في المسكرات، في المخدرات، فيما يضرّ نفسه وأهله، فيما يعود عليه بالشرّ، في الميسر، في الزنى، في الخنا، في الفجور، لو أنفق درهماً واحداً في هذه الأمور كان مبدراً.

لا يجوز للمسلم أن ينفق ماله في الحرام، كيف يستعين بمال الله على معصية الله؟!

الله أعطاك نعمة فمن واجبك أن تشكر صاحب هذه النعمة، أيجوز لك أن تأخذ من إنسان شيئاً ثمّ تستعمله ضده؟

هذا لا يُقبل في منطق الأخلاق، ولا في منطق الفضائل، ولا في منطق الأعراف، فكيف تجيز لنفسك أن تأخذ مال الله ثمّ تستخدم هذا المال في محاربة الله وُجْهِكَ في الخمر والميسر، في الفجور؟!

### صور من التبذير:

لا يجوز أن تنفق مالك ولو كان قليلاً في المعصية، الذي ينفق ماله في أواني الذهب والفضة هذا ينفقه في حرام؛ فقد قال النبي ﷺ: «من شرب في إناء من ذهب أو فضّة، فإنّما يُجَرَّجُ في بطنه ناراً من جهنّم»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦٩/٥)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٥)، وأحمد (٢٦٥٦٨)، عن أم سلمة.



حَرَّمَ الإسلام على الذكر والأنثى استعمال أواني الذهب والفضة؛  
استخدام أواني الذهب والفضة لون من الترف الذي حَرَّمه الإسلام، لماذا  
يستعمل الناس هذه الأشياء المذهَّبة والمُفضَّضة؟!

ما أجمل أواني الطَّين وغيره!

كذلك حَرَّمَ الله على الرجال الذهب والحرير، كما جاء في الحديث  
أنَّ رسول الله ﷺ أخذ حريًّا بشماله، وذهبًا بيمينه، ثمَّ رفع بهما يديه  
فقال: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِنِائِهِمْ»<sup>(١)</sup>، فلا يجوز  
للمسلم أن يتحلَّى بالذهب، كما نرى - للأسف - كثيرًا من الشباب ومن  
الرجال في عصرنا يلبسون قلائد ذهبية في أعناقهم!

ما أجدر أن تباع هذه القلائد لتنفق في سبيل الله، لتنفق على  
المجاهدين، لتنفق على أبناء الشهداء، لتنفق على الجائعين الذين يموتون  
جوعًا في إفريقيا.

لا يجوز أن يلبس سلسلة أو قلادة في عنقه، يتشبه بالنساء ويتشبه  
بالكفار، لو كانت من غير ذهب لكانت حرامًا، فكيف إذا كانت ذهبًا؟!  
حتى ولو كان ذلك مصحفًا، كما يعلّق بعض الجهلة قلادة من  
مصحف، لماذا؟

تعويذة يتبرك بها، هذا جمع بين ارتداء الذهب المحرَّم على  
الرجال وبين حرام آخر؛ لأنَّه علّق تميمة، أتى إلى رسول الله ﷺ عشرة

(١) رواه أحمد (٩٣٥)، وقال مخرّجوه: صحيح لشواهده. وأبو داود في اللباس (٤٠٥٧)، والنسائي  
في الزينة (٥١٤٤)، وصح إسناده النووي في رياض الصالحين (٨٠٦)، وصحَّحه الألباني في  
مشكاة المصابيح (٤٣٩٤)، عن علي بن أبي طالب.

رھط لیبایعوه، فبايع تسعة ولم يبايع الآخر، فقیل: یا رسول الله ما لك لم تبایع هذا؟

فقال: «إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةَ».

فأدخل يده فقطعها، فبايعه رسول الله ﷺ، وقال: «من علّق تميمه فقد أشرك»<sup>(١)</sup>، و«من تعلّق تَمِيمَةً فلا أتمّ الله له»<sup>(٢)</sup>، «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكٌ»<sup>(٣)</sup>.

لا يجوز للمسلم أن يلبس الذهب في رقبته، أو يلبس خاتم الذهب في إصبعه؛ رأى النَّبِيُّ رجلاً يلبس خاتماً من ذهب في يده فنزعه وطرحه، وقال: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ».

فقیل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خُذْ خاتمك انتفع به.

قال: لا والله، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

كانوا سراعاً إلى الوقوف عند حدود الله، إذا تبَيَّنَ لهم الحرام تركوه.

لماذا يلبس النَّاسُ هذه الخواتيم أو «الدُّبَل» كما يسمُّونها، ويبدؤون بها حياتهم الزوجية؟

(١) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وقال مخرّجوه: حسن. والحاكم في الطب (٢١٦/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٥٢٤١)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٢٦٦)، عن عقبة بن عامر.

(٣) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥)، عن ابن مسعود.

(٤) رواه مسلم في اللباس (٢٠٩٠)، عن ابن عباس.

أي: يبدوون الحياة الزوجية بالحرام، أوّل ما يريد أن يدخل في الحياة الزوجية يبدأ بحرام، يرتكب الرجل حراماً، لماذا لا يلبس فضة إن كان لا بدّ؟

مع أنّ هذه العادة كلّها غير إسلاميّة، لبس الخواتيم أو الدبّل، هذه عادة ليست من الإسلام في شيء، هي عادة كنسيّة، وما عرف المسلمون في العصور السابقة هذا أبداً، طوال العصور السابقة لم يعرفوا خاتم الفضة هذا إطلاقاً، لماذا يستخدم النّاس هذا؟  
إنفاق المال في هذا تبذير، ﴿وَلَا بُذْرَ تَبْذِيرًا﴾.

### إنفاق المال في التدخين:

إنفاق المال في التدخين - الذي ثبت ضرره بيقين - من التبذير، وأقرّت الهيئات العلميّة والطبية في أنحاء العالم أنّ التدخين ضار بالصحة، حتّى ألزموا الشركات المنتجة للسجائر أن تكتب ذلك على غلب السجائر: التدخين ضار بالصحة، لماذا ينفق الإنسان ماله فيما يضرّ بصحّته؟ لماذا يشتري الإنسان ضرره بحرّ ماله؟ لماذا ننفق أموالنا لنزّبح شركات السجائر الاستعماريّة العالميّة؟

شركات رأسماليّة يملكها غيرنا، لماذا نعطي هؤلاء أموالنا مقابل ما يضرنا؟

هذا لو لم يأت الدين بتحريمه لأتى العقل بتركه؛ العقل يقول: يا عقلاء ارحموا أنفسكم وأجسامكم، واحفظوا أموالكم، ولا تضعوها في أيدي أعدائكم، كلّ هذا من التبذير، ﴿وَلَا بُذْرَ تَبْذِيرًا﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿[الإسراء: ٢٦، ٢٧].

المبذرون لأموالهم الذين يبعثرون الأموال ويبذرونها في غير موضعها ينفقون الأموال فيما لا يرضي الله.

وهؤلاء ذكر القرآن أنهم إخوان الشياطين؛ المبذر شبيه بالشيطان، صنو للشيطان؛ لأن الشيطان كفور بنعمة ربه، وهؤلاء - أيضاً - كفروا بنعمة ربهم، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

وهؤلاء - أيضاً - كانوا كفروا النعمة، لم يشكروا النعمة، لم يراعوا حقها، استخدموها فيما لا يرضي ربهم، أعطاهم الله الأموال، سخر لهم الأرزاق، وسَّع عليهم من فضله، آتاهم رحمة من عنده، ولكنهم - للأسف - لم يراعوا هذا الفضل، لم يراعوا هذه النعمة، وأنفقوها في معصية الله تبارك وتعالى، ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ \* إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا \*.

### الإسلام يحارب الترف:

ادخل كثيرًا من بيوت المسلمين الذين آتاهم الله المال، تجد أموالاً تنفق في غير موضعها، تجد أواني الذهب والفضة، تجد تماثيل معلقة من الفضة أو من النحاس أو من البرنز، والتماثيل في حد ذاتها محرمة، حتى وإن كانت من طين أو من جبس، فكيف إذا كانت من مواد غالية الثمن؟! مواد غالية الثمن؟!

الإسلام حرم هذا.

تجد كثيرًا من الأشياء في بيوت المترفين، والإسلام حارب الترف، وجعله سببًا من أسباب الهلاك للأفراد وللأمم، ويقول القرآن: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

جاء في هذه الآية أكثر من قراءة، هناك القراءة المشهورة: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾، أي: أمرناهم بالعدل وبالطاعة ففسقوا عن أمر الله، وخرجوا عن دائرة الشرع، وأفسدوا في الأرض وأنفقوا في الباطل، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

وهناك تأويل لابن عباس: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾، أي: أكثرناهم، من قولهم: مَهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ، أي: كثيرة النسل، فإذا كثر المترفون أصبحوا خطرًا على الأمة.

وهناك قراءة أخرى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بالتشديد، أي: جعلناهم أمراء، جعلناهم حكامًا، جعلنا الأمر بأيديهم.

وفي حديث البخاري حينما جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن الساعة، فقال النبي ﷺ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قال: ها أنا يا رسول الله.

قال: «فَإِذَا ضُبِّعَتِ الْأَمَانَةُ فانتظر الساعة».

قال: كيف إضاعتها؟

قال: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فانتظر الساعة»<sup>(١)</sup>.

فإذا أصبح هؤلاء الذين ينفقون الأموال في الحرام، في المعاصي، في الشهوات، في الفجور، سادة على الناس يقلدهم من دونهم، ويمشون في ركبهم، فبشر هذا المجتمع بالانهيار، بشره بالهلاك، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

### الإِنْفَاقُ فِي الْبَاطِلِ ضِيَاعٌ لِلْإِنْفَاقِ فِي الْحَقِّ:

انظروا إلى حكمة القرآن كيف جمع بين الأمرين، ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾، إِنَّ التَّبْذِيرَ إِذَا وَقَعَ يَكُونُ عَلَى حَسَابِ الْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْفَقِيرِ وَالْقَرِيبِ وَالْمَحْتَاجِ، كَمَا قَالَ الْحَكِيمُ: مَا رَأَيْتُ إِسْرَافًا إِلَّا وَبِجَانِبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ<sup>(١)</sup>.

الذي ينفق المال في المخدرات والمسكرات وأنواع اللهو والفجور سيضيع حقوق الأقارب والفقراء والمساكين وأبناء السبيل وأهل العوز والحاجة والفاقة؛ لأنَّ الإِنْفَاقَ محدود، فإذا أنفقت في الباطل ضيعت بقدره في الإِنْفَاقِ فِي الْحَقِّ، ولهذا نجد القرآن في سورة أخرى يتحدث عن صنف من النَّاسِ فيقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا \* الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا \* وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا \* وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٦ - ٣٩].

انظروا كيف جمع بين الأمرين، يبخلون بما آتاهم الله من فضله، وفي الوقت نفسه ينفقون أموالهم رياء الناس؛ لأنَّهم ينفقون في جانب الباطل لكي يظهروا أمام النَّاسِ أنَّهم من أصحاب المال وأصحاب الغنى، وأنَّهم، وأنَّهم، ومن ناحية أخرى يمسكون أنفسهم ويقبضون أيديهم عن النفقة في الخير، يبخلون بما آتاهم الله من فضله، ولكنَّهم في المظاهر الفارغة ينفقون رياء النَّاسِ؛ ليكون لهم منزلة عند النَّاسِ؛

(١) البيان والتبيين للجاحظ (١٧٧/٣).



ليظهر أنّهم من أصحاب المال والجاه، ينفقون للرياء، سواء أكان رياء دينيًا أم رياء اجتماعيًا.

هؤلاء ينفقون أموالهم رياء للناس، لا يدفعهم إلى ذلك إيمان بالله ولا باليوم الآخر، إنّما هو اتباع للشيطان، ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿[النساء: ٣٨، ٣٩]، ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

عليك - أيها المسلم - أن تعرف نعمة الله عليك في المال، وتسأل نفسك حينما تنفق أهذا في حلال أم في حرام؟

فإن كان حرامًا أو فيه شبهة حرام فأمسك عنه، وإن كان في حلال أحله الله فلا ضير عليك أن تستمتع بالطيبات، وإن كان في سبيل الله ومرضاته فسارع إليه فهذا هو الذي يبقى لك، ليس شيئًا ضائعًا، ما أنفقته الله فهو المدخر في رصيدك، هذا هو الذي يبقى لك يوم القيامة، ستجده عند الله مذكورًا.

### قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى:

﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿وَأِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أُتْبَعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٨]، إذا جاءك الأقارب، أو جاءك المساكين والمحتاجون، أو جاءك أبناء السبيل من ذوي الحاجات وسألك المعونة والمساعدة ولم يكن عندك شيء تنتظر رحمة الله وترجو رزقه فلا تقطّب جبينك في وجوههم، ولا تقابلهم بمقابلة خشنة، بل ألن لهم القول، قل لهم قولًا ميسورًا.



قل لهم: أنتظر فضل الله، أعدكم عن قريب إن شاء الله، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

قل لهم قولاً ميسوراً، قولاً ليناً، قولاً كريماً.

كان القدماء يقولون: البر شيء هين؛ وجه بشوش وكلام لين.

الْقَهْمُ بالوجه الباش، بالكلمة الطيبة، «تَبَشُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»<sup>(١)</sup>. والكلمة الطيبة صدقة، فإذا لم تستطع أن تتصدق بالمال، فقد لا يوجد عندك المال في كل وقت، تستطيع أن تتصدق ببشاشة الوجه، بطيب القول.

قل لهم قولاً ميسوراً، الكلمة الطيبة أفضل من صدقة يتبعها المن والأذى، كما قال القرآن: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴿[البقرة: ٢٦٣، ٢٦٤]، لا تجرح شعور أحد، خير من هذا ألا تعطيه وتقول له كلمة طيبة، فإذا لم يكن عندك مال وكنت تترجو رحمة ربك، تترجو رزقاً أن يأتي إليك، فعدمهم وعداً حسناً، وقل لهم قولاً ميسوراً، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

هذا هو أدب الإسلام، هذا هو خلق الإسلام، وهذا هو شأن المسلم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المسلمين الصادقين، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦)، وقال: حديث حسن غريب. والبخاري في الأدب المفرد (٨٩١)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٢٩)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. عن أبي ذر الغفاري.



## حَقُّ الْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ فِي الْمَالِ

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### عناية الإسلام بالمساكين:

وقفنا عند قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذَرْ بُذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، بعد أن تحدّثنا عن حقّ الوالدين وما يتبعه من حقّ الأبناء، وتحدّثنا عن حقّ ذوي القربى وصلة الأرحام، وتحدّثنا عن المسكين، عن حقّ المسكين، ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ﴾.

من العجيب أن يؤكّد القرآن ذلك منذ العهد المكي، أنّ للمسكين حقّاً، وأنّ لابن السبيل حقّاً، فهو ليس تفضلاً ولا تطوعاً، ولا إحساناً اختيارياً، إنّما هو حقّ قرّره واهب المال الله ﷻ، قرّره على المستخلفين في مال الله ﷻ، ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾.

شدّد القرآن أبلغ التشديد على حقوق المساكين من أهل العوز والحاجة، الذين لا يجدون ما يكفيهم من الطعام والشراب واللباس والمأوى، حتّى تتهيأ لهم حاجاتهم، وتحقّق لهم كفايتهم داخل المجتمع

الإسلامي، فالمجتمع المسلم كما صورته القرآن والسنة مجتمع متكافل، يأخذ القوي فيه بيد الضعيف، ويصب الغني فيه على الفقير.

لا ينبغي للإنسان أن يعيش وحده، ويأكل وحده، ويتمتع بنعم الحياة وحده، وبجواره من لا يجد من القوت ما يمسك رmqه أو يطفئ حرقه، ليس من الإسلام ولا من الإيمان ولا من الإحسان أن تأكل ملء بطنك، وأن تضحك ملء شديقك، وأن تنام ملء جفئك، وبجوارك من لا يجد ما يمسك عليه رمق الحياة، ليس هذا من الإسلام ولا من الإيمان في شيء.

ومن هنا كان على كل إنسان واجد أن يعطف على المحروم، أن يمدّ يده إليه، أن يعطيه حقه كما وصفه الله وسماه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، هو حق، حق له في مالك، دين في عنقك، ينبغي أن تعطيه هذا الحق، وإلا فإن النار تنتظرك، إن سقر ترتقبك، ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ \* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٤].

### الإنسان القاسي:

قلت لكم في الجمعة الماضية: إن الإسلام لم يكتف بأن يُطعم الإنسان المسكين، ولكن كلفه واجباً آخر، أن يدعو إليه ويحض عليه، أن يكون صاحب دعوة لإطعام المساكين، وكفايتهم وإيوائهم، وإلا لم يستحق أن يكون في زمرة المؤمنين، بل ينبغي أن يُسلك في زمرة المكذبين بالدين وبالجزاء يوم القيامة، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١]، ينكر الدين، وينكر الجزاء، وينكر يوم الدين، إن أردت أن تعرفه ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يُحْضِ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينَ﴾ [الماعون: ٢، ٣].

إنَّه الإنسان الأناني القاسي، صاحب القلب الحجري، ليس بين جانيه قلب من لحم ودم، إنما بين جنيبه صخرة صلداء، لا تنبض بالحياة، ولا تشف عن رحمة، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ يدفعه ويقهره، ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ إنه مشغول بنفسه، بمصالحه، بلذائذه وشهواته، بأهله وولده، بأمواله وثرواته، ولا يهتمه أكل المسكين أم جاع، أعاش أم مات، هذا هو ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿[الماعون: ١ - ٣].

ومن هنا وصف الله المجتمع الجاهلي بأن اليتامى والمساكين فيه ضائعون، حين قال مخاطباً أهل الجاهلية: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿[الفجر: ١٧ - ٢٠]، هذا هو شأن المجتمع المشرك، المجتمع الجاهلي.

أمّا المجتمع المسلم فإنه يرفع الضعفاء، يحنو عليهم، يعترف لهم بحقوقهم، لا يضيع فيه يтим ولا مسكين؛ لأن الله فرض لهم حقوقاً هي أموالهم لا ينبغي أن تُضيع.

جاء الإسلام ففرض الحق للمساكين ولابن السبيل، جاء ذلك في القرآن المكي، كآيات التي تلونها من سورة الإسراء المكية: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُدْرَ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، وجاء ذلك في سورة الرُّوم: ﴿فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٨]، وجاء ذلك في القرآن المدني، فجعل للمساكين حقاً في الزكاة ولأبناء السبيل، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

## في المال حق سوى الزكاة:

وجعل الإسلام للمساكين حقاً في المال سوى الزكاة، وبعد الزكاة؛ فالزكاة ليست هي الحق الوحيد في المال، هناك حقوق بعد الزكاة، الزكاة هي الحد الأدنى، هي الحق الدوري الثابت المحدد، الذي يجب أن يدفعه المسلم ولو لم يطالبه أحد به، ولو لم يوجد فقير في المجتمع، يجب أن يدفعها لتصرف في سبيل الله ونشر الدعوة ومقاومة أعداء الإسلام، ولكن هناك حقوق أخرى غير الزكاة، ومن هنا نجد القرآن الكريم وهو يحدثنا عن البرّ وعناصر البرّ فيقول: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أي: إيتاء المال هنا شيء غير إيتاء الزكاة، فليست الزكاة هي الحق الأوحد في المال.

إذا آتيت الزكاة ثم جدت حاجة في المجتمع المسلم، كأن كان لك قريب يحتاج إلى نفقة، أو كان هناك شخص مضطر يحتاج إلى من يسعفه، أو كان بجوارك مسكين جائع، أتدع واحداً من هؤلاء يهلك بحجة أنك أخرجت الزكاة؟!

ألم يقل النبي ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعاناً<sup>(١)</sup>، وجاره جائع إلى جنبه»<sup>(٢)</sup>، ما آمن بالنبي ﷺ من بات شبعاناً وهو يعلم أن من هم بجواره يئنون من الجوع أنين الملسوع.

(١) كذا الرواية «شبعاناً» مصروفاً، وتُخرَج على أن مؤنثه شبعانة.

(٢) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس بن مالك.

وفي حديث آخر يقول النَّبِيُّ ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»<sup>(١)</sup>، فليس من الإيمان أن تستمتع وغيرك محروم وأنت تعلم، الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، هذا هو المجتمع المسلم، هذا هو المجتمع المؤمن، مجتمع متكافل متراحم، وهكذا كان المسلمون الأولون، كانوا يبحثون عن المساكين وأبناء السبيل ليعطوهم حقوقهم.

### ما تميّزت به زكاة الإسلام:

جعل الإسلام هناك حقاً في المال للمساكين وأبناء السبيل، هو الزكاة المفروضة، التي يدفعها المسلم من تلقاء نفسه، وإن لم يطالبه بها حاكم، فإذا لم يدفعها طوعاً أخذت منه كرهاً.

وهذا ما تميّزت به زكاة الإسلام عن الصدقات التطوعية في الأديان الأخرى؛ كانت تلك الصدقات شيئاً موكولاً إلى أريحية الإنسان وضميره غير محدّد بمقدار، ولا محدّد بزمن، ولكن الإسلام جاء وحدّد الزكاة، وجعلها حقاً معلوماً، في وقت معلوم، في مال مخصوص، بنسبة مخصوصة، وجعل من واجب الدولة أن تطالب بها، أن تأخذها من الأغنياء وتردّها على الفقراء وتوزّعها على المستحقّين، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣].

فإذا لم يدفع الإنسان يجب أن تؤخذ منه بالقوة، وإذا كان هناك جماعة من الناس لهم شوكة ومنعة وامتنعوا عن إيتاء الزكاة فإن الدولة الإسلامية تشن عليهم الحرب، تُجيش لهم الجيوش، تقاتلهم بحدّ السلاح.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، والحاكم في البرر والصلّة (١٦٧/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.



وهكذا فعل الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قاتل مانعي الزكاة كما قاتل المرتدين والمتنبيين جنباً إلى جنب، وسواء بسواء؛ الذين زعموا أنهم أنبياء مثل: مسيلمة وسجاح وغيرهم قوتلوا، وقوتل معهم الذين قالوا: نصلي ولا نزكي، وقال الخليفة الأول قولته الشهيرة: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً - وفي رواية: عقلاً - كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها<sup>(١)</sup>.

إنها الدولة المسلمة، إنها الدولة التي تُعنى بالطبقات الضعيفة والفئات المسحوقة، قبل أن تعرف الدنيا الاشتراكية والماركسية وغير هذه المذاهب، التي تزعم أنها ترعى الفقراء والكادحين.

الإسلام قرّر لهؤلاء حقوقهم، وقاتل من أجلها، قبل أن يُعرف هؤلاء، قاتل من أجل حقوق الفقراء، بدون أن يثور الفقراء، ولم يقوموا بمسيرة ولا بمظاهرة يطالبون فيها بالحقوق، ولكن الإسلام قرّر لهم حقوقهم دون أن يطالبوا، بل ما كان الفقراء يشعرون أن لهم حقوقاً عند الأغنياء، ولكن الإسلام جاء فقرّر هذا الحق.

أوجب الإسلام الزكاة في الأموال النامية، كل مال نام يجب أن تكون فيه الزكاة، العُشر أو نصف العُشر أو ربع العُشر، كما جاء في شريعة الإسلام، تؤخذ من الأغنياء لترد على الفقراء.

### حق المساكين في الكفّارات:

وليست الزكاة - كما قلنا - هي الشيء الوحيد، هناك حقوق بعد الزكاة، وهناك كفّارات فرضها الإسلام في مناسبات شتى، هناك من حلف على

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.



يمين وحنث فيه، حلف ليفعلن كذا، ولم يفعله، هنالك كفارة لهذا اليمين إذا حلف بالله وَعَلَىٰ، كذلك إذا حرّم حلالاً على نفسه، حرّم أن يكلم فلاناً، أو أن يدخل دار فلان، أو حرّم على نفسه أن يأكل الطعام الفلاني، في تحريم الحلال كفارة يمين، وكفارة اليمين كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَكَفَّرْتُهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرُهُ أَيَّمَنْكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ليست الكفارة كما يظن كثيرون الصيام، الكفارة هي إطعام المساكين، وإنما الصيام لمن لم يجد، فمن لم يجد يصوم ثلاثة أيام.

من ظاهر من امرأته وقال لها: أنت عليّ كظهر أمي أو أختي أو ابنتي فعليه تحرير رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، كما قال القرآن: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٣، ٤].

وكذلك من وقع في الخطأ وجامع امرأته في نهار رمضان، جاء النبي ﷺ رجلٌ فقال: وقعت على امرأتي وأنا صائم.

فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبةً تُعْتِقُهَا؟».

قال: لا.

قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟».

قال: لا.

فقال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟».

قال: لا.

قال: فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيها تمر - والعرق: المِكتل - قال: «أين السائل؟».

فقال: أنا.

قال: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ».

فقال الرجل: أَعَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يا رسول الله؟ فوالله ما بين لَابَتَيْهَا - يريد الحَرَّتَيْنِ - أهل بيت أفقر من أهل بيتي.

فضحك النبي ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك من عجز عن الصيام لشيخوخة أو مرض مزمن، وفيها جاء تأويل ابن عباس، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]<sup>(٢)</sup>.

ومن نذر نذرًا للمساكين ففرض عليه أن يُؤَفِّيَهُ، إلى آخر ما شرعه الإسلام في مناسبات شتى لإطعام المساكين وإشراكهم في مناسبات الآخرين.

### العيدان وإطعام المساكين:

ومن هنا فرض الإسلام في عيد الفطر زكاة الفطر من رمضان، هي كما جاء في حديث ابن عباس: فرضها رسول الله ﷺ، فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١) كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود في الصَّيَام (٢٣١٨).

للمساكين، من أداها قبل الصَّلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصَّلاة فهي صدقة من الصدقات<sup>(١)</sup>.

فيها تطهير وجبر لما يحدث من خلل في الصيام، وفيها إطعام المساكين، وطعمة للمساكين، «أغْنَوْهُمْ عَنْ طَوَافِ هَذَا الْيَوْمِ»<sup>(٢)</sup>، بدل أن يسأل الفقير والمسكين ويطوف على النَّاس في هذه المناسبة المسلم هو الَّذِي يطوف عليه ويسأل عنه ويذهب إليه؛ حتَّى يعطيه الزَّكاة، أغْنَوْهُمْ عَنْ الطَّوَّافِ وَعَنْ السُّؤَالِ فِي هَذَا الْيَوْمِ.

كما شرع الإسلام في عيد الأضحى الأضحى، شرعها - أيضًا - توسعة على المساكين؛ ليأكل الإنسان منها شيئًا، ويُهدي شيئًا، ويتصدَّق بشيءٍ، تقسم أثلاثًا.

وكذلك في النعم التي تحدث للإنسان جعل للفقراء والمساكين نصيبًا؛ مثل: العقيقة عند ولادة المولود، أو كما يقال هنا في الخليج: «التميمة»، العقيقة: الذبيحة التي تذبح عن المولود، عن الذكر شاتان وعن الأنثى شاة، شكرًا لله على الفرحه بالمولود، توزع كما توزع الأضحية.

مناسبات شتَّى ينبغي أن ينال منها المسكين الفقير.

### حُقُّ الْمَسَاكِينِ فِي مَوَارِدِ الدَّوْلَةِ:

الفقير لا يضيع في المجتمع المسلم، هناك الزَّكاة، وهناك حقوق بعد الزَّكاة، وهناك مناسبات شتَّى شرعها الإسلام من أجل الفقراء والمساكين،

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (٥٦٨/١)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة، والدارقطني في زكاة الفطر (٦١/٣)، وقال: ليس فيهم مجروح. وحسَّن إسناده النووي في المجموع (١٢٦/٦)، عن ابن عباس.

(٢) رواه الدارقطني في زكاة الفطر (٢١٣٣)، والبيهقي في الزكاة (١٧٥/٤)، عن ابن عمر.

وهناك موارد الدولة الإسلامية المختلفة: خمس الغنيمة، وهناك الفيء، للمساكين وأبناء السبيل فيهما حق، يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، ويقول في توزيع الفيء: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

ينبغي أن يوزع أول ما يوزع على الفئات الضعيفة المحتاجة؛ حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء، أي: لا يكون المال تداوله مقصور على الفئات الغنية القادرة كما هو شأن المجتمع الرأسمالي.

أخص ما يميز المجتمع الرأسمالي أن المال فيه دولة بين الأغنياء وحدهم، هم الذين يتداولون الثروة، والآخرى لا حظ لهم فيها، إلا الفئات إن بقي لهم الفئات، موارد الدولة الإسلامية فيها حظ للمساكين وأبناء السبيل.

### الصدقات التطوعية:

وهناك بعد ذلك الصدقات التطوعية، الإسلام جعل هناك مجالين ومستويين: مستوى الإلزام، ومستوى التطوع.

هناك الحد الأدنى الذي يجب على المسلم أن يفعله، وإذا لم يؤدّه كان آثماً عند الله، ومذموماً عند الناس.

وهناك شيء فوق ذلك يفعله المسلم ابتغاء وجه الله ﷻ، لا يتقيد بمقدار، ولا يتقيد بوقت، يبذل فيه ما يبذل لله ﷻ، حتى رأينا مثل أبي بكر رضي الله عنه وجود بماله كله في مناسبة من المناسبات للنبي ﷺ، جاء بماله في حجره، فقال له النبي ﷺ: «ماذا أبقيت لأهلك وعيالك يا أبا بكر؟».

قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله<sup>(١)</sup>.

وقد جاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان من أغنى أغنياء المسلمين، ومن أسخى أسخيائهم، أنه لم يكن تجب عليه زكاة، رغم ماله الكثير لم تجب عليه الزكاة، لماذا؟

لأنَّ المال كان لا يبقى في يده حتَّى يحول عليه الحول، ما جاءه أنفقه على الفقراء والمساكين، وكلُّ من سأله حاجة أعطاه إياها.

حتى إنَّ بعض النَّاس لأمه على كثرة إنفاقه، ولكلِّ إنسان بطانتان: بطانة خير وبطانة سوء، بطانة خير تأمره بالخير وتحضُّه عليه، وبطانة سوء تثبِّطه عن الخير وتحضُّه على الشر، والعياذ بالله، فقال بعض جلسائه من بطانة السوء: لقد أسرفت في البذل والعطاء، ألا أبقيتَ شيئاً، ألا أمسكت يدك قليلاً عن الإنفاق؟

فقال لهم: يا قوم، إنَّ الله عودني عادة، وعودتُ عباده عادة، عودني أن يُعطيني، وعودتُ عباده أن أُعطيهم، فأخشى أن أقطع عادتي على عباده فيقطع عادته عني<sup>(٢)</sup>.

### ما لا يعرفه الماديون:

هكذا كان المجتمع المسلم، الصدقات، الإحسان إلى حدِّ الإيثار، هناك مرتبة لا يعرفها الماديون ولا الجاحدون، شيء أعلى من الواجب،

(١) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٧٨)، والترمذي في المناقب (٣٦٧٥)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الزكاة (٥٧٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٧٢)، عن عمر بن الخطاب.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٨٨٢/٣)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل،

ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

وشيء أعلى من الصدقة الاختيارية، أن يجود الإنسان بالشيء وهو محتاج إليه، أن يُطعم الطعام على حبه، يحب الطعام ويشتاق إليه ويشتهي، فإذا جاء محتاج تركه له ورضي وصبر، كما قال الله تعالى في وصف الأبرار: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨ - ١٢]، أن تجود بالشيء وأنت محتاجه وتحبه وتشتهيه.

هكذا وصف الله الأنصار بهذا الإيثار العظيم حينما قال: ﴿وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ جُوعٌ وَحَاجَةٌ﴾ ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

### الوقف الخيري:

فتح الإسلام الباب للصدقات العارضة والصدقات الجارية؛ الصدقة الجارية التي يستمر نفعها ولا ينقطع أثرها بموت صاحبها، الإنسان يستطيع أن يعيش بعد موته، يعيش أعمارًا متطاولة، بماذا يعيش؟

بأشياء تبقى بعده، تمتد في الحياة فتمد أثره ونفعه، هذا ما جاء في الحديث الصحيح: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(١)</sup>.

صدقة جارية يبقى نفعها، ومن أجل هذا عرف المسلمون هذه المؤسسة العظيمة: «مؤسسة الوقف الخيري»، وقفوا أوقافًا للخير، للمساكين، لأبناء السبيل، لطلبة العلم، لليتامى، للأرامل، لغير ذلك من

(١) رواه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأحمد (٨٨٤٤)، عن أبي هريرة.





الحاجات التي نقرؤها اليوم في حُجج الأوقاف ونعجب من هذه الأنفس الكبيرة، من هذه الضمائر العظيمة، كيف استوعبت حاجات عصرها، وكيف وقفت لكل حاجة ما يسدها.

حتى كان هناك وقف يسمى: «وقف سلاطين الزبادي»، السلاطين جمع سلطانية، وهي الصحن أو الطبق، السلطانية أو الطبق الذي ينكسر من الخادم فقد يؤذيه سيده أو سيدته على كسر هذا الصحن أو هذه السلطانية، فراعى بعض المسلمين هذا، فوقف وقفاً لهذه الصحنون المكسورة، من كُسر منه صحن ذهب إلى هذا الوقف وأخذ غيره حتى لا يؤذيه مولاه أو مولاته، انظروا إلى هذه المشاعر الرقيقة، إلى هذه الأنفس الحساسة.

هذا هو مجتمعنا، هذه هي الحضارة حقاً، حضارة الإنسان، الحضارة الراقية، عرفت كل الحاجات فحاولت أن تسدّها بالقانون وبالضمير، بالشيء اللازم، وبالشيء المستحب، بالشيء العارض، وبالشيء الباقي، على كل المستويات كانت هذه حضارتنا.

### حقُّ ابن السبيل في المال:

المسكين وابن السبيل، من هو ابن السبيل؟

هو الذي ينسب إلى السبيل إلى الطريق، أي: إنسان انقطع عن ماله ووطنه، كان مسافراً فانقطع في سفره، وما أكثر ما كان يحدث هذا في الزمن الماضي، وقد يكون ابن السبيل غنياً في بلده، ولكنه حين ينقطع به الطريق يصبح فقيراً، ويحتاج إلى إيواء، ويحتاج إلى مساعدة، ومثل ذلك ما نراه في عصرنا من المشرّدين والمهجّرين واللاجئين، ممّن



يكونون في بلدانهم أغنياء وأصحاب أراض وعقارات، فيُخرجون من ديارهم وأموالهم بغير حقٍّ إلَّا أن يقولوا: ربنا الله.

المشرّدون من أبناء أفغانستان، الملايين الأربعة وفوق الأربعة، التي أُخرجت من ديارها، أخرجتها نيران الروس، أخرجتها الطائرات التي تقتل المدنيين بغير حساب، وتحصدتهم حصداً.

هذه أمم الحضارة تقتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، تقتل البهائم والدواجن، تريد أن يموت النَّاس جوعاً!

هؤلاء المشرّدون أبناء سبيل وإن كانوا أغنياء في ديارهم؛ فقد تركوا أموالهم وكلّ شيء.

المشرّدون من أبناء إريتريا، المشرّدون من أبناء بورما، المشرّدون من المسلمين، المسلمون أكثر النَّاس تهجيرًا في هذا العصر، وأكثر النَّاس تشريدًا؛ لأنَّهم وحدهم الذين تُصب عليهم سيّاط العذاب، ولا يجدون من يدافع عنهم.

هؤلاء أبناء سبيل، يجب أن يعانون من الزّكاة ومما بعد الزّكاة، الإسلام فرض لهؤلاء حقوقًا، راعى هذه الحاجات الطارئة، وقدر لها حقًا في الزّكاة وفي غير الزّكاة؛ كان عمر رضي الله عنه يوصي ولاته وعماله أن يجعلوا في طرق المسافرين دورًا تملأ بالدقيق والسويق والتمر والزبيب من أجل حاجة من ينقطع من النَّاس، وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز، بنى رحمته الله خانات ودورًا في الطرق المسلوكة لكلّ ابن سبيل، تعلف دابته ويأكل ويشرب ويبقى أيامًا حتّى يتمكن من الرجوع إلى أهله ووطنه<sup>(١)</sup>.

(١) الكامل في التاريخ لا بن الأثير (١١٤/٤).

هذه حضارتنا - أيها الإخوة - هذه شريعتنا، هذه هي أمّتنا، نحن في حاجة إلى أن نعود إلى ما كان عليه السلف الصّالح، نرعى هذه الحاجات ونقدرها قدرها؛ حتّى لا تجد المبادئ الهدّامة مجالاً للانتشار، لا تجد فريسة سهلة من ضحايا الفاقة والحرمان من المشرّدين والضّائعين والمساكين.

هذا هو إسلامنا، إسلام التكافل والتضامن، إسلام الأُمّة الواحدة، الّتي لا تعرف الحقد ولا الحسد؛ لأنّه لا مجال للحقد ولا للحسد إذا كانت الأخوة هي السائدة، إذا كان الكلّ يدًا واحدة، إذا كان الجميع كما وصفهم رسول الله ﷺ: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا»<sup>(١)</sup>.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفّقنا لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]، إنّه سميع قريب.

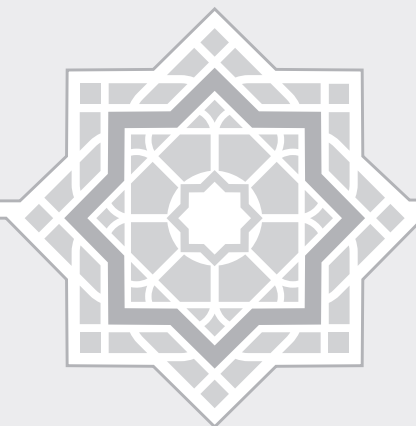
أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في الصّلاة (٤٨١)، ومسلم في البرّ والصّلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



## الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.







## فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	٣٥	١٤٢ ، ٦٢
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٨٣	٣٤٤
﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾	١٠٢	٣٢٠ ، ٢٦٨
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١١١	٣٤ ، ٢٦
﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	١١٣	١٧٥
﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾	١٢٦	٢٧٤
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	٣١٧ ، ٩٥
﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾	١٦٦	٢٧
﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْتَ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾	١٦٧	٢٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾	١٧٠	٢٦
﴿وَلَكِنَّ الْآلِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾	١٧٧	٣٤٨
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	٣٨
﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ﴾	١٨٤	٣٥٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٣٠
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾	١٨٧	١٨٥، ١٦٩، ٦٢، ١٨٦، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٨٢، ٣٢١
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾	١٨٩	٣٠
﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	١٩٥	١٤، ٢٩٤
﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾	٢٠١	١٤٥، ٢٢٢
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾	٢١٥	٣٠
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾	٢١٦	٣٨
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾	٢١٧	٣٠
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾	٢١٩	٣٠
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٢٠	٣٠، ٣٠٧
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعِزِّلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾	٢٢٢	٣٠، ١٧٠
﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾	٢٢٣	١٦٩، ٢٣١
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْبِصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾	٢٢٨	٨٣، ١٢٥، ١٧١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٧٠
﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾	٢٢٩	٨٣، ٩٩، ١١٨، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٣، ٣١٤، ٣٢١
﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾	٢٣١	٢٣٨، ٢٨٦
﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾	٢٣٢	٢٨٢





الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٣٣	١٠٠، ١٠١، ١٦٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٤٣
﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ﴾	٢٣٤	٢٨٢
﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾	٢٣٥	١٢٦
﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْوَسْعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعُوا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾	٢٣٦	٩١، ١٠١، ١٦٤، ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٧٢
﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾	٢٣٧	٩٨، ٩٩، ١٦١، ٢٣٩، ٢٧٣، ٢٨٥
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	٢٤١	٢٣٨، ٢٤٣، ٢٧٢، ٢٨١
﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى﴾	٢٦٠	٣٢
﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾	٢٦٣	٣٤٤
﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾	٢٦٤	٣٤٤
سورة آل عمران		
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	٤٢
﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	١٣٧	٣٧
﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾	١٤٠	١٨٨
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾	١٤٧	٧٠، ٨٦، ٢٢١، ٣٣١
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	١٥٩	٥١
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾	١٨٠	٣٣٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	١٩٠	٣٦
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾	١٩١	٣٦
سورة النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	٦٢
﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلُوا فَوَاحِدَةً﴾	٣	٢٩٩، ٣٠٠
﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾	٤	٩٧، ٩٨، ١١٥، ١٦١، ١٥٨، ١٣٣، ٢٢٤، ٢٤٣، ٣١٨
﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾	٧	٣١٥
﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾	١١	٣١٥، ٣١٦
﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ﴾	١٢	٣١٦
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾	١٣	٣١٦، ٣١٧
﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا﴾	١٤	٣١٧
﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾	١٩	١٠٨، ١٦٤، ١٩١، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٨١، ٣١٥
﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾	٢٠	٢٨٥، ٣٢٢
﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾	٢١	١٥٠، ٢٣٥، ٢٦٣، ٢٨٥، ٣١٩، ٣٢٢
﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾	٢٥	٣١٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	٢٩	١٤
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾	٣٢	٢٤٤
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	٣٤	٩٩، ١٠٠، ١٤٧، ١٨١، ٢٠١، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٦٤
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾	٣٥	٢٣٦، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨٨، ٣٢٤، ٣٢٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾	٣٦	٣٤٢
﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾	٣٧	٣٤٢
﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	٣٨	٣٤٢، ٣٤٣
﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾	٣٩	٣٤٢، ٣٤٣
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	٨٢	٣٧
﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾	١٢٨	٣٠٤
﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾	١٢٩	٣٠٣، ٣٠٤
﴿وَإِنْ يَنْفَرَا بَعْضُ اللَّهِ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾	١٣٠	٢٦٩، ٣٢٨
﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾	١٥٧	٣٥
﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	١٧٦	٣١٧
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	٢	١٨٢
﴿لَنْ يَبْسُطَ إِلَيْ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾	٢٨	١٥٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾	٣٢	٢٧٦، ١٣٤
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	٢٨٨
﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾	٧٨	٤٣، ٤٢
﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾	٧٩	٤٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾	٨٧	١٤٣
﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾	٨٨	١٤٣
﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾	٨٩	٣٥١
سورة الأنعام		
﴿فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤٥	٢١٦
﴿نَبْعُوهُ بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١٤٣	٣٤
﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾	١٤٨	٣٤
﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾	١٦٢ - ١٦٣	٣١١
سورة الأعراف		
﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	٣١	٢٣٢، ٢٣، ٢٢
﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٣٨	٢٧
﴿رَبِّ ارْنِيْ أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرْنِيْ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾	١٤٣	٣٢
﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾	١٥٧	٣٠٥
﴿وَأُمْلِيْ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾	١٨٣	٢١٥
سورة الأنفال		
﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾	٢٥	٤٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾	٣٠	٢٧٧
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾	٤١	٣٥٤
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٤٩	١١٤
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	٥٣	٢٦٠، ٤
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾	٦٠	٢٩١
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٦١	٢٢٠
سورة التوبة		
﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٣٤	٣٣٣، ١٧٩
﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾	٣٥	٣٣٣
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ﴾	٦٠	٣٤٧
﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾	٦٧	٤٦، ٤٥
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	٧١	٤٦، ٤٥
﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾	١٠٣	٣٤٩
﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّحِقُونَ الرَّاكِعُونَ﴾	١١٢	٤٢
سورة يونس		
﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٦٢	٢٧٥
سورة هود		
﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَنبَعٍ مِنْ رَبِّهِ﴾	١٧	٢٦
﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	١٠٢	٢١٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يوسف		
﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾	٣٣	٥٩
﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾	٩٩	٢٧٥
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾	١٠٨	٤١، ٢٦
سورة الرعد		
﴿ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَغَيِّرَ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	١١	٢٦٠
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾	٣٨	١٤٢
سورة الحجر		
﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴾	٤٦	٢٧٥
سورة النحل		
﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ ﴾	٧٢	٢٣٢، ٥٨
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾	٩٠	٥٦
﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾	١١٢	٢٧٤
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾	١٢٥	٤٢
سورة الإسراء		
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾	١٦	٣٤١، ٣٤٠
﴿ وَءَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذَرْ بُذِيرًا ﴾	٢٦	٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٧
﴿ إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾	٢٧	٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٣





الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا تُعْرِضَنَّهُمْ عَنْهُمْ أْبَتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾	٢٨	٣٤٣ ، ٣٣٢
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾	٢٩	٢٤٤
سورة الكهف		
﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ﴾	١٥	٢٧
﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾	٥١	٣٤
﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾	١٠٥	١٠٩
سورة مريم		
﴿يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾	٤٢ - ٤٥	٥١
سورة طه		
﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	٤٣ ، ٤٤	٥٢
﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾	٨٤	٢٩٥
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	١٣٢	٤٠ ، ١٦٧ ، ١٨١
سورة الأنبياء		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٦٤
سورة الحج		
﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٤٠	٢٧٧
﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾	٤١	٢٧٧
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾	٤٦	٣٧
﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّكَاثُرِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	٦٥	٣١٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النور		
﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾	٣٣	٣٣٢
سورة الفرقان		
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾	٥٤	٦٦، ١٠٦، ٢٤٦
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	٦٧	٩٢
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾	٧٤	٩٤، ٢٣٩
سورة النمل		
﴿أَحَاطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ وَحِشْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينٍ﴾	٢٢	٣١
سورة القصص		
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾	٥٠	٣٥
سورة الروم		
﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾	٢ - ٥	١٧٥
﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾	٢١	٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٦، ٨٨، ١٠٦، ١٥٦، ١٦٩، ١٨٥
﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾	٣٨	٣٤٧
سورة لقمان		
﴿يَبْنِيْ اِقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَاِنَّهٗ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ﴾	١٧	٥١
سورة الأحزاب		
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾	٧	١٥٠، ٣١٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾	٢١	١٦٦
﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتن تُرِيدنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾	٢٨	٢٩٩ ، ١٩٠
﴿وَلِن كُنتن تُرِيدنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ﴾	٢٩	٢٩٩ ، ١٩٠
﴿وَمَن يَفْعَلْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُوفِّرْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾	٣١	١٩٠
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾	٤٩	٢٧٢
﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَ مِن أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعَجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾	٥٢	٢٩٩
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾	٥٦	٢٢١ ، ٧٠ ، ٥٦
﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾	٦٧	٢٧
سورة سبأ		
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيَكُم بَرِيءَةً أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرْدِي ثُمَّ تَنفَكُّوْا﴾	٤٦	٣٦ ، ٣٥
سورة يس		
﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ﴾	٣٦	١٤٢ ، ٦١
سورة ص		
﴿يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾	٢٦	٣٥
﴿كَتَبْ أَرْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّذَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٢٩	٣٧
﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾	٨٦	١١٦
سورة الزمر		
﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾	١٨	٣٥٩ ، ٣٤٤ ، ١١٨
﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾	٢٢	٢٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة خافر		
﴿ يَفْعَمُ لَكُمُ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾	٢٩	٥٢
﴿ يَفْعَمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾	٣٠	٥٢
﴿ وَيَفْعَمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴾	٣٢	٥٢
﴿ يَفْعَمُ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾	٣٨	٥٢
سورة فصلت		
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٤١
سورة الشورى		
﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾	١٥	١٧٤
﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾	٣٨	١٢١
سورة الزخرف		
﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ أَشْهَادًا خَلَقَهُمْ ﴾	١٩	٣٤
﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾	٢٣	٢٦
سورة الأحقاف		
﴿ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	٤	٣٤
سورة محمد		
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	٢٤	٣٧
سورة الفتح		
﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾	٢٩	٦٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحجرات		
﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾	١٢	٨٥
سورة الذاريات		
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	٣٦
﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	٤٩	١٤٢، ٦١
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٠٥
سورة النجم		
﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾	٢٣	٣٥
﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾	٢٨	٣٥
﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾	٤٥	٢٨٨
سورة الرحمن		
﴿أَلَا تَطْعَمُونَ فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾	٨	٢٩٨
سورة المجادلة		
﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾	٣	٣٥١
﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾	٤	٣٥١
سورة الحشر		
﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَلِالْيَتَامَى﴾	٧	٣٥٤، ٣٧
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	٩	٣٥٦
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	٨٧، ٧٠، ٥٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطلاق		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾	١	٢٣٧، ٢٤٢، ٢٧١، ٢٧٢
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾	٣	١١٤
﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقِهِنَّ عَلَيْهِنَّ﴾	٦	٢٨٦
﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾	٧	٩١، ١٠١، ١٦٤، ٢٢٤، ٣٤٤
سورة التحريم		
﴿عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾	٣	٢٣٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	٦	٤٠، ١٦٧، ١٨١
سورة الملك		
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	٣٠٢، ٣١٨
سورة المعارج		
﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	٢٤، ٢٥	٣٤٦
سورة المدثر		
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَوْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾	٤٢ - ٤٤	٣٤٦
سورة الإنسان		
﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨ - ١٢	٣٥٦
سورة النبأ		
﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾	٨	٦١



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النازعات		
﴿ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْجَىٰ ۖ وَاهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾	١٨ ، ١٩	٥٣
سورة الفجر		
﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾	١٧ - ٢٠	٣٤٧
سورة العصر		
﴿ وَالْعَصْرِ ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	١ - ٣	٤٨ ، ٧ ، ٤
﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ ﴾	٤٥	٣٣١ ، ٢٢١ ، ٨٧
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخَفِطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾	٦٧	٢٧٤
سورة قريش		
﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۖ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾	١ - ٤	٢٧٤
سورة الماعون		
﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴾	١	٣٤٧ ، ٣٤٦
﴿ فَذَٰلِكَ الَّذِي يُدْعُ الْيَتِيمَ ﴾	٢	٣٤٧ ، ٣٤٦
﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾	٣	٣٤٧ ، ٣٤٦

\* \* \*









## فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
١٢٧، ٧٨	آمروا النساء في بناتهن
٢٣٥، ٢٦٧، ٣٢٠	أبغض الحلال إلى الله الطلاق
٢٤٩	أبكرًا أم ثيبًا؟ قال: بل ثيب يا رسول الله. فقال: هَلَّا بِكِرًا تلاعبها وتلاعبك
٣٢٢	أُتْرِدِّينَ عليه حديقته؟ قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: أَقْبِلِ الحديقةَ وطلِّقْها تطليقة
٢٥٢	أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني
٣٢٨	اتَّقُوا الله في النساء؛ فَإِنَّهُنَّ عندكم عَوَانٍ، لا يملكنَ لأنفسهنَّ شيئًا...
١٢٧، ١٢٦، ٧٧	أجيزي ما صنع أبوك. قالت: يا رسول الله؛ إِنِّي له كارهة
٢٩٩	اختر منهن أربعًا، وفارق سائرهن
١٥٢، ١٠٧، ٩٦، ٢٢٣، ٢٠٧	إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ
١٢٢	إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة؛ فلا بأس أن ينظر إليها
١٢١، ٨٠	إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه
١٨٠	إذا صلت المرأة خمسها - صلواتها الخمس - وصامت شهرها -

رقم الصفحة	الحديث
٣٥٦	إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية
١٢٢	اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما
١٤٩	اذهب وانظر إليها؛ فإن في أعين الأنصار شيئاً
١٤٦	أربع من أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاك، وقلب شاكر
١٤٦، ١٤٥	أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح
١٢٧	أريد ابنتك لجلييب. فقال له: حتى أشاور أمها. فقال: نعم
١٠١	استعاذ النبي ﷺ من ضلع الدين، وغلبة الرجال
٢٦٣، ٢٢٩	استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع
٩٥	أصدق رسول الله أم سلمة فراشاً وحشوه ليف وقدحاً
٢٠١	اظفر بذات الدين تربت يداك
١٦٢	أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف
٣٥٣	أغنوهم عن طواف هذا اليوم
١٤٥	أفضله لسان ذاك، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه
١٨٤	اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. وغطه وضمه ضمة قوية إلى صدره
٢٤٧، ٢٢٦	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، ولطفهم بأهله
٢٠٦	التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله
٩٤	اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها
١٥٧، ١٢٠	اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم
١٠١	اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم. أي: الاستدانة
١٥	اللهم بارك لأمتي في بكورها
٣٠٣، ١٦٦	اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك



رقم الصفحة	الحديث
٢٣١	أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ
١٣١	أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ
١٥٨	أَمَّا مَعَاوِيَةُ فَصَعْلُوكَ، لَا مَالَ لَهُ، لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ شَيْئًا، وَكَانَ الْمَالُ لِأَبِيهِ
٥٩	أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأُرْقِدُ
٢٣٢	أَمْرُ الْإِنْسَانِ إِذَا أَكَلَ ثَوْمًا أَوْ بَصَلًا، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، أَنْ يَعْتَزَلَ الْمَسْجِدَ
٣٢٠	إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبِيعُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً
١١٥	إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مَوْوَنَةٌ
٢٣٢، ٢٢	إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمُطُ النَّاسِ
١٩٩، ١٠٢	إِنَّ اللَّهَ سَائِلُ كُلِّ رَاغٍ عَمَّا اسْتَرَعَاهُ؛ أَحْفَظُ أَمْ ضَيِّعُ
١٢	إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ
٢١٥	إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِيَنَّ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ
٥١	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ
٤٣	إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يَلْقَى أَخَاهُ
٣٣٨	إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ
٢٦٨	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْصُبُ عَرْشَهُ عَلَى الْبَحْرِ، وَيَبِيعُ جَنُودَهُ، فَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ مَنْزِلَةً
٣٣٨	إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً. فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
٦٩	إِنْ فِي الْجُمُعَةِ لِسَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يَصْلِي، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ
٢٧٢	إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ
١٨٩	إِنْ كَانَ لِيَمْرُ الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالُ: ثَلَاثَةٌ أَهْلَةٌ فِي شَهْرَيْنِ
١٥	إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
١٨٥	إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَاتَتْ هَاجِرَةً فَرَّاشَ زَوْجِهَا؛ لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ

رقم الصفحة	الحديث
٢٣٣، ٢٥١	إِنَّ مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يَحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ، وَمِنْ الْخِيَلَاءِ مَا يَحِبُّ اللَّهُ
١١٥، ١٣٣	إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ: تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحْمَتِهَا
٤٤	إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ
٢٤٨	إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَانِي الْأَحْبَاشَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ
٢٤٨	إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، وَأَرَانِي الْأَحْبَاشَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ
٢٥٥	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يُرَخِّصُ فِي الْكُذْبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: فِي الْحَرْبِ
١٣	إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رَجَزُ سُلْطَانٍ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - أَوْ: عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ -
٣٣٧	إِنَّ هَذِينَ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِنِائِهِمْ
١٣	إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ
٨٠، ١٢٢	أَنْظَرْتُ إِلَيْهَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنْ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا
٢٥٠	إِنَّكَ مَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَهِيَ لَكَ صَدَقَةٌ
١٠٤	إِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُمْ بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ
٢٥٠	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى
١٤٥	إِنَّمَا أَنَا أَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمُ لَهُ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ
٦٤	إِنَّمَا أَنَا رَحِمَةٌ مُهْدَاةٌ
٢٤	إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
٣١٥	إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ
١٠٩	إِنَّهُ لِيَأْتِيَ الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
٢٥٠	إِنِّي لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِي رَاضِيَةٌ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي
١٨٤	أَوْ مَخْرَجِي هُمْ
٩١	أَوْلَمَ عَلَى مَدِينٍ مِنْ طَعَامٍ



رقم الصفحة	الحديث
٩١	أولم النبي ﷺ على بعض نسائه بسويق وتمر
٢٦٥	أولئك ليسوا خياركم، لن يضرب خياركم
٣٢٨، ٢٣٥	أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة
٣٤١	أَيُّ السَّائِلِ عَنِ السَّاعَةِ؟ ... إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ
٢٧٧	أيها الناس؛ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ
ب	
٩٤، ٩٣	بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير أو في الخير
٢٠٣	بكرًا أم ثيبًا؟. قلت: بل ثيبًا. قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك
٣٠	بل هو الرأي والحرب والمكيدة
ت	
١٧٩	تَبًّا لِلذَّهَبِ تَبًّا لِلْفِضَّةِ، تَبًّا لِلذَّهَبِ تَبًّا لِلْفِضَّةِ، تَبًّا لِلذَّهَبِ تَبًّا لِلْفِضَّةِ
٣٤٤	تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ
٢٠٢	تَخَيَّرُوا لِنُطْفِئَكُمْ، وَانْكَحُوا الْأَكْفَاءَ، وَانْكَحُوا إِلَيْهِمْ
١٣٢	تزوج أم حبيبة، زوجها إياه النجاشي ومهرها أربعة آلاف
١٢٦، ٧٦	تزوجت امرأة على عهد النبي ﷺ بغير رضاها، وهي خنساء بنت خدام
٢٠٤، ٢٠٢	تزوجوا الودود الولود؛ فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٠٩، ١٠٨	تقولون في هذا؟... هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا
١٥٩، ١٣٢	التمس ولو خاتماً من حديد. فلم يجد خاتماً من حديد
٢٠١، ١٤٦، ١١٣	تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها
ث	
١٠٣	ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء برأيه



رقم الصفحة	الحديث
١١٤	ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله
٢١٦	ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل
٢٥١	ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا: الدُّيُوث، والرَّجُلُة من النساء، ومدمن الخمر
١٢٦	الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا، وَالْبَكَرُ تُسْتَأْذَنُ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ الْبَكَرَ تَسْتَحِي
ح	
٢٣٤	حَتَّى تَمْتَشِطَ الشَّعْثَةَ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةَ
٥٠	حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ
١١	حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ
٩٥	حِينَمَا دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ
خ	
٢٤٧	خِيَارَكُمْ خِيَارَكُمْ لِنِسَائِهِمْ
١٦٠، ١٣٣، ١١٥	خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ
١٦٥، ٢٢٦، ٢٤٧	خَيْرَكُمْ خَيْرَكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرَكُمْ لِأَهْلِي
د	
٣٠٧	دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ وَهِيَ الْحَالِقَةُ
١٤٥، ٦٠، ٢٠١، ١٧٨	الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ
١٠٣	دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رِقْبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ
٤٥	الدِّينُ النَّصِيحَةُ، لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ
ذ	
٣٣	ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ



رقم الصفحة	الحديث
ر	
٣٢	راجع ربّه ليلة الإسراء، حينما فرض عليه الصّلاة خمسين
٣١	الرأي ما أشار به الحُبَاب، لقد أشرت بالرأي
١٨٣	رحم الله امرأً قام من الليل فصلى ركعتين، ثمّ وجد زوجته نائمة
١٤٣، ٥٩	ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتّل، ولو أذن له لاختصينا
١٢٦	ردّ النبي ﷺ نكاح امرأة زوّجت بغير رضاها، وكانت بكرًا
ز	
٢٢٧	زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي
١٥٩	زوجناكها بما معك من القرآن
س	
١٨٨	سماه النبي ﷺ زورًا
١١	السواك مطهرة للفم، مرّضة للربّ
ش	
٩٣	شر الطعام الوليمة؛ يُدعى إليها الأغنياء دون الفقراء
ط	
١٠	الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ
ع	
٢٧٦	عذّبت امرأة في هرة، سجنّتها حتّى ماتت، فدخلت فيها النار
غ	
٢٢٧	غارَت أَمْكُمْ
١١	غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ





رقم الصفحة	الحديث
ف	
١٥	فَإِنَّ لَجْسِدَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَعَيْنَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
٢٠٢	فَخُذْ ذَاتَ الدِّينِ وَالْخُلُقِ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ
١٣	فِرٌّ مِنَ الْمَجْذُومِ فَرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ
٩٠	فَصَلْ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ: الدَّفْ وَالصَّوْتُ فِي النِّكَاحِ
٢٠٣	فَهَلَّا بِكَرًّا تَعْصُهَا وَتَعْصُكَ
ق	
٢٢٧	قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِصَلَحِ الْحَدِيثِيَّةِ، وَأَمَرَ الصَّحَابَةَ أَنْ يَتَحَلَّلُوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ
ك	
١٧	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ اسْتَوَى
١٩٠	كَانَ فَرَاشُهُ ﷺ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لَيْفٌ
٢٣٢	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ النَّاسَ أَنْ يَغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ
١٨	كَانَ يَرْكَبُ الْفَرَسَ مَعْرُورَى
٢٤٨	كَانَتْ لِي صَوَاحِبُ يَأْتِينَ فَيَلْعَبْنَ مَعِيَ بِالْبَنَاتِ - أَيُّ بِالْعَرَائِسِ الدُّمَى -
٢٣٠	كَسَرَهَا طَلَاقَهَا
١٩٩، ١٠٢	كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ
١٦٧، ١٠٢ ١٨١	كَلِّكُمْ رَاعٍ، وَكَلِّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ
١٦٨، ٢٢٦ ٢٤٨	كَنتَ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأَمْ زَرْعٍ؛ غَيْرَ أَنِّي لَا أَطْلُقُكَ
٤٥	كَيْفَ بَكُمْ إِذَا فَسَقَ شَبَابُكُمْ وَطَغَى نَسَاؤُكُمْ؟. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ



الحديث	رقم الصفحة
ل	
لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا. قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم	٦٥
لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٢٥٨
لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه	٣٣٤
لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا	٣٣
لا تنكح الأيم حتى تستأمر	٧٥
لا ضرر ولا ضرار	١٣، ٢٨٠، ٣٢٦
لا طلاق في إغلاق	٢٨٠
لا نكاح إلا بولي	٧٨
لا يبلغ عبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس	٢٢٣
لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يُجامعها في آخر اليوم	٢٦٥
لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد - أي حاضر غير مسافر - إلا بإذنه	١٨٠
لا يحل لمسلم أن يبيع على بيع أخيه، ولا أن يخطب على خطبة أخيه	١٢٥
لا يحل لمسلم أن يذل نفسه. قالوا: يا رسول الله، كيف يذل نفسه؟	١٠١، ١٠٢
لا يحل مال امرئ إلا بطيب نفس منه	٣١٨
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر	٢٢
لا يدخل الجنة نمام	٢٥٥
لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد	٥٥
لا يفرك مؤمن مؤمنة - لا يبغضها ولا يكرهها - إن كره منها خلقًا رضي منها آخر	١٩١، ٢٢٩، ٢٥٣، ٢٦٢
لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم بغير حق	١٣٤، ٢٧٧



رقم الصفحة	الحديث
٢١	لعن رسول الله ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ
١٨٧	لعن النامصة والمتنمصة، ولعن المتفلجات للحسن
١٨٧	لعن الواشمة والمستوشمة، ولعن الواصلة والمستوصلة
١٣٠	لم يُرَ للمتحابين مثل الزواج
١٦	لما بعثه رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل
٩٥	لما زوج عليًا فاطمة بعث معه بخميلة ووسادة من آدم حشوها ليف
١٨٩	لما كان يوم الخندق نظرت إلى رسول الله ﷺ ، فوجدته قد وضع حجرًا
١٦٤ ، ١٦٣	لو أن أحدكم حينما يأتي أهله يقول: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان
١٨٦	لو دعاها وهي على ظهر قتب
١٨٦	لو على التنور ينبغي لها أن تطيعه
٢٦٥	لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك
٢٠٦	ليتخذ أحدكم قلبًا شاكراً، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة تعينه على أمر الآخرة
٣٤٩	ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع
م	
٣٤٨	ما آمن بي من بات شبعانًا، وجاره جائع إلى جنبه
٦٠	ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة
١٢٩ ، ١٢٨	ما تقولون في هذا... هذا خير من ملء الأرض مثل هذا
٥١	ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه
٢٦٥ ، ٢٣٦	ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا له قط، ولا امرأة
١٨٠	ما قولك يا صفوان؟ قال: يا رسول الله، إنها تصلي بالسورتين في ركعة
١٣٥	ما كانت هذه لتقاتل



رقم الصفحة	الحديث
٣٠٤	ما من رجل له امرأتان يميل لإحدهما على الأخرى
١٠٩	ما يُضْحِكُكُمْ مِنْ دَقَّةِ سَاقِيهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ
٣٥٤	ماذا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ وَعِيَالِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ
٢٨٣	ماذا أَعْطَاكَ مِنْ صَدَاقٍ؟ قَالَتْ: أَعْطَانِي حَدِيقَةً. قَالَ: أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟
١٥٩	ماذا عِنْدَكَ؟ لَيْسَ عِنْدَهُ مَالٌ، قَالَ: عِنْدِي هَذِهِ الدَّرْعُ الْحَطْمِيَّةُ الَّتِي تَتَحَطَّمُ
١٩٤	مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمِثْلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ
٤٠	مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ
١٩٤	المسلم أخو المسلم
١٢	الملاعن الثلاث
٥٤	مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ
٣٣٨	مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ
١٧٨، ١٤٥، ٦٠	مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً، فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْبَاقِي
٣٣٦	مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ
٢١	مَنْ عَلِمَ الرَّمِيَّ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا أَوْ قَدْ عَصَى
٢٠٠	مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا
٣١	مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ
١١	مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ
٤٨	مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ
٩١	مُهَيْمٍ أَيْ: مَا الَّذِي حَدَثَ؟ قَالَ: تَزَوَّجْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
٢٥، ٨، ٥	المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف
٣٥٩، ٢٧٥	المؤمن للمؤمن كالبنيان؛ يشدُّ بعضه بعضًا



رقم الصفحة	الحديث
٤٦	المؤمنُ مرآةُ أخيه، إذا رأى فيها عيباً أصلحه
٥	المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُ عليه ضيَعَتَهُ
٢٧٥	المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم
ن	
١٧٠	ناوليني الخُمرة هذه. فقالت: يا رسول الله إنني حائض
١٢	النَّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ
١٧، ١٦	نعم، يا عبادَ الله تداوَوْا؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً
٢٥٢، ٢٣٣	نهى رسولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لِيَلَّا يَتَخَوَّنَهُمْ
هـ	
١٥٩	هل تتزوج فلانة؟ قال: نعم يا رسول الله. وقال للمرأة: هل تتزوجين فلاناً؟
٣٥٢، ٣٥١	هل تجد رقبةً تُعْتِقُهَا؟ ... أَطْعِمُهُ أَهْلَكَ
١٦٢، ١٣٣	هل كان معهم لهو؟ فإن الأنصار قوم يعجبهم اللهو
٨٠، ٧٩	هل نظرت إليها؟ اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما
١٦٢	هلا أتيتم معها بمن تغني وتقول: أتيانكم أتيانكم فحيثونا نحبيكم
٩٠	هلا كان معهم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو
٨٩	هلا كان معهم لهو؟ هلا أتيتم من تغني وتقول: أتيانكم أتيانكم
١٦	هي من قَدَّرَ اللَّهُ
و	
٢١٦	وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ
١٩٤	والله في عون العبد؛ ما دام العبد في عون أخيه
٢٣٠	وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضلعِ أعلاه



رقم الصفحة	الحديث
١٢	وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَهُ
٢٥٥	وحديث الرجل مع امرأته، وحديث المرأة مع زوجها
١٦٣	وكل أمر ذي بال لا يُبدَأُ فيه باسم الله؛ فهو أبتَر
٢٣٦	ولن يضرب خياركم
١٤٣	ولو أذن له لاختصينا
ي	
٣٠٤	يا رسولَ الله، إنِّي امرأةٌ قد كبرت سني، ولم يعد لي أرب في الرجال
١٧٠، ١٧١، ٢٤٩، ٢٢٦	يا عائشة هذه بتلك
١٧٩	يا عمر، ألا أخبرك بخير ما يكتنز المرء؟ المرأة الصالحة
١٩٠	يا عمر، ما لي وللدنيا، إن مثلي ومثل الدنيا؛ كمثل راكب في يوم صائف
١٨	يا محمد، أدعوك للمصارعة، فإن غلبتني فأنت رسول الله
١٩٨، ١٠٦، ٥٨	يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج؛ فإنه أغضُّ للبصر
١٣٩	يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم
١٧٠	يشرب من الإناء الذي أشرب فيه ويضع فاه موضع فيّ
٣٣٨	يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ

\*\*\*







## فهرس الموضوعات

- من الدستور الإلهي للبشرية ..... ٤
- من مشكاة النبوة الخاتمة ..... ٥
- ١ - التربية الجسميَّة للإنسان المسلم ..... ٧
- الإسلام يهدف إلى إيجاد المسلم الصَّالح المصلح ..... ٧
- الإسلام يهدف إلى تكوين الجسم القويّ ..... ٨
- نواحي التربية الجسميَّة ..... ٩
- النَّاحية الصَّحيَّة ..... ١٠
- الوقاية خير من العلاج ..... ١٣
- الوقاية من الأمراض ..... ١٤
- صحَّة الأبدان مقدَّمة على صحَّة الأديان ..... ١٥
- النَّاحية الرياضيَّة ..... ١٧
- موقف الإسلام من كرة القدم ..... ١٩
- الخشونة وتحمل المشقَّات ..... ٢٠
- التجمل والتزيُّن ..... ٢٢
- ٢ - التربية العقليَّة للإنسان المسلم ..... ٢٤
- مُقوِّمات المسلم الصَّالح ..... ٢٤

- ٢٦..... مقوّمات العقيدة الإسلامية.
- ٢٧..... إيمان المُقلّد لا يُقبل.
- ٢٨..... التربية على السؤال والمحاورة.
- ٣٠..... النَّبِيُّ يُرَبِّي أصحابه على المحاورة والسؤال.
- ٣٢..... الأنبياء يحاورون ربّهم.
- ٣٢..... سلّ عمّا يشغل تفكيرك.
- ٣٤..... خصائص العقلية العلميّة.
- ٣٦..... مجالات التفكير المطلوب.
- ٣ - مقوّمات التربية الاجتماعية الدعوة إلى الله..... ٣٩
- ٣٩..... ما استحقّ أن يولد من عاش لنفسه فقط.
- ٤٠..... أنذر عشيرتك الأقربين.
- ٤١..... كلّ مسلم مطالب بالدعوة.
- ٤٢..... مُزّ بالمعروف وإنه عن المنكر.
- ٤٤..... عقوبة المنكر تصيب المجتمع بأسره.
- ٤٤..... المجتمع المسلم قائم على التناصح.
- ٤٦..... شرّ ما تصاب به الأمّة انقلاب الموازين.
- ٤٦..... المؤمن مرآة أخيه.
- ٤٧..... التواصي بالحقّ شرط النّجاة من الخسران.
- ٤٨..... أيكسلّ المسلم عن الدعوة وينشط الآخرون؟
- ٥٠..... التواصي بالصبر بعد التواصي بالحقّ.
- ٥١..... ما دخل الرفق في شيء إلّا زانه.



- ٥٢..... مَنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ: فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ بِمَعْرُوفٍ
- ٥٤..... فَضْلُ التَّبَكُّيرِ إِلَى الْجُمُعَةِ
- ٥٧..... ٤ - مُقَوِّمَاتُ التَّرْبِيَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لِلْفَرْدِ الْمُسْلِمِ (الزَّوْج)
- ٥٧..... الزَّوْجُ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ
- ٥٧..... الْمَبْدَأُ الْأَوَّلُ: الزَّوْجُ خَيْرٌ لَا بَدَّ مِنْهُ
- ٥٨..... الزَّوْجُ أَسَاسُ بَقَاءِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ
- ٥٩..... الزَّوْجُ تَصْرِيفٌ مَبَاحٌ لِلْغَرِيزَةِ
- ٦٠..... خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ
- ٦١..... الْكَوْنُ قَائِمٌ عَلَى الزَّوْجِيَّةِ
- ٦١..... مَقَوِّمَاتُ الزَّوْجِ فِي الْإِسْلَامِ
- ٦٦..... اغْتَرَبُوا لَا تُضْئُوا
- ٦٧..... أَخْطَاءُ شَنِيعَةٍ فِي تَطْبِيقِ الزَّوْجِ
- ٧١..... ٥ - أَخْطَاءُ الْمَجْتَمَعِ فِي أَمْرِ الزَّوْجِ
- ٧١..... انْحَرَفْنَا بِالزَّوْجِ عَنْ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ
- ٧٢..... جَمَعْنَا أَسْوَأَ الْمَوْرُوثِ وَأَسْوَأَ الْوَافِدِ
- ٧٤..... التَّبَكُّيرُ بِالزَّوْجِ هُوَ الْمَطْلُوبُ
- ٧٤..... مِنَ الْأَخْطَاءِ فِي الزَّوْجِ
- ٧٦..... لَيْسَ لِلْآبَاءِ مِنْ أَمْرِ الزَّوْجِ شَيْءٌ
- ٧٩..... مِرَاعَاةُ تَغْيِيرِ الْعَصْرِ
- ٨١..... رُؤْيَا الْخَاطِبِ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّفْرِيطِ
- ٨٤..... حَصَارُ الْمَخِيَّمَاتِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ فِي لُبْنَانَ

- ٦ - من هدي الإسلام في الزواج ..... ٨٨
- إعلان الزواج وإشهاره ..... ٨٨
- اللهو والترويح في الأعراس ..... ٨٩
- الإسلام يراعي الفطرة ولا يعرف التزمت ..... ٩٠
- الإسلام لا يريد الإسراف في اللهو ..... ٩٠
- الوليمة عند الزواج ..... ٩١
- حُرمة الإسراف في الوليمة ..... ٩٢
- إجابة دعوة الوليمة ..... ٩٢
- الدعاء للعروسين ..... ٩٣
- بداية الحياة الزوجية بالطاعة ..... ٩٤
- عدم الإسراف في تأثيث البيت ..... ٩٥
- الأثاث في العصر الحديث ..... ٩٥
- مراعاة حقوق الله ..... ٩٦
- رعاية حق الزوجة ..... ٩٧
- المهر حق خالص للمرأة ..... ٩٨
- نفقة الرجل على زوجته بالمعروف ..... ٩٩
- على الرجل النفقة بالمعروف ..... ١٠١
- لا تبذير ولا تقتير ..... ١٠١
- الإنفاق بالمعروف ..... ١٠٣
- أهداف الزواج ..... ١٠٥



- ٧ - من أهداف الزواج ..... ١٠٥
- حُسْن الاختيار في الزواج ..... ١٠٦
- ما الذي حدث؟ ..... ١٠٦
- إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه ..... ١٠٨
- مقاييس خاطئة ..... ١٠٨
- موقف رائع لسيد التابعين ..... ١١٠
- صلاح المرأة ينفع زوجها ..... ١١٣
- عون الله للنّكاح يريد العفاف ..... ١١٤
- عواقب تأخير الزواج ..... ١١٥
- هل يكره الآباء بناتهنّ؟ ..... ١١٦
- لا تُؤخّروا زواج بناتكم ..... ١١٦
- إنّه تأخير الزواج ..... ١١٧
- ٨ - من أحكام الخطبة في الإسلام ..... ١١٩
- الاستخارة ..... ١١٩
- معنى الاستخارة ..... ١٢٠
- الاستشارة ..... ١٢٠
- من أحكام الخطبة ..... ١٢١
- رؤية المخطوبة ..... ١٢١
- ماذا ينظر في مخطوبته؟ ..... ١٢٢
- التشدّد في أمر الرؤية ..... ١٢٣
- الجلوس إلى المخطوبة والحديث معها ..... ١٢٤



- ١٢٥..... خُطبة المرء على خطبة أخيه
- ١٢٥..... خُطبة المرأة في العدة
- ١٢٦..... التعريض بالخطبة
- ١٢٦..... موافقة المرأة ووليها
- ١٢٧..... مشاوراة الأم
- ١٢٨..... التكافؤ بين المخطوبين
- ١٢٩..... التّأني في البحث قبل الموافقة
- ١٣٠..... العواطف الإنسانية
- ١٣٢..... التيسير في المهور
- ١٣٤..... تفجير السفارة المصرية في باكستان
- ١٣٤..... إنكار الإسلام لجرائم العنف
- ١٣٦..... براءة الإسلام من جرائم العنف
- ١٣٧..... العنف ظاهرة عالمية
- ١٣٨..... العلاج المنشود لظاهرة العنف
- ٩ - اختيار الزوجة الصّالحة..... ١٤١
- ١٤١..... الزوجيّة سنة كونية وشرعية
- ١٤٢..... الزواج حاجة فطرية
- ١٤٢..... النزعة الرهبانية والزواج
- ١٤٣..... رفض الإسلام الرهبانية
- ١٤٤..... رفض الإسلام الإباحية
- ١٤٤..... الزواج سُنّة نبوية



- ١٤٥..... فضل الزوجة الصالحة
- ١٤٦..... الاختيار على أساس الدين
- ١٤٧..... النظر إلى المخطوبة
- ١٤٧..... بين الإفراط والتفريط
- ١٤٩..... الترغيب في النظر إلى المخطوبة
- ١٥٠..... أهمية النظر إلى المخطوبة
- ١٥٠..... الزواج على بصيرة
- ١٥٠..... السؤال عن المخطوبة
- ١٥١..... السؤال عن الخاطب
- ١٥٦..... ١٠ - أسس الحياة الزوجية
- ١٥٦..... ميثاق غليظ
- ١٥٧..... صلاة الاستخارة
- ١٥٨..... استشارة من يثق برأيه
- ١٥٨..... أول الحقوق المهر
- ١٦٠..... الإسلام يرشد للتيسير في المهور
- ١٦١..... المرأة تأخذ المهر ولا تبذل
- ١٦٢..... من حق المرأة إشهار الزواج
- ١٦٣..... زواج يبدأ بالطاعة
- ١٦٤..... حق المعاشرة بالمعروف
- ١٦٥..... العشرة بالمعروف ليست مادية فقط
- ١٦٦..... الأسوة الحسنة



- ١٦٧.....كلكم راعٍ وكلكم مسؤول
- ١٦٨.....اللطف في المعاشرة
- ١٦٩.....الحقوق الجنسية
- ١٧٠.....الملاطفة حق متبادل
- ١٧٢.....اغتيال الشيخ محمد صادق الصدر
- ١٧٢.....الوعي بمكائد الكائدين للإسلام
- ١٧٣.....خلافات في فروع العقائد
- ١٧٣.....التحاور بالحجج والبراهين
- ١٧٥.....طبيعة الاختلاف
- ١٧٦.....دعوة للتعايش
- ١٧٨..... ١١ - الزوجة الصالحة
- ١٧٩.....خير ما يكتز الرجل
- ١٧٩.....تعارض حق الربّ مع حق الزوج
- ١٨٠.....وصف المرأة الصالحة
- ١٨١.....قوامه الرجل
- ١٨١.....قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
- ١٨٢.....وتعاونوا على البر والتقوى
- ١٨٣.....إعانة المرأة الصالحة لزوجها
- ١٨٥.....التجمل والتطيب
- ١٨٧.....التزين الذي لا يغير فطرة الله
- ١٨٨.....مراعاة الزوجة حال زوجها

- ١٨٩..... حال النبي وأزواجه
- ١٩١..... التعاون بين الزوجين
- ١٩٣..... أحوال العراق في ظل الحصار
- ١٩٧..... ١٢ - صفات الزوجة الصالحة
- ١٩٧..... الترغيب في الزواج
- ١٩٨..... متى يكون الزواج واجباً؟
- ١٩٨..... متى يكون الزواج مُسْتَحَبّاً؟
- ١٩٩..... متى يكون الزواج حراماً؟
- ٢٠٠..... حُسن اختيار الزوجة
- ٢٠٠..... وثاني هذه الصفات: الدين
- ٢٠١..... وثالث صفات هذه المرأة: أن تكون ذات خُلُق
- ٢٠٢..... ثمّ هناك صفة رابعة: أن تكون من مَنبَتٍ طَيِّبٍ
- ٢٠٢..... تخيروا لنطفكم
- ٢٠٣..... وهناك - أيضاً - صفة خامسة: وهي أن تكون بكرًا
- ٢٠٤..... كذلك هناك صفة سادسة، ينبغي أن يبحث عنها: وهي أن تكون ولودًا
- ٢٠٤..... الفحص الطبيّ قبل الزواج
- ٢٠٥..... وهناك صفة سابعة: وهي الجمال
- ٢٠٥..... النَّاس متفاوتون في نظرهم للجمال
- ٢٠٧..... اختيار الإنسان الصّالح
- ٢٠٧..... أن يكون ذا دينٍ وخُلُقٍ
- ٢٠٨..... معيار الاختيار عند السّلف

- ٢٠٩..... قصّة زواج سالم مولى أبي حذيفة
- ٢١٠..... زَوْج ابنته أحد تلاميذه
- ٢١١..... دعوا التشديد وعودوا إلى التيسير
- ٢١٢..... الزواج الجماعي
- ٢١٤..... نظرات في مقتل «رايين»
- ٢١٥..... لكلّ ظالم نهاية
- ٢١٦..... هلاك الظالمين نعمة تدلّ على ربوبية الله للعالم
- ٢١٧..... هلاك «رايين» بأيدي قومه
- ٢١٧..... أحلام إسرائيل
- ٢١٨..... العنف ليس في بلاد المسلمين وحدهم
- ٢١٨..... للعنف في بلاد المسلمين مُبرراته
- ٢١٩..... العنف كامن في طبيعة إسرائيل
- ٢٢٠..... الدعاء
- ٢٢٢..... ١٣ - الزوج الصالح في الإسلام
- ٢٢٣..... الزوج الصالح
- ٢٢٤..... رعاية الحقوق الزوجية
- ٢٢٤..... ١ - إعطاء المهر
- ٢٢٤..... ٢ - النفقة بالمعروف
- ٢٢٥..... ٣ - المعاشرة بالمعروف
- ٢٢٦..... هديه ﷺ في معاملة أزواجه
- ٢٢٨..... ٤ - احتمال الأذى



- ٥ - المعاشرة الجنسية ..... ٢٣٠
- ٦ - التَّجْمُلُ للزوجة ..... ٢٣٢
- ٧ - الغيرة على الزوجة ..... ٢٣٣
- ٨ - عدم الإسراع إلى الطلاق ..... ٢٣٤
- ٩ - مراعاة أحكام الطلاق ..... ٢٣٧
- قارة إفريقيا المسكينة ..... ٢٤٠
- ١٤ - حقوق العشرة الزوجية ..... ٢٤٢
- أساسان للعشرة الزوجية ..... ٢٤٢
- مهر الزوجة ..... ٢٤٣
- النفقة على الزوجة ..... ٢٤٣
- الاستيلاء على مال الزوجة ..... ٢٤٤
- حق المرأة في التملك والتصرف ..... ٢٤٤
- منع الزوجة عن أهلها ..... ٢٤٥
- اللطف مع الزوجة ..... ٢٤٧
- ممازحة الزوجة وملاعبتها ..... ٢٤٩
- الغيرة على الزوجة ..... ٢٥١
- الإسراف في الغيرة ..... ٢٥٢
- الصبر على المكاره ..... ٢٥٢
- فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ..... ٢٥٣
- بالدين وبالأخلاق يتعاشر الناس ..... ٢٥٤
- تقاتل المجاهدين الأفغان ..... ٢٥٧



- ١٥ - إنهاء الزواج (١) ..... ٢٦١
- إجراءات وقائية ضد الطلاق ..... ٢٦٢
- التهاون في اتخاذ الإجراءات الوقائية ..... ٢٦٧
- حرمة الطلاق بغير ضرورة ..... ٢٦٧
- واقعيّة الشريعة الإسلامية ..... ٢٦٨
- الطلاق الرجعي ..... ٢٧٠
- الطلاق المعلق ..... ٢٧٠
- الطلاق في الحيض ..... ٢٧١
- بقاء المرأة في بيتها في العدة ..... ٢٧١
- النفقة والمتعة ..... ٢٧٢
- الوفاء للعشرة ..... ٢٧٢
- نعمة الأمن في قطر ..... ٢٧٤
- ١٦ - إنهاء الزواج (٢) ..... ٢٧٩
- الطلاق عمليّة جراحية ..... ٢٧٩
- تقييد إباحة الطلاق ..... ٢٧٩
- الطلاق بيد الرجل ..... ٢٨١
- حقوق المرأة الكارهة زوجها ..... ٢٨١
- اشتراط رضا المرأة ..... ٢٨٢
- اتهام المقاومة بالإرهاب ..... ٢٩٠
- تهويد العقل العربي ..... ٢٩٠
- مستشهدون لا منتحرون ..... ٢٩٣
- التهلكة في ترك الجهاد ..... ٢٩٤



- ١٧ - تعدد الزوجات في الإسلام ..... ٢٩٧
- تعدد الزوجات ..... ٢٩٨
- تقييد التعدد ..... ٢٩٩
- اشتراط العدل ..... ٣٠٠
- حكم التعدد وفوائده ..... ٣٠٠
- الإسلام دين واقعي ..... ٣٠٢
- العدل المستطاع ..... ٣٠٣
- أثر الإعلام في تشويه التعدد ..... ٣٠٥
- رحيل الشيخ خالد محمد خالد ..... ٣٠٩
- رحيل الشيخ محمد الغزالي ..... ٣٠٩
- رحيل الشيخ جاد الحق ..... ٣١١
- ١٨ - ظلم الرجال للنساء ..... ٣١٣
- أكل ميراث المرأة ..... ٣١٤
- النساء شقائق الرجال ..... ٣١٥
- معاشرة المرأة لزوجها وهي كارهة ..... ٣١٩
- الوسائل التي شرعها الإسلام للمرأة إذا استحالت العشرة ..... ٣٢١
- الوسيلة الأولى: الخلع ..... ٣٢١
- الوسيلة الثانية: إرسال الحكمين ..... ٣٢٤
- الوسيلة الثالثة: القضاء ..... ٣٢٦
- ١٩ - المال في الإسلام ..... ٣٣٢
- نظرة الإسلام للمال ..... ٣٣٢
- إنفاق المال في الحق ..... ٣٣٣
- خطوات الشيطان في المال ..... ٣٣٤

- الفرق بين الإسراف والتبذير..... ٣٣٥
- صور من التبذير..... ٣٣٦
- إنفاق المال في التدخين..... ٣٣٩
- الإسلام يحارب الترف..... ٣٤٠
- الإنفاق في الباطل ضياع للإنفاق في الحق..... ٣٤٢
- قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى..... ٣٤٣
- ٢٠ - حقُّ المساكين وأبناء السبيل في المال..... ٣٤٥
- عناية الإسلام بالمساكين..... ٣٤٥
- الإنسان القاسي..... ٣٤٦
- في المال حقٌّ سوى الزكاة..... ٣٤٨
- ما تميّزت به زكاة الإسلام..... ٣٤٩
- حقُّ المساكين في الكفّارات..... ٣٥٠
- العيدان وإطعام المساكين..... ٣٥٢
- حقُّ المساكين في موارد الدولة..... ٣٥٣
- الصدقات التطوعيّة..... ٣٥٤
- ما لا يعرفه الماديّون..... ٣٥٥
- الوقف الخيري..... ٣٥٦
- حقُّ ابن السبيل في المال..... ٣٥٧
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة..... ٣٦٣
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... ٣٧٩
- فهرس الموضوعات..... ٣٩٣

\* \* \*



